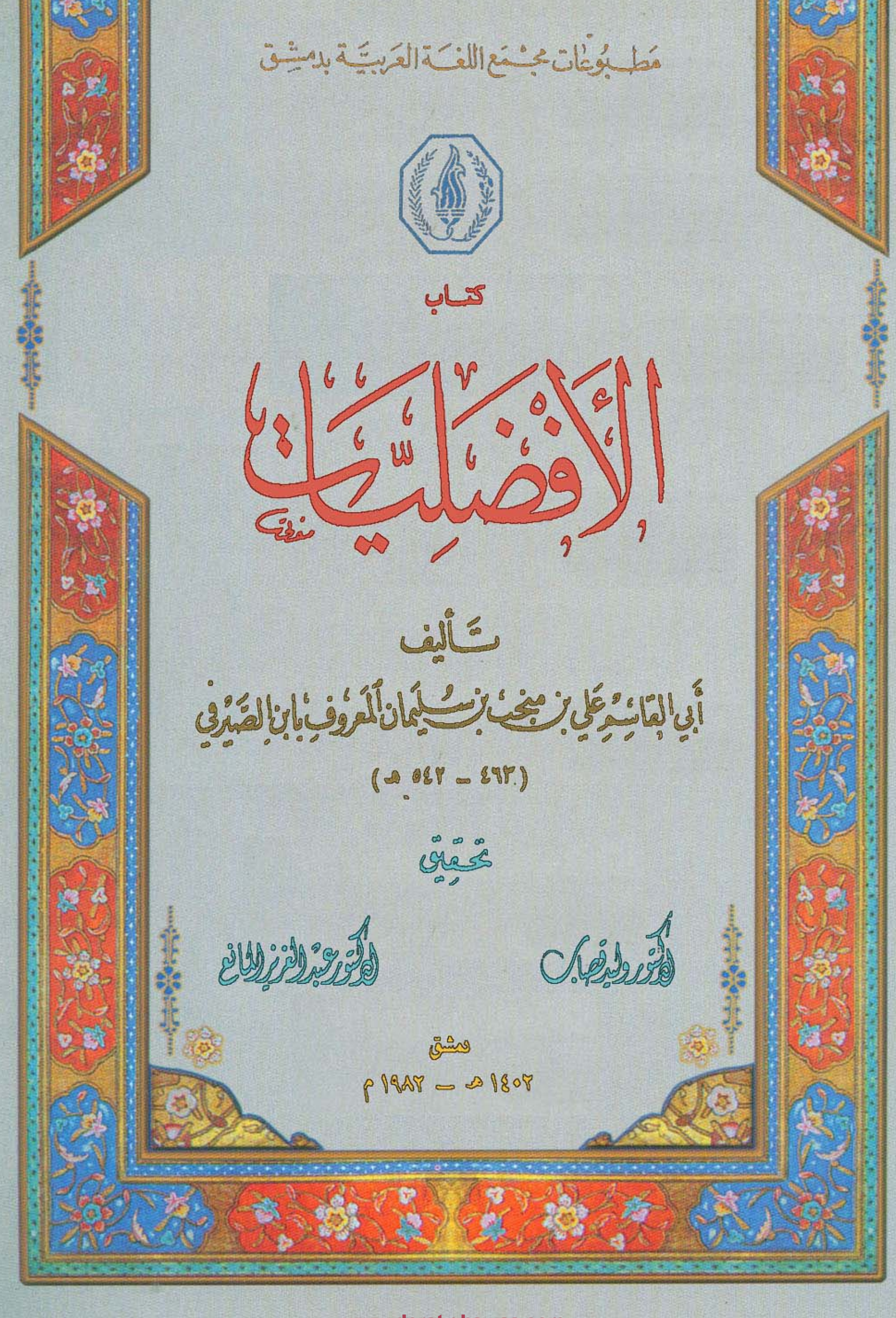


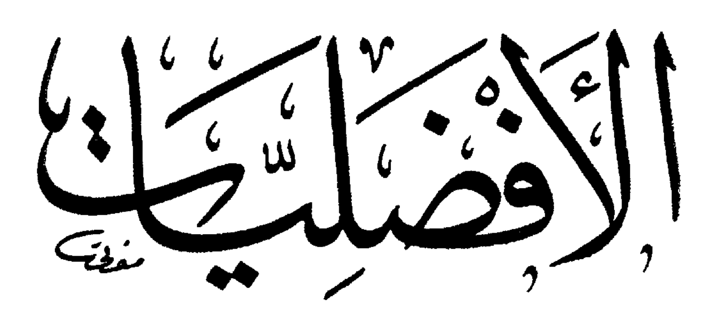
مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق
كتاب
الأفضليات
تأليف
أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي
(٤٦٣ - ٥٤٢ هـ)
تحقيق
الدكتور وليد قصاب
الدكتور عبد العزيز المانع
دمشق
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م



مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق



كتاب



الأفضليات

تأليف

أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي

(٤٦٣ - ٥٤٢ هـ)

تحقيق

الدكتور وليد قصاب

الدكتور عبد العزيز المانع

دمشق

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

التعريف بابن الصيرفي (1)

أنشأ ابن الصيرفي هذه الرسائل التي ننشرها اليوم للملك الأفضل شاهنشاه ، وهو أحمد بن بـدر الجمالي ، أبو القاسم الملقب بالملك

(1) انظر في ترجمة ابن الصيرفي المصادر التالية :
- معجم الأدباء : ١٥/٧٩ ـ ٨١
- أخبار مصر لابن ميسر : ٢/٨٧ ـ ٨٨ ، ومواضع متفرقة في ٢/٤٠، ٢/٦٧ ، ٢/٦٨ ، ٢/٧٤
- وفيات الأعيان : ١/٢٧٠ ، ٢/١٧٧ ، ٣/٣٣٤ ، ٤/٣٧٤ ، ٧/٣١ ، ٧/٢٧ .
- حسن المحاضرة : ١/١٩ ، ٢/١٣٩
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ٢/٥٣

وانظر كذلك :
- هدية العارفين : ١/٦٩٨
- الأعلام : ٥/١٧٦
- معجم المؤلفين : ٧/٢٤٦ .

الأفضل (١) ، أمـــير الجيوش المصرية . كان أبوه بـدر من الرجال المعدودين في ذوي الآراء والشهامة وقوة العزم ، وقد استنابه الخليفة المستنصر صاحب مصر بمدينة صور ، ولما ضعف حـال المستنصر ، واختلت دولته وصف له بدر الجمالي ، فاستدعاه ، وولاه تدبير أموره ، فاستطاع إصلاح الدولة أحسن إصلاح ، وكان وزير السيف والقلم ، وكان يلقب أمير الجيوش، ولم يزل كذلك الى أن توفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة؛وفي أثناء مرضه سنة سبع وثمانين وزر ولده الأفضل موضعه. وكان الأفضل كأبيه حسن التدبير ، فحل الرأي ، قوي الشكيمة ، وقد استطاع بسلطانه أن يقيم المستعلي بعد أبيه المستنصر ، وأن يكون له من دونه الأمر كله ؛ إذ لم يكن للمستعلي معه أمر ولا نهي ولا نفوذ كلمة . ولما مات أقام الأفضل ابنه أبا علي المنصور الملقب بالآمر بعده ، وكان ابن الصيرفي ـ كما ذكر ابن ميسّر ـ هو الذي كتب السجل بانتقال المستعلي وولاية الآمر ، وقرىء كتابه على رؤوس كافة الأجناد والأمراء ، وكانت سن الآمر خمس سنين وشهراً وأربعـة أيام ، فقام الأفضل بتدبير دولته ، وتولى أمره ، حتى حجر عليه ومنعه من ارتكاب الشهوات ؛ فإنه كان كثير اللعب . ويبدو أن هذه الوصاية التي أراد أن يفرضها على الآمر قد أغضبته ، فأوثب عليه جماعة ، فقتلوه عندما

---

(١) انظر في ترجمة الأفضل :

ـ وفيات الأعيان : ٢/٤٤٨

ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا للمقريزي: ٢٨١ـ٢٨٤

ـ أخبار مصر : ٢/٤٠ ، ٢/٥٧ ، ٢/٦٠

ـ الكامل لابن الأثير : ١٠/٥٨٩

ـ الأعلام : ١/٩٩

خرج من داره التي بمصر على بحر النيل يوم الأحد سنة خمس عشرة وخمسمائة (١) .

وإذن فالأيام الأفضلية تمتد بين سنة (٤٨٧ ــ ٥١٥ هـ) فترة وزارة الأفضل إلى أن قتل ، وفي هذا التاريخ صنف ابن الصيرفي رسائله (الأفضليات) ..

وصاحب هذه الرسالة هو ابو القاسم علي بن منجب بن سليمان التنوخي ، المعروف بابن الصيرفي . والمعلومات التي بين أيدينا عنه نزرة يسيرة ، فلم يفرده أحد من المصنفين بترجمة مستقلة إلا صاحب معجم الأدباء . وذكر ابن ميسر عنه نبذة قصيرة في كتابه أخبار مصر ، وكان يمر ذكره عرضاً في بعض المصادر الأخرى كوفيات الأعيان ، وحسن المحاضرة ، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ونعرف من هذه النتف اليسيرة أنه كان من فضلاء المصريين وبلغائهم وأدبائهم في القرنين الخامس والسادس .

كان أبوه صيرفياً ، ومن هنا جاءه لقبه الذي كان يعرف به ، ولكن جده كان كاتباً ، فأصبح كجده كاتباً بليغاً مشهوراً ، ويبدو أنه كان شديد الاهتمام والحذق بكل ما يتعلق بالكتابة وفنونها وأدواتها حتى اشتهر بذلك ، وعلا شأنه في هذا الميدان حتى لصق به لقب الكاتب ، فقد ذكره ابن خلكان في أكثر من موضع في وفيات الأعيان مقروناً بهذا اللقب ، كما كان معروفاً بخطه المليح الحسن حتى سلك فيه طريقة غريبة كما يقول ياقوت . ويبدو أنه اشتغل في أول مره بديوان الجيش، فأخذ صناعة الترسل عن ثقة الملك أبي العلاء صاعد بن مفرج صاحب

---

(١) ذكر ابن ميسر : ٢/٥٧ سببا آخر في مقتل الأفضل .

ديوان الجيش ، كما اشتغل بديوان الخراج مدة ، ثم اتصل بالأفضل ابن أمير الجيوش السابق ذكره فاستخدمه في ديوان المكاتبات ، وكان عنده ذا حظوة ومكانة حتى رفع من قدره وشهره ، وصار واحداً من كتاب ديوان الإنشاء بمصر في أيام الآمر بأحكام الله ، وكان هذا منصباً مرموقاً ؛ فقد عظم أمر ديوان الإنشاء في أيام الدولة الفاطمية ، ووقع الاعتناء به ، واختيار بلغاء الكتاب له ، فلم يكن يتولى هذا المنصب إلا أفاضل البلغاء ومجوّدوهم . وكان معه في ديوان الإنشاء ـــ كما ذكر ابن ميسر ـــ سناء الملك أبو محمد بن محمد الحسيني الزيــــدي ، وأبو الحسن علي بن أبي أسامة الحلبي الذي خلفه ولده أبو المكارم بعد وفاته ، وابن أبي الدم اليهودي ، ثم تفرد ابن الصيرفي بالديوان فصار فيه بمفرده ، ولا ندري متى حدث ذلك على وجــه التحديد ، ويبدو أنه لم يحدث في حياة الأفضل ، فقد ذكر ياقوت أن ابن أمير الجيوش أراد أن يعزل ابن أبي أسامة عن ديوان الإنشاء ، ويفرد ابن الصيرفي به ، واستشار في ذلك بعض خواصه ومن يأنس به ، فقال له : إن قدرت أن تفــــدي ابن أبي أسامة من الموت يوماً واحداً بنصف مملكتك فافعل ذلك ، ولا تخلِ الدولة منه فإنه حمّالها . على أن جفوة ما لبثت أن حدثت بين الأمير وكاتبه ، فأفسدت ما كان بينهما من ود وصفاء ، ولا ندري سبب هذه الجفوة ، لعل حساداً ووشاة تدخلوا بينهما ، وكان لهم يد فيما حدث ، فقد نقم الأفضل على ابن الصيرفي أمراً فطرده من ديوان الإنشاء ، ولكن الكاتب راح يكتب إليه طالباً الصفح والمغفرة ، فخط إليه عــدداً من الرسائل الأدبية هي هـــــذه الأفضليات التي ننشرها اليوم ، وقد استطـــاع بفصاحته وبلاغتــه أن يكتسب صفح الأمير وعفوه ، فرضي عنه ، وأعــاده ثانية إلى ديوان الإنشاء . وظل ابن الصيرفي في خدمة الآمر حتى بعــد مقتل الأفضل

سنة (٥١٥ هـ) ونجده يكتب بعد ذلك لوزيره المأمون بن البطائحي ، فقد ذكر ابن ميسر أنه في سنة (٥١٨ هـ) أمر المأمون ابن الصيرفي الكاتب بإنشاء سجل يقرأ على منبر مصر فكتبه ، كما أمره المأمون في السنة نفسها أن يكتب لابن الصبّاح كتاباً طويلاً يدعوه فيه إلى الحق ، فيرجعه عن القول بإمامة نزار ، ويحتج عليه بأمور ...

وعندما توفي الآمر سنة خمس وعشرين وخمسمائة انتقل إلى خدمة الخليفة الحافظ لدين الله ، وقد علت مكانته ونَبُه شأنه ، ولعله قد تفرد في أيامه بديوان الإنشاء ، ولقب بتاج الرياسة .

وابن الصيرفي بعد ذلك رجل متعدد الجوانب ، غزير المواهب ، فلم يكن كاتباً بليغاً من كتاب الدواوين فحسب ، ولكنه كان بالإضافة إلى ذلك مؤرخاً وشاعراً ، فقد أرخ للملوك مصر ، وأنشأ عنهم ديوان رسائل تزيد على أربع مجلدات ، كما أرخ لوزراء مصر فألف عنهم كتاباً سماه (الإشارة إلى من نال الوزارة) وقد ذكر فيه وزراء المصريين إلى عصره . وقد نقل عنه ابن خلكان في عدة مواضع ثقة بأمانته وعلمه . وكان شاعراً . ومن شعره قوله :

لما غـدوتَ مليكَ الأرض أفضلَ مَنْ
جلّتْ مفـاخره عن كـلِّ إطراءِ

تغـايرتْ أدواتُ النطق فيكَ عـلى
ما يصنـع الناسُ من نظـمٍ وإنشاء

ولـــه :

لا يبلـــغ الغايةَ القصوى بهمتـــه
إلا أخو الحـرب والجُرْدِ السلاهيبِ

يطوي حشاه إذا ما الليـــلُ عانقـــه
عــلى وشيــجٍ من الخطيِّ مخضــوبِ

ولـــه :

هـــذي مناقبُ قد أغنـــاه أيسرُها
عن الذي شَرَعَتْ آبـــاؤه الأُوَلُ

قـــد جاوزت مطلــعَ الجوزاء وارتفعت
بحيث ينحطُّ عنهــا الحوتُ والحَمَلُ

وفي رسائله التي ننشرها مجموعة أخرى من أشعاره.

ولادته ووفاته :

عاش ابن الصيرفي ما يقـــارب التسعين عاماً ، فقـــد ولـــد بمصر سنة ثلاث وستين وأربع مئة يوم السبت لثمان بقين من شعبان . واختلِـف في سنة وفاته ، فذكر ابن ميسَّر أنه توفي يوم الأحد لعشر بقين من صفر سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة ، بينما ذكر ياقوت أنه توفي بعد سنة خمسين وخمس مئة في أيـــام الصالح بن رُزَّيك . رحمه الله .

مؤلفـــاته :

تكشف مؤلفات ابن الصيرفي عن اهتمــامات متنوعــة ، فمن مصنفاته الأدبية :

١ ــ رسالة العفو •

٢ ــ رسالة رد المظالم •

٣ ــ رسالة لمح الملح •

٤ ــ رسالة منائح القرائح

٥ ــ رسالة مناجاة شهر رمضان •

٦ ــ رسالة عقائل الفضائل •

٧ ــ رسالة التدلي على التسلي •

هذه الرسائل السبع هي (الأفضليات) التي ننشرها اليوم •

٨ ــ كتاب عمدة المحادثة •

٩ ــ كتاب في الشكر •

١٠ــ كتاب استنزال الرحمة،وما ندري إن كان هو رسالة العفو، أم أنه كتاب آخر ؟ ••

١١ــ المختار من شعر شعراء الأندلس ، وقد نشره محققاً الأستاذ هلال ناجي في مجلة المورد العراقية •

١٢ــ وله اختيارات كثيرة لدواوين عدد من الشعراء ، كديوان ابن السراج ، وأبي العلاء المعري وغيرهما •

١٣ ــ وله قانون ديوان الرسائل ، ألفه كما قال في مقدمتــه ــ ليكون دستوراً يتبــع في اختيار من يؤهل للتوظف في ديوان الرسائل رئيساً كان أو مرؤوساً . وقد نشره محققاً الأستاذ علي بهجة ، وطبع بمطبعة الواعظ بمصر عام١٩٠٥م.

١٤ــ وورد في حاشية الورقة ١٢٢ من الأفضليات أن له ديوان رسائل في النثر والإنشاء يقع في عشرين مجلداً ..

ومن مصنفاته التاريخية :

١٥ــ كتاب (الإشارة إلى من نال الوزارة) وقد طبع بتحقيق الأستاذ عبد الله مخلص بمطبعة المعهــد العلمي الفرنسي في القاهرة سنة ١٩٢٤ م .

١٦ــ وله رسائل أنشأها في ملوك مصر تزيد على أربع مجلدات .

نسخة الأفضليات :

اعتمدنا في تحقيق هــذا الكتاب على مخطوطة واحدة فريدة في مكتبة الفاتح بالأستانة تحت رقم (٥٤١٠) ومن هذه المخطوطة مصورة موجودة في مكتبة جامعة الرياض (قسم المخطوطات) التي تكرمت مشكورة فزودتنا بنسخة من مصورتها ، وعند مراجعة فهرست معهد المخطوطات العربية المصورة التابع لجامعة الدول العربية كان في الأمر ما يدعو إلى التساؤل ، فقــد جاء في الفهرست الذي وضعه المرحوم فؤاد سيد أن النسخة الموجودة في المعهد ناقصة ، وقال في وصفها : « مجموع فيه الأفضليات ، وهي رسالة العفو ، رسالة رد المظالــم ، رسالة لمــح الملــح ، تأليف أبي القاسم عــلي بن منجب بن سليمان

الصيرفي ، نسخة كتبت في القرن السادس ، ولعلها بخط المصنف ، وقد جاء بأولها أن الأفضليات سبع رسائل والموجود فيها الثلاثة المذكورة فقط .. » وذكر الأستاذ سيد (١) أن عـدد أوراق هـذا المخطوط (٦٦ ورقة) وأنه موجود في مكتبة الفاتح تحت رقم (٥٤١٠) وهو نفس المكان والرقم الذي تحمله مصورة جامعة الرياض ، وقد أوهمنا ذلك أن نسخة المعهد هي واحدة أخرى ناقصة غير هذه التي عندنا ، وعندما رجعنا إليها وجـدنا أنها نفس مخطوطتنا ، وهي نسخة كاملة لا يعتورها أي نقص ، وتضم رسائل ابن الصيرفي السبع ، فكيف وقع الأستاذ فؤاد سيد في مثل هذا اللبس ؟ لعل النسخة التي اطلع عليها في أوائل الخمسينات (طُبِعَ فهرست معهد المخطوطات عام ١٩٥٤ م) كانت ناقصة ثم أتم المعهد تصوير النسخة فيما بعد ..

وعلى كلٍّ فهـي نسخة وحيدة كاملـة ، ولكنها نسخة جيـدة مكتوبة بخط نسخي جميل واضح مشكول ، وتقـع في مئتين وست وعشرين ورقة ، مقاس الورقة (١٧ × ١٤ سم) وعدد سطورها ما بين عشرة إلى أحد عشر سطراً ، وفي حواشيها تعليقات مهمة أثبتناها جميعها في الهوامش والتعليقـات ، ويعود تاريـخ نسخها إلى القرن السادس الهجري ، ولم يذكر عليها اسم الناسخ ، ولا تاريخ الفراغ من نسخها ، وقد رأينا الأستاذ فؤاد سيد يميل إلى أنها بخط المؤلف نفسه ، ولكننا لا نميل إلى هذا الرأي ، ويدل على ذلك ما جاء في حاشية الورقة (١٣٢) في التعليق على طريقة المُحْدَثين في الكتابة ، وهو : « قلت : هـذه الطريقة التي يشير إليها مؤلف هذه الرسائل وهو علي بن منجب بن سليمان التنوخي المعروف بابن الصيرفي قبل تصنيف ديوان رسائله

---

(١) انظر فهرس معهد المخطوطات : ١/٥١٩ .

التي في النثر والإنشاء علـى عشرين مجلداً ، ونرى القاضي الفاضل يستمد منه كثيراً ــ وبالجملة فهو أستاذ زمانه ــ وهذه ــ أعني الطريقة المذكورة ــ سماها علماء البـديع بالتطريز » فمن الواضح أن هـذا التعليق للناسخ ، ومن غير المعقول أن يكون للمؤلف ، كما أنه قد جاء في أول الرسائل وفي آخرها ما يأتي : « قال الشيخ أبو القاسم علي ابن منجب .. » ويستبعد أن يكون هذا من كلام المؤلف نفسه ، بل نرجح أنه من كلام الناسخ . وأما التعليقات الكثيرة التي كانت ترد في حواشي النسخة ، فنحن أمام افتراضين في شأنها :

أحدهما : أن تكون للمؤلف نفسه ، ولا نستبعـد أن يكون الناسخ قد نقل من نسخة المؤلف الأصلية ، وربما من مسودة نسخته بالذات ، وكان أميناً في هذا النقل ، فحافظ على النسخة ، ونقل كل شيء وجده فيها بدقة وأمانة ، بما في ذلك الحواشي والتعليقات ..

وثانيهما : أن تكون للناسخ ، وكان يعقب بها بين الحين والحين كلما وجد شيئاً يتصل بما هو فيه ، وهي عندئذ تكشف عن ناسخ ثبت ذي علم ومعرفة ..

وعلى كلٍّ فهي حواشٍ وتعليقات نافعة مفيدة ، ويتصل أغلبها بذكر صاحب شعر ورد ، أو التعريف به وكشف هويته ، وقد انتفعنا بها في تخريج بعض الأشعار التي لم يرد في المتن اسم قائلها .

ولا يعتور نسبة الرسائل إلى صاحبها أي شك ، فقد ذكر اسمه في أولها وفي آخرها ، وفي أثناء النسخة في إحدى حواشيها (انظر ورقة ١٢٢) . وصحيح أن من ترجموا لابن الصيرفي لم يذكروا أن له مصنفاً بهذا الاسم (الأفضليات) ولكنهم ذكروا لنا من مؤلفاته بعض هـذه

الرسائل التي تضمها مخطوطة الأفضليات ، فقد ذكر ياقوت منها رسالة عقائل الفضائل ، ومنائح القرائح ، ورد المظالم ، ولمح الملح • ويبدو أن ابن الصيرفي قد كتب كل رسالة من هذه الرسائل على حدة ، وفي فترات مختلفة خلال تلك الأيام الأفضلية التي تحدثنا عنها ، ثم جمعها بعد ذلك في مصنف واحـــد ، وقد يكون هو الذي أطلق عليها اسم (الأفضليات) نسبة إلى الأفضل ، وقد يكون الناسخ هو الذي أطلق عليها هذه التسمية ••





كتاب في الآداب والأشعار [illegible]
رسائل

بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب
هذه الرسائل التي صنفتها بعد الأيام الأفضلية
فأولها رسالة العفو التي ترجمتها استنزال
ما أجرم به إلى المجلس العالي الملكي الأفضلي مملوكه فلان
الحمد لله راحم خلقه وإن عظمت ذنوبهم وكاشف كربهم
مما طرقهم وينوبهم والمتفضل عليهم بنعمه
وهم غافلون والآمر في محكم كتابه وهو الذي
يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم
ما يفعلون وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذي شرفه
بالقرآن الكريم ووصفه بالخلق العظيم وفضله

الوجه الثاني من الورقة الأولى، من النسخة المخطوطة المعتمدة



2

على كافة الانبياء الذين بعثهم وارسلهم وامرهم
في اصحابه بقوله عز من قائل فاعف عنهم واستغفر
لهم وعلى اخيه وابن عمه امير المومنين علي بن ابي طالب
الذي اجاب الى الايمان مسارعا مبادرا وصفح
عن عدوه وكان عليه قادرا واعربت شيمه عن
الشرف الصريح ونعته كرمه ان اجهز على جريح
وعلى اهلهما الطاهرين الذين طهرهم من الادناس
صلاة دايمة الاتصال مستمرة في الغدو والاصال
وسلم وكرم ومجد وعظم اجمعين
على احلاف السنها والوانها ونغات عصورها
وتباين عقولها واراتها ونفاذ اغراضها

الوجه الأول من الورقة الثانية



ومنه أدلى فلان بحجته اذا توصل بما أتى به الى بغيته ومن

قوله تعالى ثم دنا فتدلى وهذه الآية من باب قوله سبحانه

مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة وهو من المقلوب

اي تنوء بها العصبة أولو القوة ، ثم تدلى فدنا وقد قال الشاعر

ان تغلواها وادلوا اهادلوا ان مع اليوم اخاه غدا

وتغلوها انبعد اي وادلوها قرباها والدلو

وهذا انها تقرب الماء بعد بعده فقول عبدها

الدال على التسلي انما معناه التوصل الى السلوة بما شابهها

من التأسي وطلب الثواب وغير ذلك وقول من قال الغلوة

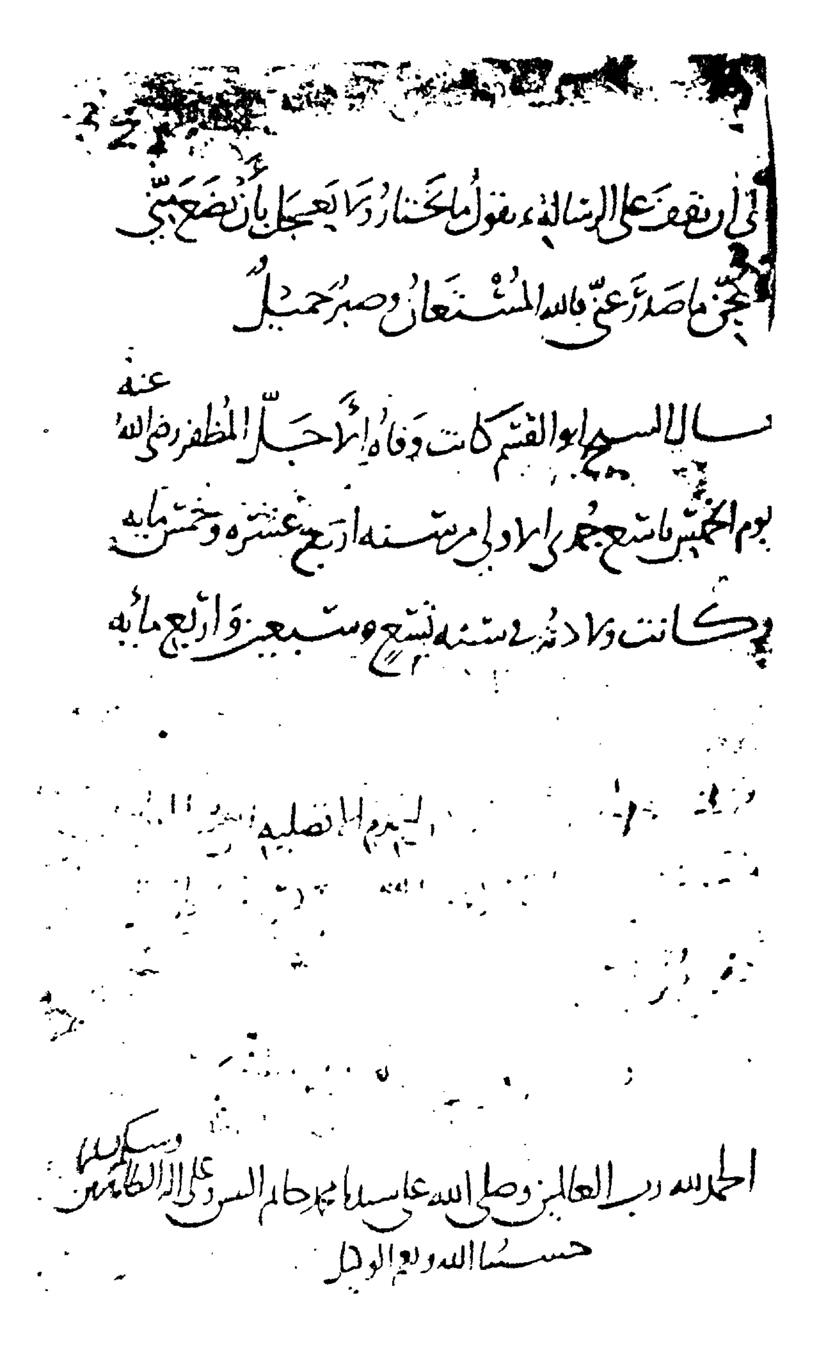
في الدلوة انما هو الوصول الى غايتها والفرق بين من قصد

التوصل وبين من بلغ الغاية لا يخفى على احد نقدر بان نصا...

الترجمين وثنا في الغرضين وما ضر من انتقد لو صبر

الوجه الأول من الورقة الأخيرة





إلى أن يقف على الرسالة، يقول المختار: ربما يعجل بأن تضع بين

نحن ما صدر عني والله المستعان وصبر جميل

قال الشيخ أبو القسم كانت وفاة الأجل المظفر رضي الله عنه

يوم الخميس تاسع جمادى الأولى من سنة أربع عشرة وخمسمائة

وكانت ولادته في سنة تسع وسبعين وأربعمائة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين وسلم تسليما

حسبنا الله ونعم الوكيل

الوجه الثاني من الورقة الأخيرة



التعريف بالكتاب

والأفضليات مجموعـة رسائل أدبية من أدب العصر الفاطمي ، كتبها ابن الصيرفي أحـد كتاب الدواوين المرموقين ، ورئيس ديوان الإنشاء للملك الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش المصرية ، ولذلك نسبت إليه ، وعددها سبع رسائل سبق أن عددناها • ويظهـر أن جفوة قد حصلت بين الكاتب والأمير ، فكان يكتب إليه هذه الرسائل في محاولة لاسترضائه ، وقـد استطاع الكاتب بما أوتي من فصاحـة وبلاغة ، وحسن لسن وكلام أن يؤثر في الأفضل ، فرضي عنه ، وأعـاده إلى ديوان الإنشاء • وقد جاء في نهاية رسالة (لمَتّح المُلَتّح) تصريح بذلك، ففي ختام الرسالة ما يأتي : « وعند عرض هذه الرسالة رضي عنه ، وأعاده إلى ديوان الإنشاء : ورقة ١٢٤ » •

وهذه الرسائل تمثل لوناً من ألوان الكتابة في العصر الفاطمي بمصر ، ونوعاً من أدب الإنشاء في هذه الفترة ، وهي لكاتب مشهور من كتاب هذا العصر ، وأديب من أدبائه كانت له طريقة خاصة في الكتابة عنده فيها أستاذ زمانه ، حتى وجدنا القاضي الفاضل يتأثره ويستمد منه كثيراً كما مر معنا في غير هذا الموضع •

والكتاب يطبع لأول مرة باستثناء رسالة واحدة منه هي الرسالة الأولى (رسالة العفو) فقد طبعت في دار الرسالة في بغداد عام ١٩٧٦ م، بتحقيق الأستاذ المحقق هلال ناجي •

وقد بذلنا في إخراج هذا الأثر جهداً نسأل الله أن يكون مثمراً معطاء ، فحررنا النص تحريراً دقيقاً استقامت معه العبارات ، وراعينا علامات الترقيم مراعــاة دقيقة ، وضبطنا النص بالشكل كلما أشكل الكلام أو وجدنا ضرورة لذلك ، وخرّجنا النصوص والأشعار ، وعرفنا بالشخصيات الكثيرة غير المعروفة ، وأشرنا إلى مصادر ترجمتها .

ونرى واجباً علينا أن نتقدم بالشكر إلى مجمع اللغة العربية بدمشق لما أولانا من رعايته في نشر هذا الكتاب ، مساهمة منه في إحياء التراث العربي والعناية به .

كما ونشكر الأستاذ محمد مطيع الحافظ على قيامه بالاشراف على طباعة الكتاب وإخراجه . وعمل الفهارس الفنية له .

كما ونتقدم بالشكر للسيد محمد سعيد الدقاق لما قدم من جهود طيبة في طباعة الكتاب وإخراجه .

ونسأل الله أن يكتب السداد لما اجتهدنا فيه ، وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم ، ولخدمة هذا التراث الإسلامي العربي الكريم ..

والحمد لله رب العالمين ..

المحققــــان

رِسَالَةُ ٱلعَفْوِ



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخُ أبو القاسم عليُّ بنُ منجبِ بنِ سليمانَ الكاتبُ :
هذه الرسائل التي صنفتُها منذ الأيام الأفضلية،فأولُها رسالةُ العفو التي ترْجَمْتُها استنزالَ ... (١) مما خدم به المجلسَ العــاليّ المالكيَّ الأفضليَّ مملوكُهُ فلان، الحمدُ لله راحمِ خلقه وإن عَظُمت ذنوبُهم، وكاشفِ ضرهم فيما يطرُقُهم وينوبُهم ، والمتفضّلِ عليهم بنعمه وهم غافلون ، والقائل في محكَــم كتابه : « وهو الذي يقبــل التوبةَ عن عبادِه ويعفُو عن السيئاتِ ويعلمُ ما تَفعلونَ » (٢) وصلى الله على سيدنا محمدٍ نبيه الذي شرّفه بالقرآن الكريم ، ووصفه بالخُلُق العظيم ، وفضّلَهُ [٢] على كافة الأنبياء الذين بعثهم وأرسلهم ، وأمره في أصحابه بقوله ــ عزّ من قائلٍ ــ : « فاعفُ عنهم واستغفر لهم »(٣) وعلى أخيه وابنِ عمه أميرِ المؤمنين عليّ بنِ أبي طالبٍ الذي آجاب إلى الإيمان مُسارِعاً مُبادِراً ، وصفح عن عدوه وكان عليه قادِراً ، وأعربت شيمُه عن الشرف الصريح،ومنعه كرمُه أن يُجهِزَ على جريح، وعلى آلهما الطاهرين الــذين طهّر بهم من الأدناس صلاةً دائمــةً

---

(١) هكذا وردت ، ويبدو أن كلمة سقطت فأفسدت الكلام ، وأضاف صاحب مطبوعة رسالة العفو كلمة (رحمة) ليستقيم الكلام .

(٢) الشورى : ٢٥

(٣) آل عمران : ١٥٩

الاتصال . مستمرةً في الغُـدُوِّ والآصال ، وسلَّم وكرَّم ومجَّد وعظَّم . أجمعت البريَّةُ على اختلاف ألسنتها وألوانها ، وتغايُرِ عصورها وأزمانها ، وتبايُنِ عقولها وآرائها ، وتفاوُت أغراضها وأهوائها أن أفضلَ ما اكتسبه المرءُ في وُجُودِه،وأشرفَ مامُنِحَهُ من كرم الله تعالى وَجُودِه ما يُوَفَّقُ له من إصلاح أخلاق النفس وتهذيبها ، وتبليغها غايةً تجود الخواطرُ فيها وتهذي بها ، وإن مَنْ أدرك ذلك فقد نال الرتبة العليَّةَ ، وحاز السعادة الحقيقيَّةَ ، لأنه حصل على فضيلة الذات ، ووصل بها إلى أعظم اللذَّات ، وهذه قضية لا تنتقِضُ ، ومقدمة لا يخالِفُ أحدٌ فيها ولا يعترِضُ . فأما النتيجةُ عنها فهي فعلُ الحَسَنِ والمثابرةُ عليه ، والتنزُّهُ عن القبيح وإن دعت المكافأةُ إليه [٣] وأفضلُ الحَسَن ما بقَّى ذكرَ المرء بعدَه ، وجعله بالوصف قريباً وإن أطالت الأيامُ عهدَه ، إذ كان بقاءُ ذكرِ الإنسان عمراً يستجِدُّه ، وكنزاً يذخَرُهُ لوارثه ويُعِدُّه . ومن أمثالهم : (البِشرُ أحد الجُودين ، والذكرُ أحد الخُلودين ، والبيانُ أحد السِّحرين ، والثناءُ أحد العُمْرَين) وما أحسنَ قولَ أبي الطيب (١) :

كَنَـلَ الثناءُ له بردَّ حياتِه لمـا انطوى فكأنَّه مَنْشُورُ

وقد سبقه إلى هذا المعنى غيرُه . قال التيميُّ (٢) :

---

(١) ديوانه : ٢/١٣١ . من قصيدة يرثي بها محمد بن إسحاق التنوخي ، وأولها :

إني لأعلمُ واللبيبُ خبيرُ أن الحياة ـ وإن حرَصتُ ـ غرورُ

(٢) صوابه التميمي ، وهو عبد الله بن أيوب ، ويكنى أبا محمد . والبيت في شرح حماسة أبي تمام للتبريزي : ٣/٨ ، في منصور بن زياد ،

رُدَّتْ صنائِعُهُ عليه حياتَه فكأنَّه في طيِّـهِ مَنْشُورُ

وقال آخر (١) :

طَوَتْهُ المنـايا والثنـاءُ كفيلُهُ
بردُ حيـاةٍ ليس يُخْلِقُها الدَّهْرُ

وبعد أبي الطيب قال مهيارُ (٢) :

أفنَى الثراءَ على الثناءِ لعلمِهِ أن الفناءَ مع الثناءِ خُلُودُ

وإذا تُؤمِّلَتِ المناقبُ التي تُخْلِدُ حسنَ الذكر ، وتَمَثَّلَتْ صوراً تُستَشَفُّ في مرآة الفكر ، وُجِد أحسنُها منظراً ، وأشفُّها جوهراً ما كانت النعمة فيه تتعدَّى ، والآمالُ تتعرض نحوه وتتصدَّى ، فلذلك عُظِّم ربُّ المنائح والصِّلات ، وفُضِّل المُتَنَفِّلُ بالصدقة

وروايته :

ردت صنائعـه إليه حياته فكأنـه من نشرها منشور

وهو بلا نسبة في الأوائل للعسكري : ٤/١ ، وهو في الكامل للمبرد : ٢٩/٤ مع جملة أبيات تنسب لكثـير في رثاء عمر بن عبد العزيز ، ولكنها غير موجودة في ديوانـه . وهو في الموازنـة : ١٢١/١ منسوب للعتابي .

(١) البيت في المختار من شعر شعراء الأندلس : ١٠٨ ، وهـو لموسى بن عمران البصري .

(٢) ديوانه : ٣٢٩/١ وروايته :

أفنى الثراء على الثناء وعلمه أن الفنـاء مـع الثناء خلود

وهو من قصيدة كتب بها إلى الوزير كمال الملك أبي المعالي وأولها :

تهوى ــ وأنت مُحَلأٌ مصدودٌ ــ ماءَ النقيب وإنـه مورودُ

علـى المتنفل بالصلاة ؛ وذلك [أن] (١) المصلي لا تتجاوزه مثوبة ما صنع ، والمتصدق فقد نفع غيره وهو لا محالة قد انتفع . وهذا أمر قائم الدليل ، واضح برهان التفضيل . ثم إن هذه النعمة [٤] المشتركة بين منعم عليه بها ، ومنعم يثاب بسببها ، تنقسم في قسمين أيضاً : أحدهما البر المعهود والصدقة المعروفة ، والآخر العفو عن الجرائم التي تأبى احتمالها الطباع العزوفة . وتفضيل من يعفو علـى من يتصدق فرض واجب ، وترجيحه عليه أمر متعين وحق لازب ؛ لأن المتصدق لا يتجاوز حالاً مختلة يسد خصاصتها وفاقتها ، والعافي عن الذنوب فقد يحقن دماء يوجب العدل سفكها وإراقتها . فالأول يولي جميلاً ويحسن صنيعاً ، والثاني يحيي نفيساً « ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » (٢) فبينهما هـذا التفاوت الـذي لا يخفى قدره ، والتباين الـذي لا يستتر على ذي تصور أمره ، فقد استقر بهـذه السياقة أن العفو أكرم الخصال ، وأعلى منازل الكمال ، وأحمد الأفعال عاقبة في العاجلة والمآل . ومن لطائف الله تعالى بأهل هذا العصر ، ومواهبه التي تتعدى مدى الإحصاء والحصر ؛ أن جعل هذه الفضيلة التي قام بها البرهان على أنها الأولى في العدد ، وارتفع الخلاف في كونها الأولى بتعظيم كل أحد ، أغلب الخلال عـلى خلائق مولانا الملك السيد الأجل الأفضل أمـير الجيوش ، سيف الاسلام ، ناصر الإمام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين ، عضد الله ملكه بالتخليد ، وشد ببقائه [٥] أزر الإيمان والتوحيد ، الذي ملأ جماله العيون ، وصدق إحسانه الظنون ، ووضحت الدلائل على أن مثله لم يكن قط ولن يكون :

---

(١) زيادة يستقيم بها السياق .

(٢) المائدة : ٣٢

هَيْهَاتَ قامت معجزاتُ العُلا
فيه وماتتْ آيةُ الانفراد

جَلَّ عن الناسِ فما عابَهُ
شيءٌ سوى تشبيهِهِ بالعباد

ثم إنه بسط اللهُ اقتدارَه ، وأعز أولياءَه وأنصارَه لم يعرضَ من الصفح بما أُلِفَ ، ولم يقنعْ من العفو بما عُرِفَ مما يجود منه على الجاني ببقاء روحِهِ ، ويحول به بين المجرم وبين سُكنى ضريحِهِ ، حتى أبان من التذاذِهِ بالغفرانِ ، وإحسانه إلى من قابل نعمته بالكفرانِ ماجعل المذنبين يتقرَّبون إليه بالجرائر، والمسيئين يتوسَّلون عنده بالكبائر ، فحمدوا خطأَهم وما عَهِدْنا الخطأ مع غير كرمه يُحْمَدُ ، وجحدوا براءَتهم وما عرفنا البراءَةَ لولا فيضُ فضله تُنْكَرُ وتُجْحَدُ ، وصارت إساءتُهم من مواتِّهم إليه وشوافِعِهم ، وجناياتُهم من حرماتِهم لديه وذرائِعِهم . فما أصدقَ ما قال أحدُ شعراءِ مجلسه العالي شيَّدَ اللهُ مبانيَه ، وبلَّغَ كلاً من مماليكه آمالَه وأمانيَهُ (١) :

وَسِعَتْ مراحمُكَ الجُنَاةَ بأَسرِهم
وأَقَلْتَ كلاً منهُمُ عثراتِهِ

وجَزَيْتَ مرتكبَ الكبيرةِ منهُمُ الـ ....
.... حُسْنَى فأصبحَ شاكراً زلاتِهِ

---

(١) في الحاشية إنهما لابن الحوَّاري .

وهذا المعنى وإن كان مجيدو الشعراء قد ألموا به ، وأبدعوا فيه ، وسلكوا منه مذهباً لا يسلكُهُ [٦] غيرُهم ولا يقتفيه ، كقولِ مهيارَ (١) ــ وهو من المُستَحسَنِ المختارِ ــ :

وإذا الإباءُ المرُّ قال لك : انتقمْ
قالتْ خلائِقُكَ الكرامُ : بل احلُمِ

شَرْعٌ من العفوِ انفردْتَ بدينِهِ
وفضيلةٌ لسواكَ لم تتَقدَّمِ

حتى لقد ودَّ البريءُ بأنَّه (٢)
أدلى إليك بفضلِ جاهِ المجرمِ

فإنه في أوصاف مولانا ــ أدام اللهُ ملكه ــ صدقٌ وحق ، وفي مدائح غيره من الملوك زُورٌ ومذْق ، ولسنا نطلق هذا الحكمَ خالياً من شاهد يصحِّحه ، ولا عاطلاً من قياس يُبَيِّنه ويوضِّحه . فنقول : إن كلَّ خَلَّة شريفة ، وكلَّ فضيلةٍ لملك أو خليفة ، مما يُتَدَاول بالروايات ، ويُتَنَاقل بالأخبار والحكايات ، مثل ما اشتَهَر من عدل كِسرى أنُوشروانَ (٣) . وانتَشَر من وَرَع عمرَ بنِ عبد

---

(١) ديوانه : ٣/٢٣٥ من قصيدة يمدح بها مؤيد الملك أبا علي الرُّخَّجي ، ويشكر توالي أياديه عنده ، ويهنئه بمقدمه إلى بغداد من واسط بالنيروز . وأولها :

ما المجد إلا بالعزيمة فاعزم   من لم يغامر لم يفز بالمغنم

(٢) في الديوان : لَوَ انَّه .

(٣) في الأصل : نو شروان .

العزيز بنِ مروانَ ، ومثل ما ذُكِر من حزامة الجعديّ ، وشُكِر من سماحة المهديّ ، ووُصِف من صبر المُعتَمِدِ ، وعُرِف من سياسة المُعتَضِدِ ، إلى غير ذلك من الفضائل التي شهدت لهم بحسن الأَثَر ، وتضمنها ما ثبت من أخبارهم في التواريخ والسِّيَر ، ولم نعلم أحداً اشتَهر بالعفو اشتهارَ المأمونِ حتى كأن هذه المَنْقَبَةَ عليه موقوفة ، وكأن الأمة مدفوعــةٌ عنها مصروفة . وأبهرُ ما حوتْه من آياتــه ، وأكثرُ ما تضمنتْه من معجزاته ، عَفْوُهُ عن ابراهيمَ بنِ المهديّ عَمّه ، وتكرمُه [٧] في تجرع غيظه منه وكظمِه ، وقد شاع ذلك عنه وذاعَ ، وملأ ذكرُهُ ووصفه الأسماعَ ، وإنما هو شخص مُفْرد ، ورجل واحد ، وصِنْوٌ لأبيه . وكــلُّ عمٍّ أبٌ ووالد . وقد كان استشار فيه منْ ثبت عنده عقلُه وفهمُه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أكرهُ أن يُقالَ يوماً : أخوه ، ويوماً : عَمّه . وهذا كلام يرفع القلبُ له حجابَه ، ويعلم سامعُه صحتَه وصوابَه . فلو انتقم منه لظاهَرَ بالقساوة والعقوق ، ولو شفى غيظه لجاهر بالإضاعة للحقوق ، وأيضاً فإنه وصل إلى بغداذَ عُقَيْبَ استخفاء إبراهيمَ واستتارِه ، واستتر بها بعد خمول ذكره وخمود نارِه ، فما ظفر به حتى انكسرت مغائظُه ، وتناقصت حُقُودُه وحفائظُه ، وتمكن له من السلطان ما ترفَّع معه أن يأتيَ الانتقامَ ، وحصل له من الاقتدار مارغبتُه في ثناءٍ إذا تَقَضَّت الأيامُ ثبت وأقامَ ، ومــع ذلك فما كان يقين إبراهيمَ بعفو المأمونِ حسناً ، ولا اعتقادُه في صَفْحِه قوياً من قلبه ولا متمكناً ، ومن دلائل ذلك أنه كان عند وثوبه اقترض مالاً كثيراً مــن التجار ، وكــان فيه لعبد الملك الزياتِ والدِ محمدٍ عشرةُ آلاف دينار ، فلما لم يَتِمّ

أمرُه لَوَاهُمْ أموالَهم ، فعمل محمدُ بنُ عبدِ الملك (١) الزياتُ [٨] قصيدة يخاطب بها المأمونَ ، وقال فيها عند ذكر إبراهيمَ ابنِ المهديّ :

ووالله ما مِنْ توبةٍ نَزَعَتْ به
إليكَ ولا حُبٌّ نواه ولا وُدُّ

فلا تتركنْ للناسِ موضعَ شُبْهَةٍ
فإنكَ مَجْزِيٌّ بحسْبِ الذي تُسدِي

فكمْ غَلَطٍ (٢) للناسِ في نصبِ مثلِه
بمنْ ليس للمنصورِ بابْنٍ ولاالمَهْدِي

فكيفَ بمنْ قد بايَعَ الناسُ فالتَقَتْ
ببيعتِه الركبانُ غَوْراً (٣) إلى نَجْدِ

ومنْ صَكَّ تسليمُ الخلافةِ سمعَهُ
يُنادَى به (٤) بينَ السماطَيْنِ من بُعْدِ

وأيُّ امرِىءٍ سمَّى بها قَطُّ نَفْسَهُ
ففارقها حتى يُغَيَّبَ في اللَّحْدِ

(١) في الحاشية : (الوزير قبل وزارته) والأبيات في ديوانه : ٢٢ ، من قصيدة طويلة يهجو بها ابراهيم بن للمهدي ، وانظر الخبر مع بعض الأبيات في العمدة : ١/٦٤
(٢) في الديوان : فقد غلطوا للناس .
(٣) في الديوان : ركبان غور .
(٤) في الديوان : تنادى بها .

فإنْ قلتَ قد رامَ الخلافةَ غيرُهُ
فلمْ يُؤْتَ فيما كان حاولَ مَن جَدِّ

فلم أَجْزِهِ ـ إذ خَيَّبَ اللهُ سعيَهُ ـ
على خَطَأٍ قد كانَ منه (١) ولا عَمْدِ

ولَمْ أرضَ بعد العفوِ حتى رفَدْتُه
وللْعَمُّ أولى بالتَّغَمُّدِ والرِفْدِ

فليس سواءٌ خارجيٌّ رمى بِه
إليك سَفَاهُ الرأيِ والرأيُ قد يُرْدِي

وآخرُ في بيتِ الخلافةِ تلتقي
به وبك الآباءُ في ذِرْوَةِ المجدِ (٢)

وعرضها على إبراهيمَ ، ولم يكن محمد حينئذ من أهل النباهة ، ولا من أرباب الوجاهة ، فسأله إبراهيمُ كِتمانَها، واستحلفه على ذلك ، وأدّى مالَ أبيه دون مال جميع التجار . فلو كان واثقاً بعفوِ المأمونِ لما التفت إلى هذا الإغراء ، ولا عَرَّجَ على هذا الافتراء ، وكيف يثقُ به وهو لم يخلُ في أيامه من الترويع ، ولا سَلِمَ من مخاوف التعنيف والتقريع ؟! لا جَرَمَ أنه ما أمِنَ حتى قضى المأمون نَحْبَهُ ،

---

(١) في الديوان : إذ كان منه على عمد .

(٢) في ديوانه :

وآخر في بيت الخليفة جنده ... وهل يجمع القينُ الحسامين في غمد

ولا اطمأن إلى أن مضى [٩] ورضوه ••• (١) حتى قال أحدُهم في بعض ما خَدَمَ به من القصائد :

فإنْ تعفُ عنهم فانفهمْ عن ديارِهم

وإن تنتقمْ فاضربْ مَنَاطَ القلائدِ

فخالف ـ خلَّد الله ملكَه ـ منْ أتى بهـذا القول مشيراً ، وشملهم من العفو بما بَدَّل ناعيَهم بشيراً • عـلى أنّا ما علمنا ملكاً حَرَّضَ على مُحَرَّمٍ فَعَفَّ ، ولا خليفةً حُمِل على مكروه مُسيءٍ فتأخر عنه ولا كَفَّ • هـذا سُدَيفُ بنُ ميمونٍ (٢) دخـل على أبي العباسِ السفّاحِ وعنده سليمانُ بنُ هشامٍ فأنشده :

لا يَغُرَّنْكَ ما ترى من أُنـاسٍ

إنَّ بـين الضلوعِ داءً دَوِيّا

فَضَعِ السيفَ وارفَعِ السَّوْطَ حتى

لا ترى فوق ظهرِها [أموِيـا] (٣)

فقال سليمانُ قتلتَني يا شيخُ ، قتلك اللهُ ؛ ونهض أبو العباسِ فوضع المنديل في عنق سليمانَ ، وقُتِلَ من ساعته • ودخل شبل بن

(١) حدث سقط في الكلام لا ندري مقـداره أدى إلى خلل في السياق كما هو واضح •

(٢) البيتان في شعر سديف بن ميمون : ٣٠ ، والعمدة : ١/ ٦٢ ، والشعر والشعراء : ١/ ١٨٠ ، وسديف شاعر حجازي غير مكثر ، وهو مولى لبني هاشم، وكان شديد التحريض على بني أمية (انظر الأعلام : ٣/ ١٢٦) •

(٣) غير مقروءة في الأصل ، وقد أثبتناها من شعر سديف والعمدة •

عبد الله (١) علـى عبد الله بن علي (٢) فأنشده مُحرِّضاً على بني أميةَ وعنده منهم ثمانون رجلاً (٣) :

أصبـحَ الملكُ ثابـتَ الأساسِ
بالبهاليـل من بني العبَّـاسِ

منهـا :

لا تُقيلَنَّ عبـدَ شمسٍ عِثـاراً
واقطَعَنْ كل رقلَةٍ (٤) وأواسي (٥)
ذُلُّهـا أظْهَرَ التودُّدَ منهـا
وبهـا منكُـمُ كَحَزِّ المَواسي
وَلَقَدْ غـاظني وغاظَ سوائي
قُرْبُهـا مِنْ نَمَارِقٍ وكراسي
أنزلُوهـا بحيثُ أنزلهـا اللـ
ـهُ بدَارِ الهـوانِ والإتْعَاسِ [١٠]

---

(١) فوقها تعليق : (المعروف بالهراش) وفي الحاشية : (شبل هـذا من موالي بني هاشم) .

(٢) فوقها تعليق : (السفاح) والخبر والأبيات في العمدة : ٦٣/١ مع تغيير طفيف في رواية بعض الأبيات .

(٣) وردت هذه الأبيات في شعر سديف: ٢٢ منسوبة له ، وكذلك في الأغاني: ٣٤٧/٤ ولكنها وردت منسوبة لشبل بن عبد الله الهراش في العمدة : ٦٢/١ ، والعقد الفريد : ٤٨٦/٤

(٤) في الحاشية : (الرقلة ، النخلة الطويلة) .

(٥) فوقها تعليق : (وغراس) وهي رواية أخرى وردت في بعض المصادر . وفي الحاشية : (والأواسي جمع آسيّة ، وهي الأسطوانة) .

واذْكُرُوا مصرعَ الحسينِ وزيدٍ
وقتيلاً بجانبِ المهراسِ (١)

والقتيلَ الذي بحرّانَ أمسى
ثاوياً بينَ غربةٍ وتناسِ

نِعْمَ شبلُ الهراشِ مولاكَ شبلٌ
لو نجا من حبائلِ الإفلاسِ

فلما سمع ؛ تنكّر ؛ وأمر بهم فقُتِلوا ، وألقى عليهم البُسطَ ؛ وجلس للغداء ، وإنّ أحدَهم ليُسْمَعُ أنينُه لم يَمُتْ بعدُ . وقد قيل : إن المخاطب بهذه الأبياتِ أبو العباس السفاحُ ، ويروى أنه قال لشبل : لولا أنك خلطتَ كلامَك بالمسألة لأغنمتُك جميعَ أموالِهم ، ولعقدتُ لك على جميع موالي بني هاشمٍ . وقالَ العبديُّ الشاعرُ :

دخلتُ على عبد الله بن عليٍّ السفاحِ ، وعنده من بني أمية اثنان وثمانون رجلاً ، والغَمْرُ بن يزيدَ بنِ عبدِ الملك جالسٌ معه على مُصَلاه ، فاستنشدني ، فأنشدتُه قصيدتي الرائيةَ (٢) :

وقف المتيَّمُ في رسومِ ديارِ

وهو مُطرق حتى انتهيتُ إلى قولي :

(١) في الحاشية كلام لم يقرأ .

(٢) الخبر والأبيات جميعها في العمدة : ١/٦٣ ، والخبر مع البيت الأول في عيون الأخبار : ١/٢٠٧

أما الـــدعاةُ إلى الجِنَانِ فهاشمٌ

وبنو أميَّـــةَ من دعـــاةِ النـــارِ

أَأُمَيُّ مالكِ من قـــرارٍ فالحقي

بالجِنِّ صاغرةً بأرضِ وَبَـــارِ [1]

ولئن رحلتِ لَتَرْحَلِنَّ ذميمـــةً

وكَذا المقــامُ بذِلَّةٍ وصَغَـــارِ

قال : فرفع الغمر رأسه إليَّ وقال : يابنَ الفاعلة ، ما دعاك إلى هذا ؟ فضرب عبد الله بقلنسُوتـه الأرضَ ، وكانت العلامة بينه وبين أهل خراسانَ ، فوضعوا عليهم العَمَدَ حتى ماتوا ، وأَمر بالغمر فقتل صَبْراً . [١١] .

وكان ابنُ حزمٍ أميراً على المدينة ، فتحامل على الأحوصِ الشاعرِ تحاملاً شديداً ، فَشَخَصَ إلى الوليـــد بنِ عبد الملك ، فأنشده قصيدةً رائيةً أيضاً يمتدحه فيها ، فلما بلغ منها إلى قوله الذي يشتكي ابنَ حزم ويَتَظَلَّمُه :

لا تَرْثِيَنَّ لحزميٍّ ظفـــرتَ به

يوماً ولو أُلْقِيَ الحزميُّ في النارِ [2]

---

(١) في الحاشية : (وبار قبيـــلة بادت كما بادت جرهم ، وأرضهـــم من معازف الجن) .

(٢) ديوان الأحوص : ١٣٢ ، ورواية البيت :

لا تأوين لحـــزمي رأيت بـــه ضراً ولو طرح الحزمي في النار

الناخسينَ بمروانٍ بــذي خُشُبٍ

والداخلينَ عــلى عثمانَ في الدارِ (١)

فقال له الوليد : صدقتَ ، والله غفلنا عن حزمٍ وآل حزم • ثم كتب عهــد عثمان بن حيّانِ المُريّ عــلى المدينة ، وعزل ابن حزم ، وأمر باستصفاءِ أموالهِ وأموال آله ، وإسقاطِ جميعهم من الديوان •

وهذه الحكاياتُ والأخبار فلها أشباهٌ كثيرة وأنظار لو تُوُسِّعَ فيها لطال بابُها ولم يَضمنْ مع ذلك استغراقُها واستيعابُها •

وبعدُ فكل ملك إذا أخذ أهبة مملكته تكبَّر ، وإذا انتصب في مقر عظمته طغى وتجبَّر ، ومولانا ــ خلَّدَ الله ملكَه ــ إذا علا دَستَه وَرَقِيَ سريرَه رأى الناسُ أفضل الملوك سيرة ، وأحسنَهم مع الله سريرة ، لا يعجل بالعقاب ، ولا يؤجّل الثواب ، ولا يتجاوز في حكمه الصواب ، ولا يمنع أحداً يستقصي الحُجَّة ويستوفي الخطاب [١٢] هذا على انبساط قدرتــه ، واعتــلاء شأنه وانتشار هيبته ، واتساع سلطانه ، وإنه إذا استقر في منصبه ، وحفَّ الأكابر والعظماء به ، وحضر رسل الملوك وسفراؤهم لديه ، ووقف الأماثل سماطَــيْنِ بين يديه ، وأُذِن لمن ببابه من أعيان الوفود ، وغصت الأماكن الفسيحة بالعساكر والجنود ، وتعرض الخدم لامتثال المراسم ، واشتكت إليه الأرض من وقع المياسم ؛ رأيتَ شرف الدنيا وعزَّ الأبدِ ، وسلطاناً عظيماً قويَ المَدَدِ ، وملكاً كثيراً لا ينبغي لأحد ، ونظرتَ الأنوار قد سطعتْ وأشرقتْ ، والأبصار قد خضعت وأطرقت ، وشاهدت

(١) في الديوان : والمقحمين على عثمان في الدار • وانظر الخبر والأبيات في العمدة : ١/٦٤

مقاماً مَهيباً ، ومنظراً هائلاً ، وألْفَيْتَ كل لسان معقولاً بالمخافة وقد كان جائلاً قائلاً ، وتمثلتَ ضرورةً بقول الله تعالى في محكم الكتاب : « هذا عطاؤُنا فامْنُنْ أو أَمْسِكْ بغيرِ حسابٍ » (١)
فالله تعالى يجعل مسلكته مخلَّدة ، وسُعُودَه أبداً مجدَّدَة ، وقلوبَ الأداني والأقاصي جنوداً في طاعته مجنَّدة بفضلِه وقدرتِه وجودِه ومشيئته .

وإذ قد قام الدليلُ على شرف العفو وفضله ، وتعيَّن بالواجب تعظيمُ من كان من أهله ؛ فلا بد في هذه الرسالة من ذكر شيء مما جاء فيه ، وإيراد [١٣] طَرَف في الاستعطاف والاسترحام ؛ إذ كانا من أسبابه ودواعيه .



مما جاء في العفو

قال اللهُ عَزَّ من قائل : « فاعفُ عنهم واصفحْ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المحسنينَ » (٢) .

وقال : « وَلْيَعْفُوا ولْيَصْفَحُوا ألا تُحِبونَ أنْ يغفرَ اللهُ لكمْ » (٣) وقال : « فَمَنْ عفا وأصلحَ فأجْرُهُ على اللهِ » (٤)

---

(١) سورة ص : ٣٩

(٢) المائدة : ١٣

(٣) النور : ٢٢

(٤) الشورى : ٤٠

وجاء في الحديثِ عن النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم أنه قال : (إذا كان يومُ القيامة يُنادي مُنادٍ ألا فليقُمْ مَنْ كان أجرُه على الله ، فلا يقومُ إلا منْ عفا) وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لو لم تُذْنِبُوا لجاء اللهُ بقوم يُذْنِبُونَ ثم يستغفرونَ فيغفرُ لهم) وما أحسنَ قولَ بعض الزهّاد : إن الله – عزّ وجلّ – أمر بالعفو ، وهو لا يكون عن البريء ، وإنما يكون عن المذنب المُسيء . ألم تسمعْ إلى قول الله تعالى : « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » (١) فوالله ما قال : على إحسانهم ، ولا على عدلهم .

الحسنُ بن هانيءٍ وهو آخر شعر قاله (٢) :

يا ربّ إنْ عَظُمَتْ ذنوبي كثرةً
فلَقَدْ علمتُ بأنّ عفوَكَ أعْظَمُ

إنْ كانَ لا يرجوكَ إلا مُحْسِنٌ
فمنِ الذي يرجُو ويدعُو المجرمُ ؟

أدعوكَ ربِّ كما أمرتَ تَضَرُّعاً
فإذا رددْتَ يديْ فمَنْ ذا يَرْحَمُ ؟

مالِيْ إليكَ وسيلةٌ إلا الرّجا
وعظيمُ عفوِكَ ثم أنّي مُسْلِمُ [١٤]

---

(١) الرعد : ٦

(٢) الأبيات في ديوانه : ٦١٨ . ورواية البيت الثاني :
فبمن يلوذ ويستجير المجرم .

حُكِيَ عن بعض ملوك العجم أنه أُتِيَ بأسير عظيمِ الجُرم، فقال له: لو كانَ هواي في العفو عنك لخالفتُه الى قتلك ولكن لما كان هواي في قتلك خالفته إلى العفو عنك. وعفا عنه. فمن بركة العفو أنه صرف هذا الملكَ عن موافقة هواه، وعَدَلَ به إلى متابعة هداه وتقواه.

ذُكر أن أحد خدم الملوك قال له يوماً: إني لأتعمّدُ الخطأ في خدمتك، وليس ذاك جهلاً بشرف طاعتك، [فقال: وما يَحمِلُك على ذاك؟ فقال رأيتُك شديدَ السرور] (١) إذا عفوتَ، فقصدتُ ما يؤدي إلى مسرتك. ومن ها هنا أخذ ابنُ القُمّي قوله:

وعبدُك إنْ يأتِ الذنوبَ فإنما

تَعَمَّدَ أنْ يهفو لأنْ تتَغَمَّدا

وكان أبو محمدٍ الخازن (٢) قد بَعُدَ عنِ الصاحب وفارق خدمته، ثم عاد إليه، فتلقّاه بالترحيب، وجعل إقالته العثرة سالمة من اللوم والتثريب، فكتب إلى أبي بكرٍ الخوارِزْمِيّ كتاباً منه: ولقد كنتُ أحسب العفو عني حِلْماً ولا أُقَدِّر ما جنيتُ يُعقِبُ حِلْماً، فكأني ما خطوت إلا في التماس قُرْبَة، ولا أخطأتُ إلا لتأثيل إيثارٍ ومحبّة (٣).

---

(١) إضافة من الحاشية.

(٢) هو عبد الله بن أحمد الخازن من شعراء أصبهان. له ترجمة في اليتيمة: ٣/٣٢٥ ـ ٣٢٩

(٣) رسالة الصاحب بن عباد هذه مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ في اليتيمة: ٣/٣٢٧

ولما وصل الفتكين الشرابي غلام معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه إلى الشام في خلافة العزيز بالله عليه السلام ، وسيّرت العساكر إليه تقرّر الصلح بينه وبين القائد جوهر على أن ينادي بشعار الدولة ثم نقض [١٥] ذلك ، ولم يزل يقرّره ثم ينقضه ، حتى خرج العزيز بالله عليه السلام إليه ، وتولى قتاله بنفسه بعد أن أبى ما أعطاه من الأمان ، وبذل له من الإحسان . فلما ظفر به ضرب له فازة (١) ، وأمر بأن تحمل إليه أنفس الفرش والآلات ، وردّ إليه كلّ ما عرفه من المنهوب له ، وكان جماعة قد أشاروا بأن يشهر على الفيل ، وبأن يجعل في قفص ، فأبت خلائقه إلا عفواً ، وموارد كرمه إلا صفواً . ويقال إنه أنفق في توبته إلى أن حصل في قبضته ألفي ألف دينار .

وحكى بعض البغداديين قال : كنت ببغداد في سنة ثمان وستين وثلاث مئة حين ورد كتاب أحد التجار بما فعله العزيز بالفتكين ، فوقعت ضجة ، واجتمع خلق لا تحصى ، ورفعوا أصواتهم بالدعاء له ، وخرجوا إلى مسجد براثا (٢) يدعون ، وأظهر الشيعة ما في نفوسهم من الولاء فما أمكن الملك فناخسرو (٣) إنكار ذلك لكثرة الناس . قال أبو الفتح بن المقدر المتكلم : استدعى الصاحب أبو القاسم في بعض الأيام شراب السكر ، فأحضر قدح منه ،

---

(١) بناء من خرق تستعمله الجنود ، وهي كذلك مظلة تمد بعمود .

(٢) محلة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ ، وكان لها جامع مفرد تصلي فيه الشيعة (معجم البلدان : ١/٣٦٢) .

(٣) هو عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة ، تولى ملك فارس ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة ، وكان عالماً بالعربية وينظم الشعر (انظر ترجمته في وفيات الأعيان : ٣/٢١٨ ، والأعلام : ٥/ ٣٦٤) .

فلما أراد أن يشربه قال له أحد خواصّه : لا تشربْه ، فإنه مسموم . وكان الغلام الذي ناوله إياه واقفاً ، فقال للرجل المحذِّر له منه : وما الشاهدُ على صحة قولك ؟ قال : [١٦] أن تجرّبَه على منْ أعطاكه. فقال : لا أستحسن ذاك ولا أستَحِلّه . قال : فعلى دجاجة . قال : إن التمثيل بالحيوان لا يجوز . وردَّ القدحَ ، وأمر بأن يُقلَبَ ما فيه ، وقال للغلام : انصرف عني ، ولا تدخلْ داري . وأمر بإقرار جارِيْه وجِرَايته عليه ، وقال : لا يُدفعُ اليقين بالشك . ولا تَحْسُنُ العقوبةُ بقطع الرزق .

ابنُ حَيُّوس [1] :

لعمريْ لقد بذَّ الملوكَ جميعَهُمْ
بأربعةٍ في غيرِه لن تألّفا

بأمنٍ لمنْ يخشى ، وقهرٍ لمنْ طغى
وسبقٍ لمنْ جارَى ، وعفوٍ لمنْ هفا

مَلِيٌّ بأن يأتي الجميلَ خليقةً
إذا ما أتاهُ المحسنون تكلّفا

---

(١) الأبيات في ديوانه : ٢/٣٩٢ ، من قصيدة يمدح بها سابق بن محمود ابن نصر بن صالح وأولها :

تخلّف عنه الصبر فيمن تخلفا — وقد وعد القلبُ السلوَّ فاخلفا

إبراهيمُ بنُ المهديّ (١) :

لعفوتَ عما لم يكنْ عن مثلِهِ
عَفْوٌ ولم يُشْفَعْ إليك بشافعِ

إلا العُلُوَّ عن العقوبةِ بعدَما
ظفرتْ يداك بِمُسْتَكينٍ خاضعِ

ورحمتَ أطفالاً كأفراخِ القَطَا
وحنينَ والهةٍ كَقَوْسِ النازِعِ

أبو سعيدٍ الرُّسْتُمِيّ (٢) :

يا بنَ الذينَ إذا بَنَوْا شادُوا وإنْ
أسْدَوْا يداً عادُوا، وإن يعِدُوا يَفُوا (٣)

إنْ حاربوا لم يُحْجِمُوا ، أو قارنُوا (٤)
لم يندَمُوا ، أو عاقبوا لم يشْتَفُوا

(١) الأبيات في الأغاني : ١٠/١٢٤ من قصيدة طويلة . ورواية البيت الثالث : وعويل عانسة . وهو إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور العباسي .

(٢) هو محمد بن محمد بن الحسن بن علي بن رستم ، من أبناء أصبهان وأهل بيوتاتها ، وهو من شعراء اليتيمة . والأبيات من قصيدة في الصاحب بن عباد أولها :

كفَّتك عن عذلي الدموع الوكَّفُ ونهتك عن عتبي الدموع الرجف

انظر اليتيمة : ٣/٣٠٤

(٣و٤) في اليتيمة : وفوا ، قاربوا .

ومتى استُجِيرُوا أسعَفُوا ، ومتى اسْتُنْبِـ
لُوا أسرفُوا ، ومتى استُفيدُوا أضعَفُوا

مِهيـار :

وكم آبقٍ من رقِّ ملكِكَ غامِطٍ
لنعماكَ لم ينهضْ بما قَدْ تَحَمَّلا
عفوتَ مراراً عن تمادِي ذنوبِه
وأبطرتَه بالعفْوِ حتى تَوَغَّلا (1)

فَصْلٌ

في الشفاعة والاستعطاف

[١٧] لما قَتَل الحارثُ بنُ أبي شَمِرٍ الغسانيُّ المنذرَ بنَ ماء السماء ــ وهو المنذرُ الأكبرُ ، وماءُ السماء أمه ــ أَسَرَ جماعةً من أصحابه ، وكان فيمن أسر شَأْسُ بنُ عَبَدَةَ في تسعين رجلاً من بني تميمٍ ، وبلغ ذلك أخاه عَلْقَمَةَ بنَ عَبَدَةَ الشاعرَ فقصد

(1) ديوانه : ٣/١٩٦ من قصيدة قالها بعد أن سجنه الملك شاهنشاه جلال الدولة ركن الدين أبي طاهر بن بويه بسبب وشاية ، ثم أطلق سراحه ، فهو يشكر نعمته ويعرض بالساعي ، وأولها :

أما وهواها عذرة وتنصلا — لقد نقل الواشي اليك فأمحلا

الحارثَ ممتدحاً بقصيدته المشهورة التي أوّلُها (١) :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ في الحِسانِ طَرُوبُ
بُعَيْدَ الشبابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ

فأنشده إياها حتى بلغ إلى قوله :

إلى الحارثِ الوهّابِ أعملتُ ناقتي
لكَلْكَلِها والقُصْرَيَيْنِ وجيبُ

إليكَ ــ أبيتَ اللعنَ ــ كانَ وَجيفُها
لمشتَبِهاتٍ هولُهُنَّ مَهِيبُ

هداني إليكَ الفرقدانِ ولاحِبٌ
له فوقَ أعلامِ المِتانِ عَلُوبُ (٢)

فلا تَحْرِمَنِّي نائلاً عن جنايةٍ
فإني امرؤٌ وسْطَ القبابِ غريبُ

وفي كلِّ حيٍّ قد خبطتَ بنعمةٍ
وحُقَّ لشأسٍ من نَداكَ ذَنُوبُ

---

(١) ديوانه : ١٠٥ ، والخبر مع الأبيات في العمدة : ١/٥٧

(٢) في الديوان : أضواء المنان . وفي حاشية النسخة : (ويروى : أجواز المتان . علوب : آبار وطرائق) .

فقال الحارثُ : نعم ، وأذْنَبَةٌ ، وأطلق له شأْساً أخــاه وجماعةَ أسرى بني تميم ، ومن سأل فيه من غيرهم •

ومن الشفاعات التي تضاعف الانتفاعُ بها لتصحيف اتفق فيها ، وقلما يُنْتَفَعُ بالتصحيف ، ما حكاه أبو عبد الله حمزةُ بنُ الحسين الأصبهانيُّ قال : ورد عــلى الفرزدق البصرَة مولىً له من البادية ، فأخبره أنه خلَّف بِسَفَوَان (١) امرأةً قــد عاذت بقبر أبيه غالبٍ ، فــرد الفــرزدق مــولاه من فوره إلى سفوان (٢) •••• [١٨]

عليُّ بنُ الجهمِ (٣) :

---

(١) في الحاشية : (سفوان على أميال من البصرة) •

(٢) بعد ذلك سقط في الكلام لا ندري مقداره ، وتتمة القصة أنه عندما حضرت المرأة سألها الفرزدق عن سبب استجارتها بقبر أبيه فقالت : إن لي بالسند ابناً قد جمّر منــذ سنين ، وقــد فزعت في فكــه إليك لتتلطف في استيهابه . فكتب الفرزدق الى تميم بن زيد القيني عامل خالد القسري على السند أبياتاً طويلة منها :

فاقفل حبيشاً واتخذ فيه منّةً   لغصة أم ما يسوغ شرابها

فاطلق تميم كل من كان اسمه : حبيش ، أو خنيس ، أو حنيش ، وعددهم أربعون فأمر لكــل منهم بخمسمائة درهــم ، وقال : قدموا جميعاً الى حضــرة أبي فراس (انظر الخبر في التنبيه علــى حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني : ١٤) •

(٣) ديوانه : ٧٧ من قصيدة كتب بها الى المتوكل وهو محبوس • أولها :

عفا الله عنك ألا حرمة   تعود بعفوك أن أُبْعَدا

لئِنْ جلَّ ذنبٌ ولم أعْتَمِـدْ [1] :

لأنتَ أجـلُّ وأعـلى يَـدَا

أقِلْـني أقالَكَ منْ لـم يزلْ

يَقِيكَ ويصـرفُ عنك الـرَّدَى

سعيدُ بنُ حميدٍ [2]

اغتفِرْ [3] زلَّتي لتحرزَ فَضْلَ الـ ....

....عَفْوِ عـني ولا يَفُوتُك أجرِي

لا تَكِلْني إلى التَّوَسُّلِ بالعُـذْ ....

.... رِ لعلّيْ أنْ لا أَقومَ بعُذْرِي

كاتبُ بكرٍ :

ولو أنَّ فِرْعونَ لمَّـا طَغَى

وقالَ عـلى اللهِ إفْكاً وزُورَا

أنـابَ إلى اللهِ مُسْتَغْفِراً

لَمَا وَجَـدَ اللهَ إلا غَفُورَا

---

(1) في الديوان : أعتمده .

(2) كاتب مترسل ، ولد ببغداد ، قلده المستعين العباسي ديوان رسائله . توفي سنة ٢٥٠ هـ . والبيتان في كتاب رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : ١٢٨

(3) في شعر سعيد : اغتنم .

الشهْزُوري ّ (١) :

يَسْتَوْجِبُ العفوَ الفتى إذا اعتَرَفْ

بِمَا جَنَاهُ وانْتَهَى عَمَّا اقْتَرَفْ

بقوله : (قُلْ للذين كفروا

إن يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لهم ماقد سَلَفْ)

مهيار (٢) :

أُعيذُكَ بالمجد المُحَسَّدِ أن يُرى

جَنَابُك عني ضيقاً وهْوَ واسعُ

وأعجبُ ما حدَّثْتُه حفظُكَ العُلا

وعبدُكَ (٣) في أيام ملكِكَ ضائعُ

أبو إسحق الصابي (٤) :

---

(١) هو أبو حفص الشهزروري ، من شعراء اليتيمة من ظرفاء الأدباء والشعراء ، وكان في بصره سوء ، وقد ورد على الصاحب وأنشده شعراً . والبيتان في اليتيمة : ٣٩٢/٣ ، وهما كذلك في اليتيمة : ٣١٦/١ وقد نسبا هناك لعبد المحسن الصوري .

(٢) ديوانه : ١٩٦/٢

(٣) في الديوان : ومثلي .

(٤) البيتان في اليتيمة : ٢٩٦/٢ من قصيدة كتب بها الصابي الى عضد الدولة وقد خرج الى الزيارة بالكوفة ، وأولها :

توجهتَ نحو المشهد العلم الفَرْد

على اليُمْن والتوفيق والطائر السعد

أمولايَ مولاكَ الـــــذي أنتَ ربُّه

إليكَ على جَوْرِ النَّوائبِ يَستَعْدِي

وَهَـــذي يدي مُدَّتْ إليكَ بقصَّةٍ

أُعِيذُكَ فيها من إبـــاءٍ ومِنْ رَدِّ

والمملوك مقرِّر هذه الرسالة خدمة كان رفعها إلى المجلس العالي المالكي ــ خلد اللهُ سلطانه وشيَّد أركانَه ــ وهي: « وأيوبُ إذْ نادى ربَّــه أنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وأنتَ أرحمُ الراحمــــينَ [١٩] فاستجبْنَا له فكشفْنَا ما به من ضُرٍّ » (١) لو كان للمراحــم عن الشِّيَم الشريفــةِ الأفضلية مَعْدِل؛ أو للعواطف عنها مرجعٌ أو موئِل؛ لما مَنَعَ ذلك ذوي العقول من قصد الجنابِ الكريم المالكي الأفضلي وقوفاً بآمالهــم في رحيبِ ساحاتِه، وتخييماً برجائهــم في مَصُونِ عَرَصَاتِه؛ إذ كان كلُّ مملوك فإلى مالكه معاذُه ومفزعُه، ولسلطان عصره ملاذه وإليه مرجعُه. فكيف وأنواعُ الرأفة إلى مولانا ــ خلَّــد اللهُ ملكَــــه ــ منسوبةٌ، وأقسامُ العواطف من سمائه مُسْتَنْزَلَةٌ مطلوبةٌ، والجرائم عنده ــ وإنْ عَظُمَتْ ــ مسموحٌ بها مرهوبةٌ على أن سطوتَه بالإجماع مَخُوفَةٌ، وهيبته مرهوبة. لا جَرَمَ أن الله تعالى خصه من الرحمة بما هو معدود من صفاته؛ وأفرده من الخصائص ببدائع الفضل ومعجزاته. والله أحكم بتدبير خلقه، وأعلم حيث يجعل رسالاتِه. والمملوك يُقَبِّلُ الأرض بالمقام الكريم؛ ويُنهي ما هو عليه من ضر قد قصَّر عنه جَلَدُهُ؛ وضاق فيه بروحــه جَسَدُهُ. وأصار راحمَه من كان يَحْسُدُه؛ وقــد

---

(١) الأنبياء: ٨٣ ــ ٨٤

تهكته العُطْلة والبَطالة ، وأطال الزمانُ دفاعَه عن الحظِّ ومِطالِه ، وله حُرمةُ من نشأ في ظل دولته القاهرة ، وفاضت عليه سحائب مكارمِه الغامرة [٢٠] ورُبِّيَ في دواوين مملكته السعيدة ، وتميَّز بالمسير تحت ركابه في الأسفار القريبة والبعيدة، ومانعرف ذنباً أتاه كَفَرَ به نعمتَه وإحسانَه ، ولا أنه خرج في الإخلاص له والعبودية عما هو عليه لله سبحانه ، لكنه يعلم أن أحداً من المماليك لا يكون في أمر يكرهه ويَسُوؤُه إلا لذنب متقدِّمٍ أحصاه الله ونَسُوه ، فلذلك يعترف بين يديْ مولاه ومالكه بمثل ما اعترف به أول مخلوق إلى بارئه وخالقه ، فيقول : « رَبَّنَا ظلمنا أنفسَنَا وإنْ لَمْ تغفرْ لنا وترحمنا لنكونَنَّ من الخاسرينَ »(١) . ومعلوم أن كلَّ كبيرة تَغْرَقُ في بحار رحمته ، وكلَّ عظيمة تضيع في واسع مغفرته ، فبموضع الله من قلبه إلا رَحِمَ منه ذليلاً ضعيفاً بين الميتِ والحيِّ ، وعبداً مملوكاً لا يقْدِرُ على شيء ، ومسكيناً يقول في استرحامه ومناجاته مثلَ ما قاله الأعرابيُّ في استغفاره ومناداته : اللهم اغفرْ لي ؛ فإنك تجدُ من تعاربه غيري ، ولا أجد منْ يغفر لي غيرَكَ . وقد تَحَرَّمَ بصدق الرجاء في نجح طلبه ، واستشفع بمن لا يخيب من استشفع به :

شفيعيْ إليك اللهُ لا شيءَ غيرُهُ

وليس إلى رَدِّ الشفيعِ سبيلُ [٢١]

وقد ختم المملوكُ رسالته بهذه الخدمة تجديداً لشكوى حاله ، وطلباً للرحمة الشاملة لأمثاله ، فقد واللهِ اشتدَّ ضُرُّه وزاد ، وبلغ به الدُّثورَ أو كاد:

---

(١) الأعراف : ٢٣

ومنْ كانَ في أيـــامِ ملكِكَ خامِـــلاً

ففي أيِّ ملكٍ يَسْتَرِيشُ ويَسْتَعلِي (١) ؟

بَقِيْتَ بلا بعـد يُرَجَّى (٢) انتظـــارُه

كما أنتَ إن عُدَّ الملــــوكُ بـلا قَبْلِ

آمينَ آمينَ آمينَ « وآخِرُ دعواهُمْ أنِ الحمـدُ للهِ ربِّ العالمين » (٣) وصلى اللهُ علـى سيد المرسلين محمدٍ نبيه وعلـى آله الطاهرين ، وسلَّم تسليماً . اللهُ حَسْبُ المملوك ونعم الوكيلُ .

---

(١) البيتان لمهيار كما في ديوانه : ٣/٤٣ من قصيدة أولها :

أروم الوفاء الصعب بالمطلب السهـــل

وأرتاد جـــود الحب في منبت البخـــل

(٢) فوقها : (يراعى) ولعلها رواية أخرى .

(٣) يونس : ١٠

رِسَالَةُ رَدِّ الْمَظَالِمِ



رسالة

سماها رد المظالم

الحمدُ لله العادلِ في أحكامه ، الشامل بإنعامه ، الجاعلِ مملكةَ أرضه فيمن يستكملُه ويرتضيه ، والمستخلفِ في تدبير خلقه من توجبه الحكمة وتقتضيه ، والكافلِ بالخيرة لعباده وإن كان منها ما يتباين إراداتِهم ، والفاعل فيها ما يشاء من تفاوت رتبهم وتباعد درجاتِهم ، والقائلِ في كتابه الكريم حُجَّةً للمفوّضين،ورداً على المعترضين«نحنُ قسمْنا بينهم معيشتَهم في الحياةِ الدُّنيا ورفعْنا بعضَهم فوقَ بعضٍ درجاتٍ ليتَّخِذَ بعضُهم بعضاً [٢٢] سُخرِيّاً ورحمةُ ربِّك خيرٌ ممَّا يجمعونَ » (١) .

لا إلهَ إلا هو ، له الحمد في الأولى والآخِرة ، وله الحُكْمُ وإليه يُرجعون . وصلى الله على سيدنا محمدٍ رسولِه الذي شرّفه واجتباه ، وأظهره على من خالف دينَه وأباه ، وفضَّلَه على مَنْ سبقه من الأنبياء وتقدَّمَه ، ومكَّنَه ممنْ عصاه وأباح بحد سيفه دمَه ، وعلى آله الأئمةِ الطاهرين الذين أوجب لهم على عباده إيثاراً وحباً ، وقال ــ عزَّ من قائلٍ ــ : « قلْ لا أسألُكُمْ عليه أجراً إلا المودَّةَ في القُربَى » (٢) وسلَّم عليهم أجمعين سلاماً متصلَ الدوامِ ، باقياً ببقاء الليالي والأيامِ . قد اتفق أولو الدِّراية والعقل ، وأجمع ذوو الرواية والنقل ، على أن أحوال الأزمنة معلومة من سِيَرِ ملوكها ، وأن

---

(١) الزخرف : ٣٢

(٢) الشورى : ٢٣

هذا المُعْتَقَدَ طريقة لا ضَلاَلَ في سلوكها ، وذلك في تفاضل الأيام هو السبب والعِلَّة ، والحُجَّةُ التي قامت على صحتها البراهينُ والأدِلَّة . وهذا أصل قوي يعبِّد طريقَ الإفصاح عما قصدناه ، ومعنىً جليٌّ يمهِّد سبيل الإيضاح لما أردناه ، فنقول : قد ثَبَتَ بالعيان والسماع ، وعُرِف بالوفاق والإجماع شرفُ هذا الزمن الذي عمت فيه السَّعَةُ ، وعظُمَتْ به المنفعةُ ، وأُمِنَ فيه ما يُخْشَى ويُتَوَقَّى ، وأَخَذَت مطالبُ أهليه تسمو وتترقَّى ، ولم يبقَ إلا من غدت [٢٣] أمانيُّه متحكِّمة على زمانه ، وآماله متأكِّدةَ الثقة بكفالة الحظ وضمانه . وهذا بحسن سيرة مولانا الملكِ السيِّد الأجلِّ الأفضلِ ، أمير الجيوش سيفِ الإسلام ، ناصر الإمام ، كافلِ قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين ، الذي خضعت لدولته جبابرةُ الملوك ، وتنزَّهَ اليقينُ بذلك عن اعتراض الشكوك ، وارتفعت صفاته عن استطاعة مخلوق وقدرته ، وثبتَتْ معجزاتُه فقامت بعذر المقصِّر في تقريظها وحُجَّتِه ، فإذا طالعتِ الأبصارُ نور بهائهِ ارتدَّت عنه وكلَّتْ ، وإذا سلكت القلوبُ نَهْجَ علائه حارت فيه وضلَّت ؛ لأن مناقبه أعلى من أن يسموَ إليها المدح والصفة ، ومفاخِرَهُ أعظمُ من أن يحيطَ بها الإدراكُ والمعرفة :

هـذي مناقِبُ قـد أغناه أيْسَرُها
عنِ الـذي شَرَعَتْ آبـاؤه الأُوَلُ

قد جاوَزَتْ مَطْلِعَ الجوزاءِ وارتَفَعَتْ
بحيثُ يَنْحَطُّ عنها الحُوتُ والحَمَلُ (١)

(١) البيتان من شعر المؤلف ابن الصيرفي وهما في معجم الأدباء : ١٥/٨١

ومن أوضح براهينه لمن تمسَّك بالحق وتعلق بأسبابه ، وأقوى الدلائل على سِرّ الله الكريمِ وعنايته تعالى به ؛ أن المجتهد في وصفه لا يخشى من يناقِضُه ، ولا يَخَافُ من يعارِضُه ، ولا يتَّقِي من يحمِلُه على المبالغة والغُلُوّ ، ولايعلم أحداً ينسبه إلى الظلم والعُلُوّ ، بل لا يعدَم [٢٤] من إذا سمعه استقصر ونَدَّى ، وإذا استنزر ما أتى به نَكَصَ ولم يجد وزرا ، هذا إن اعتقد أنه وفَّى الامتداح حقَّه ، وعفَّى مذاهبَ الانتقاد وطُرُقَه ، وتيقَّن تأديته الفريضة مُكَمَّلَة ، وقضاءَه إياها مرضية (١) متقبَّلَة . فأما إذا سلك المحجَّة القويمة ، وتنكَّب السبيلَ المكروهة الذميمة ، واستعذَبَ قول الحق فأقر بعجزه ، واعتمد على تصريحه دون إشارته ورمزه ؛ فقد نافى ذوي التهمة والظَّن ، وأَجَرَّ ألسنةَ أولي العيب والطعن . وهذه حالنا فيما نورده من أوصافه ، وقضيتُنا في شكر الله سبحانه على تسليكه علينا واستخلافِه . ونحن الآن نذكر المُراد بهذا الجزء الذي جعلْنا الخدْمةَ به قُرباناً ، ورجونا بما نحونا فيه سعادة أُولانا وأُخرانا .

فَصْـــلٌ (٢)

اعلم أن النظر يقتادُ كل عاقل مميِّزٍ ، ويضطر كل منتسب إلى العلم متحيِّز ، إلى الإقرار بأنه أشرفُ الملوك وأكملُهم ، وأعمُّهم

---

(١) فوقها تعليق : (مرتضاة) .

(٢) فوقها التعليق التالي : (في شرف السيد الأجل الأفضل في أنه أفضل من تقدمه من الملوك وأشرفهم) .

بضروب الرحمة وأشملهم . وبرهان ذلك أنه إذا تأمل الموجودات متيقظ . ورتبها في مراتبها .... (١) زمن الأهواء متحفظ ، فأشرفها [٢٥] بلا مخالفة في ذلك الحيوان ، ثم المخصوص بالنطق منه وهو الإنسان ، ثم مدبرو المدن الذين عضدتهم القوى الملكوتية ، وفاضت عليهم الأنوار الإلهية ، ثم الأقرب منهم فالأقرب . والأمثل فالأمثل ، ثم الجامع لذلك وهو مولانا الملك السيد الأجل الأفضل . وهذا مالا خفاء به ، ولا لبس فيه ، ولا ريب يبعده عن محض الحقيقة وينفيه ، فهو سيد أهل الأرض مذ فخرت البسيطة بظهوره ، وسلطان هذا الخلق مذ استقر في دسته ، واستوى على سريره ، وظل الله الممدود على كافة المقرين بكلمة التوحيد ، وصفوته الثابت علمها من جهة الاستدلال لا من جهة التقليد . فلا سبيل لعاقل أن ينكر ذلك ويجحده ، بل الواجب على كل ناطق أن أن يقوم بين يديه وينشده :

مَنْ شكَّ أنكَ مخلوقٌ لِتَملكَهُ
كمثلِ مَنْ شكَّ أنَّ اللهَ خلاَّقُ

على أن مقامه الشريف يجعل كل بليغ لكِناً ، ويعيده حَصِراً ، وقد كان فصيحاً لَسِناً :

هُوَ موقفٌ تُغضي العيونُ مهابةً
فيهِ ويَعثُرُ بالكلامِ المنطقُ

---

(١) كلمة مطموسة في الأصل .

وقد ازدحمت بفِنائه ضروبُ الأمم، وتواصلت إليه ملوك العرب والعجم ، وهاجروا نحو بابه راجين مُهْطِعين ، وأمُّوا ظلَّه لاجئين إليه منقطعين [٢٦] ولقد ورد منهم اثنان مُتباعِدا الأُفقَيْن ، مُتَبَايِنا المنطقين وهما ملكا غانةَ وفرغانةَ ، فأزال من قلب كلٍّ منهما أحقادَه على الدهر وأضغانَه ، فاعتبروا يا أُولي الأبصار كيف أحسن حتى إلى الدهر فأصلح القلوب له ، وجعل ذلك من شكر الله على ما قَمَّصَهُ إياه وَسَرْبَلَه • وهذا إشارة إلى القدرة التي خُصَّ بها ، والعظمةِ التي استقر في أشرف منصبِها • وإذا تأملنا ما سَفَرَ فيه البيان وتبرَّج ، وأسفَرَ به صبحُ الإبداع وتبلَّج ، وأخرجت منه الضمائر جواهرَ كانت مستترة ، ونظمت به الخواطر عقوداً ما زالت منتثرة ؛ وجدنا ضروباً من الأقوال متَّسعة ، وأصنافاً من المِـدَح متشعبة متنوّعة ، تدعو الناظرَ المحرّرَ ، والمتأمّلَ المتصوَّر . والعاملَ بفريضة العدل تَعَرُّضاً لجزائه ، والمناضلَ عن الحق رغبةً في انتسابه إليه واعتزائِه ، إلى القول إنَّ كلَّ لسان انطلق في أيامه بخدمة ملوكيَّة فما قصد غير مدحِه ، وكلَّ بيان انبعث في أوصافه حقيقية فما أراد سوى تفصيلِ ذلك وشرحِه ، فلله در أبي نواس إذ يقول :

وإنْ جَرَتِ الألفاظُ يوماً بمدحة

لغيرك إنساناً فأنت [الذي نعني] (١)

---

(١) ما بين المعقوفين مطموس في الأصل ، وقد أكملناه من الديوان : ١٥٤ والرواية هناك : منا بمدحه • والبيت من قصيدة يمدح بها الأمين ، وأولها :

ملكت على طير السعادة واليمن — وحزت إليك الملك مقتبل السن

وما أحسنَ قولَ ابنِ الرومي (١) : [٢٧]

إن أَسْرِقِ الشعـــراءَ شعرَهُمُ
فجــزاءُ ما سَرقُوا من المجـــدِ

سرقُوكَ مجـــدَكَ وهو مُدَّخَرٌ
من قبـــلِ أنْ تُلْقَى إلى المَهْدِ

وكَسَوْهُ قوماً لا يليقُ بهـــمْ
من ماجِدٍ وَسَطٍ ومنْ وَغْـــدِ

فَرَدَدْتَ حقَّكَ غـــيرَ مُعتذِرٍ
منهـمْ (٢) إلى حُرٍّ ولا عَبْـــدِ

فَعَمَدنا إلى هذا الباب ذاكرين منه أُنموذجاً لنظائره ، واقتصرنا عليه إذ لا طمعَ لنا في ذكر سائره ، واعتمدنا عـلى ما لم يَبْتَذِلْه الاشتهارُ ، وقصدنا ما لم يكن للألسُن به استهتار ، واجتهدنا في إيراد ما لم تُخْلِقِ الأسماعُ جِدَّتَه ، وخدمنا بما لم تَسْلُبِ الروايةُ رُوَاءَه وبهجتَه . وقد يأتي في تضاعيفه ما ليس من شرطه حسب ما يُوجبه تَفَرُّعُ التصنيف ، ويقضي به تشعب التأليف . وسمينا ذلك رد المظالم لأنه حق لمولانا .

وقد حُلِيَتْ على غير أكفائه عروسُه ، وأُديرت على غير شَرْبه

(١) ديوانه : ٦١٥ ، من قصيدة في أبي سهل بن نُوبخت .

(٢) في الديوان : منه .

كؤوسُه ، فافتَضَّتْ أسماعُهم أبكارَه ، وشربت أفهامُهم عُقارَه .
وهذا ظلم من ناظمه وقائله ، وتعدٍّ من سامعه وقابله .

ومن أقسام سيرته الشريفة العدلُ في إعادة الحقوق إلى أربابها ، واستخلاصها من دار ذُلِّها واغترابِها . فاستعملنا بعض سيرته في وصفه ، ورجونا الله بذلك في دفع المكروه عنا وصرفه ، والله يسعدنا [٢٨] ويوفقنا وعليه توكلُنا ومُعتَمَدُنا .

وهذه بدايةُ الكتاب :

قال محمدُ بنُ عيسى (١) :

مَلْكُ الورى والندى والبأسِ أنصُلُه
هِنْدِيَّةٌ وعطاياهُ هُنَيْدَاتُ (٢)

---

(١) في الحاشية : (ابن اللبانة) وهو أبو بكر محمد بن عيسى ، أديب أندلسي شاعر ، من أهل دانية . كان من كبار دولة ابن صمادح ، وتوفي بميورقة (انظر ترجمته في الخريدة ، قسم شعراء المغرب والأندلس : ١٠٦/٢ ، ونفح الطيب : ٢٥٦/٤ ، ووفيات الأعيان : ٢٦/٥ ، والوافي بالوفيات : ٢٩٧/٤) .

(٢) في الحاشية : (هنيدة ، مئة من الابل ، لا تنون لأنها معرفة ، ولا تدخلها الألف واللام . يقال : له من الابل هنيدة ولا يقال : له هنيدة من الابل لأنها لا تكون من غر الابل) والبيتان في الخريدة : ١٠٩/٢ . والمختار من شعر شعراء الأندلس : ١٢٣

وبدرُ سبعٍ وسبعٍ تستنيرُ به السَّـــ
ـــبعُ(١) الأقاليمُ والسبعُ السماواتُ

ومن قصد بهذين البيتين وما يُجاريهما صفةَ مولانا فكأنه لقول الحق إنما تلا قرآناً ، وهما على الحقيقة كغيرهما من المدائح الشريفة لأنهما لما كان مآلـهما إلى العرض بالمقام الأعظم ـ ثبَّت الله سلطانه ـ وكانا يشتملان عـلى بعض صفاته صارا كلتاهما (٢) من خـدم شعراء المجلس العالي وعفاتـه • وهـذا حكم باب المآل ، ونهاية التصانيف للأقوال • قال الله عز وجل : « إنّي أراني أعصِرُ خمراً » (٣) والخمر لا يُعْصَرُ ، وإنما يُعْصَرُ العنب ، لكنه لما كان المـآل إلى الخمر سُـمِّي المعصورُ خمراً •

ومثله قوله تعالى : « فالتقطه آلُ فِرعونَ ليكُونَ لهم عَدُواً وحَزَناً » (٤) وإنما التقطوه ليكون لهم سروراً وولداً ، لكنه لما كان مآلـه إلى العداوة جُعل علـه للالتقاط •

قال عبـدُ الله بنُ محمدِ بنِ سنانِ بنِ سعيدٍ الخفـاجي الحلبي (٥) : [٣٩]

---

(١) في الحاشية : (الوجه السبعة لأن الأقاليم مذكر) •

(٢) كذا في الأصل •

(٣) يوسف : ٣٦

(٤) القصص : ٨

(٥) صاحب سر الفصاحة (ت : ٤٦٦ هـ) والأبيات في ديوانه : ٩٦ ـ ٩٧ ، من قصيدة يمدح بهـا شرف أمراء العرب أبا سلامة محمود بن نصر وأولها :

هل غادر الشعراء من يترنم ‏‏ ‏‏ إن كان يُسمع ما أقول ويُفهم

لا يَدَّعي الفصحاءُ فيك غريبـــةً

والبيضُ تُنْثَرُ والأسنَّةُ تُنْظَمُ

إنْ أحسنُوا عنكَ الثنـــاءَ فإنها

نَطَقَتْ بمدحِك قَبْلَ أنْ يتكلَّمُوا

عجباً لوجهِكَ كيف بارقُ بِشْرِه

تهمي سحائِبُـهُ ولا يَتَغَيَّـــمْ

ومن العجائبِ أنَّ بِيْضَ سيوفِهِ (١)

تبكـــي دَماً وكأنهـــا تَتَبَسَّمُ

فأما الأوَّلُ فمن مليح التوريةِ وقد أتى بها في قوله (٢) :

وصفوا بياضَ يدِ الكليمِ بِمعجِزٍ

فيهِ وكـمْ لكَ من يـــدٍ بيضاءِ

واستطرفُوا إحيـــاءَ عيسى ميِّتاً

فَرْداً وجودُك باعثُ الفقـــراءِ

وقال (٣) :

(١) في الديوان : سيوفكم .

(٢) لم نجدهما في ديوانه .

(٣) ديوان ابن سنان : ٣٨ ، من قصيدة يمدح بها أبا سلامة محمود بن نصر وأولها :

يحاربني في كل نائبة دهري كأن الرزايا تدرك الفخر في قسري

من القومِ صالَ (١) الدهرُ إلا عليهِمُ

وصالُوا ببيضِ الهندِ حتى على الدهرِ

أشدّ احتقاراً بالردى (٢) من حُسامِهِ

وأدنى إلى سِرِّ الأعادي علـى (٣) الذعرِ

له خُلُقٌ في المَحْلِ غَيْثٌ وفي الصَّبَا

نسيمٌ وفي جُنْحِ الدُّجى غُرَّةُ البدرِ

وقد استَعمل تركيبَ هذا البيت في موضع آخر فقال (٤) :

ما هـزَّهُ طـربُ العُقَار وإنمـا

أعطتْـه نشوةَ كأسِها الأخـلاقُ

هيَ في الهوَى وعدُ الوصالِ وفي الكرى

طيفُ الخيـالِ وفي الوداعِ عِناقُ

وهو مأخوذ من قول ابنِ نُباتَةَ :

إنّهـا في السَّحَابِ وَبْلٌ وفي الرْ

ريـح نسيمٌ ونَشْوَةٌ في الشَّرَابِ

---

(١) في الديوان : صار .

(٢) في الديوان : للردى .

(٣) في الديوان : من .

(٤) ديوانه : ٧٦ من قصيدة يمدح بهـا الأمير نصر الدين مكين الدولة الحسين بن علي وأولها :

في كـل يوم نشطة وفراق فمتى يكـون لدائهـا إفراق

فأما قوله :

أشَدُّ احتقاراً بالرَّدَى من حُسَامِهِ

فهذا الصدر يصلح أن يُعَجَّزَ بقول أبي الطيب :

وأَقْدَمُ (١) بين الجحفلينِ منَ النَّبْلِ [٣٠]

على أن صدرَ بيتِ أبي الطيبِ مناسبٌ للعجُزِ المذكور ؛ لأنه قال :

أَقلُّ بلاءً بالرزايا من القَنَا

فيصير هذا العجز مع صدرين .

قال محمدُ بنُ عبادِ بنِ عمرو (٢) :

سَمَيْدَعٌ يهبُ الآلافَ مبتدِئاً

ويَسْتَقِلُّ عطاياه ويَعْتَذِرُ

(١) في الحاشية : (لما قيل لأبي الطيب : لم قلت : وأقدم ، والوجه أن يقال : أشد إقداماً ، لأنه مأخوذ من أقدم ؟ قال : إنما أخذته من قدم لأن الاقدام على الشيء قرب منه ودنو إليه) والبيت في ديوانه : ٤٦/٣ من قصيدة يرثي بها أبا الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة .

(٢) في الحاشية بخط مغاير : (هو ابن مكنسة) وهي حاشية غير صحيحة . فابن مكنسة هو اسماعيل بن محمد من أهل الاسكندرية ، والشاعر هنا هو محمد بن عُباد أبو القاسم الملقب بالمعتمد . والبيتان في ديوانه : ص ١٠٠ من قصيدة أولها :

سكِّنْ فؤادك لا تذهبْ بك الفكر ماذا يعيد عليك الهمُّ والسهرُ

وهما كذلك في المطرب من أشعار المغرب : ١٥ ، وفي الخريدة (قسم شعراء المغرب) ٣٢/٢

له يــدٌ كــــلُّ جبَّارٍ يقبِّلُها

لولا نَدَاها لقُلْنا : إنها الحَجَرُ

ولو أمكنه أن يقولَ الحجــرَ الأسود لكشف المراد وبيَّنَه ، وأظهر المعنى وحسَّنه . وقد اتفق ذلك لمحمودِ بنِ القاضي الموفَّقِ أحدِ مماليك مولانا ، و [كاتب] انشاء دولته في قوله يصف كتاباً ورده ، ويذكر أن الفاتكَ والناسكَ يلقياه (١) بالتبجيل ، وقابلاه بالتقبيل كأنما قد حلَّ فيه اللَّمى ، أو ذاب فيه الحجرُ الأسود . على أن ابن مكنسة ذكر الحجر غــير موصوف ، فلم يُشْكِلِ المرادُ فيه . وسبب ذلك ما قرنه به ، وضمَّه إليه ، فقال من قصيدة أوَّلُها :

لمثلِ ذا اليومِ كان السَّعْدُ يَنْتَظِرُ

منهـــا :

كأنَّك البيتُ قدْ طـــافَ الحجيجُ به

وفي رِكابَيْكَ حَـــلَّ الركنُ والحَجَرُ

فأما قصيدة محمدٍ المقــدَّمِ ذكرُه فإن لعبد اللهِ بنِ سنانٍ قصيدةً عـــلى وزنها وفي معناها عـــلى تقارب العصرين وتباعــد المُسْتَقَرَّيْن ، منها ما هو من شرط [٣١] هذا الكتاب . قال منها (٢) :

مَلِكٌ له سيرةٌ في العــدل مُعْجِزَةٌ (٣)

لولا الشريعـــةُ قلنـــا إنَّهـــا سُوَرُ

---

(١) كذا وردت ، وصوابها : يلقيانه ، أو لقياه حتى تتسق مع ما بعدها .

(٢) ديوان ابن سنان الخفاجي : ٤٤ ، من قصيدة يمدح بها ناصر الدولة أبا علي بن ناصر الدولة الحسين بن علي بن حمدان وأولها :

السيف منتقم والجد معتذر وما عليك إذا لم يسعد القدر

(٣) في ديوانه : واذكر لهم سيراً في المجد معجزة .

قومٌ إذا طلبَ الأعــداءُ عيبَهُمُ

فما يقولونَ إلا أَنَّهــم بَشَــرُ

تسمو البلادُ إذا عُدَّتْ وقائِعُهُمْ

فيها وتَبْتَسِمُ الدُّنيا إذا ذُكِرُوا

إنَّ الخلافــةَ ما زالتْ منابِرُها

إلى سيوفِهِمُ في الرَّوْعِ تَفْتَقِرُ (١)

فهــمْ (٢) صوارِمُها والبِيضُ نابيةٌ

وشُهْبُها وظلامُ الخَطْبِ مُعتكِرُ

قالَ أحمدُ بنُ عبدِ الله (٣) :

ترى الدَّهْرَ إنْ يبْطِشْ فمنكُمْ يمينُهُ

وإنْ تضحكِ الــدُّنيا فأنتُمْ لها ثَغْرُ

عَطَــاءٌ ولا مَنٌّ وحُكْمٌ ولا هَوًى

وحِلْــمٌ ولا عَجْزٌ وملكٌ (٤) ولا كِبرُ

---

(١) في الديوان :

فهي الخلافة لا زالت منابرها الى سيوفكم في الروع تفتقر

(٢) في الديوان : أنتم .

(٣) في الحاشية : (ابن زيدون القرطبي) والأبيات في ديوانه : ٤٠ ـ ٤١ من قصيدة يمدح بها ابن جهور ويرثي والدته ، وأولها :

هو الدهر فاصبر للذي أحدث الدهر فمن شيم الأبرار في مثلها الصبر

(٤) في الديوان : وعز .

طريقتُكُـــم مُثْلَى وهــديُكُمُ رِضىً
ومَذْهَبُكُمْ قَصْدٌ ونائلُكُمْ غَمْرُ (١)

وهذا ضِـدُّ قول العبَّاسِ بنِ الأَحْنَفِ (٢) :

وِصَالُكُمُ هَجْـــرٌ وحبُّكُمُ قِلَىً
وقُرْبُكُمُ بُعْـــدٌ وسِلْمُكُمُ حَرْبُ

ومن مليح التقسيم قولُ ابنِ حَيّوس (٣) :

لعمريْ لقـــدْ بَذَّ الملوكَ جميعَهُـــمْ
بأربعـــــةٍ في غــــيرِهِ لنْ تَأَلَّفَا

بأَمْنٍ لمنْ يَخْشَى وقَهْـرٍ لمنْ طَغَى
وسَبْقٍ لمنْ جارَى وعَفْوٍ لمنْ هَفَـا

وقوله (٤) أيضاً :

(١) في الديوان : ونائلكم غمر ومذهبكم قصر .

(٢) ديوانه : ١٩ ، والرواية هناك :

وصالكم صرم وحبكـم قلىً وعطفكم صد وسلمكـم حرب

من قصيدة أولها :

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى عشير الذي ألقى فيلتئم الشعب.

(٣) سبق تخريج هذه الأبيات .

(٤) ديوانه : ٤٦٢/٢ ، من قصيدة في مدح أبي الفضائل سابق بن محمود ابن محمود ، وأولها :

ضلَّ من يستزير طيف الخيال هل تُداوى حقيقةٌ بالمُحالِ

فَقَصَّـــرَ السابقونَ دونَ مَـــــدَاها

وتَمَلَّكْتَهَـــــا بستٍّ خِصَـــالِ

مَكْرُمَاتٌ مَعَ اعتـــــذارٍ ، وعَفْوٌ

باقتـــدارٍ ، وعِفَّـــةٌ في جَمَـــالِ

وقوله (١) أيضاً :

ثمانيَةٌ لم تَفْتَرِقْ مـذْ جمعتَهـــا

فلا افْتَرَقَتْ ما ذَبَّ عن ناظِرٍ شُفْرُ [٣٢]

يَقينُكَ والتَّقوى ، وجـــودُكَ والغِنى

ولفظُكَ ، والمعنَى ، وعَزْمُكَ ، والنَّصْرُ

ومن مليح مافي هذا الباب لما تضمَّنه من ذكرِ الجواب قولُه (٢) :

وبعــــدَ بيتِ رسولِ الله ما فَخَـــرَتْ

بمثـــلِ بيتِكَ لا عُجـــمٌ ولا عَرَبُ

---

(١) ديوان ابن حيوس : ٢٤٢/١ من قصيدة يمدح بها نصر بن محمود ويرثي والده . أولها :

كفى الدين عزاً ما قضاه لك الدهر فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر

(٢) ديوانه : ٤٦/١ ولم نجد إلا البيت الأول فقط ، وهو من قصيدة يمدح بها الأمير المؤيد وأولها :

لا زلتَ تعلـو وإنْ حســادُك التأبوا

أو يبلـغَ الحـظ مـا يقضي به الحسب

والبيت الثاني غير موجود في الديوان كله .

إنْ ناضلُوا نَضَلُوا ، أو فاضلُوا فَضَلُوا

أو حاربوا حَرَبُوا ، أو خاطبوا خَطَبُوا

وقد أحسن أحمدُ المُقَدَّمُ ذكره فيما أتى به من ذلك في الغَزَلِ فقال (١) :

يا بائعاً حظَّه مني ولو بُذِلَتْ

لِيَ الحياةُ بحظّي منه لَمْ أَبِعِ

تِهْ أَحْتَمِلْ . و اسْتَطِلْ أَصْبِرْ.وَعِزَّ أَهُنْ

وَوَلِّ أُقْبِلْ ، وقُلْ أَسْمَعْ ، ومُرْ أُطِعْ

وهو كثير .

ولأحمدَ بنِ عبدِ الله (٢) أيضاً :

يا خيرَ مَنْ ركب الجَوا (٣)

دَ وسارَ في ظِلِّ اللّواءِ

لا زِلْتَ (٤) للدنيا فَأَنْـ

ـتَ دَوَاؤُها مِنْ كُلِّ دَاءِ

---

(١) ديوان ابن زيدون : ١٨٨ من مقطوعة في أربعة أبيات .

(٢) ديوانه : ١١٧ ، من قصيدة في المعتضد وقد شرب دواء ، وأولها :

أَحْمَدْتَ عاقبة الدواءِ ونلتَ عافية الشفاءِ

(٣) في ديوانه : الجياد .

(٤) في الديوان : وبقيت .

وَوَرِثْتَ أعمارَ العِـدَا   وقَسَمْتَهَا في الأوليـاءِ
وبَقِيْتَ مَفْـدِيّاً بنـا   إذْ نحنُ جُزْنَا في الفِدَاءِ

ومثلُ هذا لحسنِ بنِ عبدِ الصَّمدِ (1) ، وقد كانا في عصر ، وإن لم يجتمعا في مصر ، فلا أدري هل تسارقا أم توافَقَا :

لا زِلْتَ مخفوضَ العِـدا   ما عِشْتَ مرفوعَ البُنـا
تُفْـدَى بنا إنْ كانَ يَرْ   ضَى المجدُ أنْ تُفْدَى بِنَا

ومن أجود ما في هذه القصيدة : [٣٣]

ما أحْسَنَ المـالَ إذَا   صَاحَبَ ذِكْـراً حَسَنَا

ومنهـا :

لنا الثنـاءُ خَالِصاً   منـهُ وَمَا يحـوي لنَا
شَادَ الـذي بنى له   آبَـاؤُهُ ومَكَّنَـا
عَمَمْـتَ بالإحسانِ من ...... لكَ مُضَـراً واليَمَنَا
يَنْقَادُ صَعْبُ اللفظِ لي   سَهْـلَ القِيَادِ مُذْعِنَا
كـأن في خواطـري   لِكُـلِّ مَعْنًى رَسَنَا

ومن هؤلاء الشعراءِ من يُحسن في كثير مما يتصرَّفُ فيه ،

---

(1) في الحاشية : (ابن أبي الشخباء) وهو أبو علي العسقلاني ، ويقال له : الشيخ المجيد منشىء ، له خطب ورسائل جيدة كان القاضي الفاضل يحفظ أكثرها . وقتل بالقاهرة مسجوناً (انظر ترجمته في : وفيات الأعيان : ٢/٨٩ ، ومعجم الأدباء : ٩/١٥٢ ـ ١٨٤ ، والأعـلام : ٢/٢١٠) .

ويتناول المعنى فيُجيده ويستو فيه ؛ فمن محاسن أحمدَ هذا ما كتب به مع تفاح أهداه إلى ابنِ عَبَّادٍ :

يا مَنْ تَزَيَّنَتِ الرِّيـــا ـــسَةُ حينَ أُلْبِسَ ثَوْبَها
جاءتك جَامِدَةُ المُـــدا مِ فَخُـــذْ عليهـا ذَوْبَها [1]

وهذا من قول الخَليع [2] :

الرَّاحُ تُفَّـــاحٌ جَرَى ذائِبـــاً
كـذلك التُّفّاحُ رَاحٌ جَمَـــدْ
فاشرَبْ عـــلى جَامِدِهِ ذَوْبَــه
ولاَ تَدَعْ لَـــذَّةَ يومٍ لِغَدْ

وقال السَّرِيُّ [3] :

وقَدْ أَضَاءَتْ نُجُومُ مجلِسِنَا
حتى اكتسى غُـــرَّةً وأَوضاحـا

---

(١) البيتان في ديوان ابن زيدون : ١١٩ ، وبينهما بيت ثالث .

(٢) الخليع الشامي ، أبو عبد الله . شاعر مفلق ، أدرك زمان البحتري ، وبقي الى أيام سيف الدولة فانخرط في سلك شعرائه . من شعراء اليتيمة . والبيتان في الخريدة (قسم المغرب) : ١/٨٤ ، المطرب : ١٩ . والبيت الأول في ديوان أبي نواس : ٨٤

(٣) السري الرفاء بن أحمد الكندي . من شعراء الموصل (اليتيمة : ٢/١٧٦ . معجم الأدباء : ١١/١٨٢) والبيتان في ديوانه : ٧٢ من قصيدة يستدعي بها أبا بكر محمد بن علي المراغي ، أولها :

لم ألق ريحانة ولا راحا إلا ثنتني إليك مرتاحا

وهما أيضاً في اليتيمة .

لو جَمَدَتْ راحُنَا اغتــدتْ ذهباً

أو ذابَ تُفّاحُنا اغتـــدى راحَا

والأصلُ في ذلك ما يُحكى من قول كسرى :

لستُ أدري : هل التفاحُ خمــــر جامد ، أم الخمــــر تفاح ذائب ؟ [٣٤] .

وقد أكثر الشعراء من وصفِها بذوب الجامد ، فمنهم من يجعلها ذَوْبَ الذهب كقولِ الصَّنَوْبَرِيِّ (١) :

رأيتُه والكـأسُ في فِيْــهِ قَــدْ

صَوَّبَها كَالْكَوكبِ الصَّائِبِ

وجِسْمُهـــا مِنْ ذَهبٍ جامِدٍ

ورُوحُهـــا مـن ذَهَبٍ ذَائِبٍ

وقولِ محمدِ بنِ عبادٍ (٢) :

أبْدَى لنَـا مـن لطيفِ حكمتِـهِ

في جامــدِ المـاءِ ذائبَ الذَّهَبِ

---

(١) لم نجدهما في ديوانه المطبوع . وهما في المطرب من أشعار أهل المغرب : ١٩

(٢) هو المعتمد بن عباد أبو القاسم محمد الملقب بالمعتمـد (ترجمته في الخريدة (قسم شعراء المغرب والأندلس) ٢/٢٥ ، وفي المطرب : ١٨) والبيت مع آخر في ديوانه : ٢٤ ، وفي الخريدة : ٢/٣٦ ، وفي المطرب ١٩ . والرواية : أهدى .

ومنهم مَنْ جعلها ذَوْبَ الوردِ كقوله (١) :

لاحَ وفاحَتْ روائحُ النّدِّ
مُختصرُ الخصرِ أهْيَفُ القَدِّ

وكَمْ سَقَاني والليلُ مُعْتكِرٌ
في جامدِ الماءِ ذائبِ الوَرْدِ

وقول الصَّنَوبريِّ :

مَنْ يَنْسَ لا أَنْسَ اتصالَ زمانِنا
ويَدُ السُّعُود على الزمانِ مُساعِدَهْ

إذ نُخْبَتِي راحٌ كوردٍ ذائبٍ
وتَحِيَّتي وردٌ كراحٍ جامِدَهْ (٢)

وكل هذا تَصَرُّفٌ في قولِ ابنِ المعتزِّ (٣) :

وَزَنَّا لهـا ذَهَباً جامِداً فكـالتْ لنا ذَهَباً سائِلا

وعلى ذكر الذهب وذوبه فحدثني ابراهيمُ بنُ شغبٍ أنه لِيمَ فيما أنفقه على جاريةٍ له ، فقال :

---

(١) ديوان ابن عباد : ٧١ ، والخريدة ، والمطرب .

(٢) لم نجد البيتين في ديوانه المطبوع . ولكنهما في الخريدة (قسم المغرب) : ٢/ ٨٤ ورواية البيت الثاني :

إذ تَجتلى راح .... أو ينجتنى ورد ....

وهما كذلك في المطرب : ١٧٥

(٣) لم نجده فيما بين أيدينا من طبعات ديوانه .

مـا الـذَّهَبُ الصـامتُ مُستكثَراً
إذْهَـابهُ (١) في الذَّهَبِ النّـاطِقِ

قال أبو بكرٍ محمدُ بن عَمّارٍ (٢) :

ملـوكٌ مُنَاخ العزّ في عَرَصَاتِهـم
ومَثْوى المَعَالي بينَ تلك المَعَالمِ (٣).

إذَا قَصَّرَ الرَوْعُ الخُطَى نهضتْ بهم
طِوالُ العَوالي في طِوالِ المَعَاصِمِ [٣٥]

وَأَيْدٍ أبَتْ من أنْ تَؤوبَ ولم تَفُزْ
بِجَزّ النَّواصي أو بِجَزّ الغَـلاصِـمِ

إذا رَكِبُوا فَانْظُرْهُ أولَ طَـاعِنٍ
وإنْ نَزَلُوا فارْصُدْهُ آخِرَ طاعِمِ

---

(١) فوقها في النسخة : ذهابه • ويبدو أنها رواية ثانية •

(٢) هو ابن عمار الأندلسي ، الشاعر المشهور ذو الوزارتين ، كان هو وابن زيدون فرسي رهان في الأدب ، وزر للمعتمد ثم جعله نائباً على مرسية فعصى ، فلم يزل يحتال عليه الى أن وقع في يده فذبحه صبراً سنة سبع وسبعين وأربع مئة • انظر ترجمته في الخريدة (قسم شعراء المغرب) : ٢/٧٢ ، والمغرب : ٢/٣٨٩ ، ووفيات الأعيان : ٤/٤٢٥ ، والشذرات : ٣/٢٥٦) •

(٣) من قصيدة يمدح بها المعتضد بن عباد وأولها :

عليّ • وإلا ما بكاء الغمائم وفيّ وإلا فيم نوح الحمائم

انظرها في الخريدة، والوفيات ، والمعجب : ١١٢ ، والشذرات ، والوافي بالوفيات : ٤/٢٣٣

وهذه قطعة اتَّسع فيها ، وأحسن التصرفَ في معانيها ، فقالَ في صفة الفرَس :

خُذُوا بِيَ إنْ لم تَهْدِرُوا كلَّ سابِحٍ
لريحِ الصَّبَا في إثْرِهِ أنفُ رَاغِمِ

من العابِسات الدُّهْمِ إلا التِفَاتَةً
إلى غيرِهِ (١) أهْدَتْ له ثَغْرَ باسمِ

طَوَى بيَ عَرْضَ البِيدِ فوقَ قَوائمٍ
تَوَهَّمْتُه منهنَّ فوقَ قَوادِمِ

ومن جيد ما فيها :

وليلٍ لنا بالسّدَّتَيْنِ (٢) معاطفٍ
من النَّهرِ يَنْسَابُ انسيابَ الأرَاقمِ

بحيثُ اتخذْنا الروضَ جاراً تزُورنا
هَدَاياهُ في أيدي الرياحِ النواسِمِ

وبِتْنا ولاَ واشٍ يُحِسُّ كأننا
حَلَلْنا مكانَ السِّرِّ من صدرِ كاتمِ

ولأبي بكرٍ هذا :

---

(١) في حاشية النسخة : (صوابه غرة) وكذا رواية الخريدة .

(٢) في المصادر السابقة : بالسدَّين .

مَلِكٌ إذا ازْدَحَمَ الملــوكُ بموردٍ
ونَحَـــاهُ لا يرِدُون حتى يَصْدُرَا

قَدَّاحُ زَنْدِ المجـدِ لا يَنْفَكُّ من
نــارِ الوغَى إلاَّ إلى نــارِ القِرَى

أَيْقَنْـتُ أنّي من ذَرَاهُ بجنَّـةٍ
لمَّـا سَقَاني من نَـدَاهُ الكوثَرَا (١)

وقال أيضاً :

جَنَيْتَ ثمــارَ النصرِ طيبةَ الجَنَى
ولا شَجَرٌ غَــيْرُ المُثَقَّفَةِ المُلْـدِ

ببــدرٍ ولكنْ مِنْ مطـالِعِهِ الوَغَى
وليثٍ ولكنْ مِنْ براثِنِهِ الهِنْـدِي

ورُبَّ ظَــلامٍ سرتَ فيه إلى العِـدَا
ولا نَجْمَ إلاّ ما تطلَّـعَ مِنْ غِمْدِ

ومنها في ذكر بلدةٍ افتتَحها وأحرقها : [٣٦]

فأرملتَهــا بالسيفِ ثمَّ أَعَرْتَهــا
من النارِ أثوابَ الحِدادِ عــلى الفَقْدِ

(١) الأبيات الثلاثة في الوافي بالوفيات : ٤/٢٣٠ ، وفي الشذرات : ٣/٣٥٦ ، والبيتان الأولان في وفيات الأعيان : ٤/٤٢٦ · في مديح المعتمد من قصيدة طويلة أولها :

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السُّرى

فيا حُسْنَ ذاكَ السيفِ في راحةِ الهُدَى

ويا بَرْدَ تلك النارِ في كَبِدِ المجـــدِ (١)

فقولُه أرملتَها بالسيف ، وألبستَها حِداداً بالنار ، من أحسن تركيب وأبدع تشبيه • ولقد ذَكَر عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ مثلَ ذلك ، وهو وأبو بكر متقاربا الزمن ، متباينا الوطن ؛ فهذا بالعدوة الدنيا وهذا بالعدوة القصوى (٢) • فقال وأحسن ما شاء :

غادرْتَهـا دِمناً عـــلى أطـــلالِها

يُبْكَى الخليطُ وتُذْكَــرُ الأشواقُ

وشرعْتَ دينَ فِراكَ في عَرَصَاتِهـا

فالنارُ تُضْرَمُ والـــدِماءُ تُرَاقُ (٣)

وعلى هذا البيت من البهجة ، وحسن الديباجة ، مالا أعلمُ لأحد مثلَه • ولقد ذكرتُ بالنار قول الآخرِ (٤) في حريق جامعِ دمشقَ :

فأتَتْه النـــيرانُ طـــولاً وعَرْضاً

عن يمـــــينٍ من قُتْرِهِ ويَسارِ

---

(١) الأبيات جميعها في الوافي بالوفيات : ٤/٢٣١ ـ ٢٣٢ ، يمدح المعتمد ويذكر فتح ابنه قرمونة •

(٢) في الحاشية : (أبو بكر بن عمار بالأندلس ، وعبد الله بن محمد الخفاجي بحلب) •

(٣) ديوان ابن سنان الخفاجي : ٧٧ من القصيدة التي يمدح بها الأمير نصير الدين مكين الدولة ، وقد سبق تخريجها •

(٤) في حاشية النسخة : (هذا الشاعر ابن اقلاسنوا) •

ثُمَّ مرَّتْ عـــلى حدائقِ نخـــلٍ
فإذَا الجمــــرُ موضعُ الجُمَّـــــارِ

ومن قولِ أبي بكرٍ :

كَمْ منْ شجـاعٍ قُدْتَه نحو الرَدى
بِـــدَمٍ منَ الأودَاجِ كالأَرْسَانِ
رَوَّى ليضرِبَ فابتدهْتَ بطعنَـــةٍ
إنَّ الرمـــاحَ بدايـــةُ الفُرْسَانِ (١)

وقال : [٣٧]

وفَيْتَ لربِّكَ فيمنْ غَـــــدَرَ
وأَنْصَفْتَ دِينَكَ ممَّنْ كَفَرْ
ولمْ تَتَقَدَّمْ بجيشِ الرجـــا
لِ حَتَّى تَقَـدَّمَ جيشُ الفِكَرْ
فَعَـــاقَرَ سيفُكَ حتى انْحَنَى
وعَرْبَــدَ رُمْحُكَ حتى انكَسَرْ

---

(١) البيت الثاني لأبي بكر في فارسين تطاعنا فسبق أحدهما الآخر . انظر الوافي بالوفيات : ٤/٢٣٢ . أما البيت الأول فليس لأبي بكر . وقد جاء في حاشية النسخة التعليق التالي حوله : « هذا البيت لأبي الفتح محمود بن القاضي الموفق ، لأنني كنت أروي البيت الثاني وحده . فسألته عمل بيت قبله يكون مطرقاً اليه ، فعمل على البديهة » .

وكَمْ نبَتْتَ فيحربِهِمْ عَنْ عَلِيٍّ

وناب عن النَّهْـرَوَانِ النَّهَـرْ (١)

وأبو بكرٍ هذا من الأعيانِ المشهورين ، والمجيدين المذكورين ، والمحسنين في خطاب الملوك ، والمُطّلِعين باستعطافهم شمساً آمنةً من من الدُّلُوك • فمن ذلك ما كتب به إلى أحد السلاطين وهو مُزْمِعٌ على السفر لخوف لحقه منه :

أُصَدِّقُ ظَنّي أَمْ أُصِيخُ إلى صحبي

وأُمضي عَزِيمي أمْ أعُوجُ عن الركبِ (٢)

أخـافُكَ للحقِّ الـذي لكَ في دَمي

وأرجُوكَ للحبِّ الـذي لكَ في قلـبي

وهذا وإن كان مأخوذاً من قولِ مهيارَ في القصيدة التي أولُها (٣):

سلِ الركبَ إنْ أعطاكَ حاجتَكَ الركبُ

منَ الكاعبِ الحسناءِ تنعتُهـا كَعْبُ

---

(١) الأبيات في الخريدة (قسم شعراء المغرب) ٢/٧٨ ، وفي الوافي بالوفيات: ٤/٢٣٢ البيتان الأخيران فقط •

(٢) في الحاشية : ويروى :

أأركب قصداً أم أعرج عن الركب

فقد صرتُ من أمري على مركبٍ صعب

والبيتان في الخريدة : ٢/٧٢ عـلى الرواية التي في الحاشية من قصيدة كتب بها للمعتمد وقد سفك دمه •

(٣) ديوانه : ١/١٤٦ يمدح الوزير عميد الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم ويهنئه بالمهرجان • والبيتان كذلك في الوافي بالوفيات : ٤/٢٣٤ وقد نسبا لابن عمار •

أَحَبَّكَ وُدّاً مَنْ يخافُكَ طاعـــةً

وأعجبُ شيءٍ خِيفَةٌ معهـــا حُبُّ

فإنه ألـــذُّ مسموعاً ، وأحسنُ مصوغاً . وقـد أحسن الآخرُ في قوله (١) :

تَمُرُّ سفيهاتُ الرِّيـــاحِ بأرضِهِ

فَتَرْصُنُ إجـــلالاً له وتَوَقُّرُ

وتشتاقُ عينيْهِ الكَرَى وتَخافُـهُ

فيأتي إلى الأجفـــانِ وهو مُغَرَّرُ

ومن مليحِ الوصف بالخوف (٢) : [٣٨]

مَخُوفٌ والصوارِمُ لَمْ تُجَرَّدْ

ولا أخْلَتْ مرابطَهـــا الخيولُ

ويكسو الصبحَ مِنْ نَقْعٍ خِضَاباً

كَلَيْـــلٍ والنُّصُولُ به نُصُولُ

وكتب إليه أبو بكرٍ أيضاً :

إنّي لَمَنْ إنْ دعـــاهُ لنُصْرَةٍ

يوماً بساطا حجَّــةٍ وجـــلادِ (٣)

(١) ذكر في الحاشية أنه ابن أبي الشخباء .

(٢) في الحاشية أنهما لابن حيوس . وهما في ديوانه : ٢/٥١٧ ـ ٥١٩ ، من قصيدة يمدح بها نصر بن محمود ، وأولها :

أرى سفهاً ولو جاء العذول   بحقٍ أن أقولَ كما يقول

(٣) البيتان في الوافي بالوفيات : ٤/٢٣٢ . والرواية هنـاك : دعـاك لنصرتي . وفي المغرب : ٢/٣٩١ البيت الثاني فقط .

أَذْكَيْتُ دونَكَ للعِدَى حَدَقَ القَنَا
وخَصَمْتُ عَنْكَ بألسُنِ الأغمادِ

وهذا من أجْزَلِ عبارة ، وأجودِ استعارة . ولله مهيارٌ حيثُ يقول :

وهل تَخْفَى المقاتِلُ وهْيَ بِيضٌ
على مُقَلِ الذَّوَابِلِ وهْيَ زُرْقُ (١)

وقد أكثرَ الناسُ من الكناية عن السيوف ، ومن مليح ما جاء في ذلك قولُ أبي تمامٍ (٢) يصف سحابةً :

سُقِيَتْ ببرقٍ ضَرِمِ الزِّنَادِ
كأنَّهُ ضمائرُ الأغمَادِ

وهذا مما جُعل منه الفرعُ أصلا ؛ لأن المعتادَ أن تُشَبَّهَ السيوفُ بالبروق ؛ فتكون البروقُ أصلاً لأنها مُشَبَّهٌ بها ، وتكون السيوفُ فرعاً لأنها مُشَبَّهةٌ ؛ فقلب مبالغة . وقال أبو الطيب :

وأتركُ الغَيْثَ في غِمْدِي وأَنْتَجِعُ (٣)

---

(١) ديوانه : ٢/٣٦٠ . وروايته : وهل تخص المكايد ، وهو من قصيدة كتب بها الى زعيم الملك أبي الحسن بن عبد الرحيم في المهرجان ، وأولها :

أما لنجوم ليلك بالمصلى مغاربُ بل أما للشمس شرقُ

(٢) ديوانه : ٤/٥١٣ ، من قصيدة في وصف المطر .

(٣) ديوانه : ٢/٢٢٢ ، وهو عجز بيت وصدره :

فأما الأعشى النحوي (١) فجعله جدولاً فقال :

مَلِكٌ إذا ادَّرَعَ الدِّلاصَ حسبْتَهُ
لَبِسَ الغَدِيرَ وسلَّ منهُ جَدْوَلاَ (٢) [٣٩]

ومثلُه قولُ محمدِ بنِ البيْنِ (٣) :

وجَلَوْا ظلامَ الليلِ بالصُّبحِ الَّذي
قَسَمُوهُ بينَ جيادِهم أَوْضَاحَا

أأطرح المجد عن كتفي واطلبه

وهو من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، ويذكر وقعة له ، وأولها :

غيري بأكثر هذا الناس ينخدعُ   إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شَجعوا

(١) علّق فوقها : (هذا الأعشى أندلسي) وهو أبو عبد الله محمد بن عيسى المعروف بالأعشي القرطبى ، توفي سنة ٢٢١ هـ ترجمته في الخريدة (شعراء المغرب) ٢/١٨٦ ، والنفح : ٢/٦٢

(٢) البيت في الخريدة : ٢/١٩١

ثم ورد في الحاشية : [ولقد أحسن الآخر (حاشية : أظنه ابن السراج) في قوله :

يبيت إذا ما سار ضيفاً لسيفه   فلو جاب عرض الأرض لم يتزود]

ثم التعليق التالي : وليس من هذا الباب ؛ لأن المبيت صفة لمعمله . ومدحه للضارب به . أ . هـ .

(٣) محمد بن البين الأندلسي من شعراء المئة الخامسة ، له ترجمة في (المحمدون من الشعراء : ١٣٩ ، والمغرب : ١/٣٧٠ ، والخريدة : ٢/١٨٦ ، والذخيرة : ٢/٢/٧٩٩)والبيتان في المحمدون ، والخريدة ، من قصيدة أولها :

جعلوا رضابك كي يحرم راحا   ورأوا به قتل النفوس مباحا

وأَتَوْا بغُدْرَانِ المياهِ جَوَامِداً
قَدْ فَصَّلُوها مَلْبَساً وسِلاَحَا

وقول محمدِ بن عثمانَ [1] :

أنَّى يَهابُ ضِرابَهُمْ وطِعانَهم
صبٌّ بأَلحاظِ العيونِ طعينُ

فكأنَّما بِيْضُ الصِّفاحِ جَدَاوِلٌ
وكأنَّما سُمْرُ الرماحِ غُصُونُ [2]

وقد سمَّاه قومٌ سليل الصَّاعقة ، وسماه آخرون طبيب النِّفاق .
وما أحسنَ قولَ الكمّوني [3] :

لمَّا التقى أسَدُ العرينِ وشَادِنٌ
تحتَ الإزَارِ وصَارِمٌ بَتَّارُ

---

(1) في الحاشية : (ابن الحداد) وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف ابن أحمد بن عثمان بن ابراهيم المعروف بالحداد القيسي ، من أهل المرّية (انظر ترجمته في الذخيرة ، قسم شعراء المغرب : ٢/٢٧١ ، والمحمدون من الشعراء : ٩٩ ، والوافي بالوفيات : ٢/٨٦ ، والاحاطة : ٢/٢٥٠ ، ونفح الطيب : ٤/٩٨) .

(2) البيتان في الخريدة : ٢/٢٧٨ ، ونفح الطيب : ٤/١٠١ من قصيدة طويلة يمدح بها المعتصم بن صمادح .

(3) لعله أبو بكر محمد بن علي بن عبد الجبار الكموني الذي ورد له ذكر في الخريدة (قسم المغرب) ٢/١٠٤

قالتْ : أرَى بيني وبينكَ ثالثـــاً
ولقــدْ عهدْتُكَ بالــدخيلِ تَغارُ

أَأَمِنْتَ نَشْرَ حديثِنا ؟ فأجبتُها
هـَذَا الـَّـذي تُطوَى به الأَسْرارُ

ومن غريب التصرف في وصفه ، قولُ الآخرِ (١) :

عَفَّرتَ في سَهكِ التُّرابِ خُدودَهم
حتى ظننَّـا أنهــا تَتَشَيَّـعُ

وتركتَ في عفرِ التُّرابِ رُؤوسَهُمْ
في الأرضِ تَسْجُدُ عن سيوفٍ تركَعُ

وقوله أيضاً :

جعلتَ رؤوسَ القومِ عُرسَ سيوفِنا
تُعَصْفَرُ من أوداجِهمْ وتُطَيَّبُ

إذا وعَدتْها البيضُ صادِقَ وعدِها
بعثتَ لها البِيضَ الرِّقاقَ تُكَذِّبُ

ومن قوله :

إذَا سلَبَتْهُ عَزْمَةٌ منْكَ غِمْدَهُ
كستْهُ نَجِيعاً فَهْوَ يُكْسى ويُسْلَبُ

---

(١) في الحاشية : (ابن أبي الشخباء) .

وإنما أخذه من قول السَّري (١) : [٤٠]

يكسوهُ من دمِهِ ثوباً ويَسْلُبُهُ
ثيابَه فَهْوَ كاسِيهِ وسالِبُهُ

وأخذه السَّري من قول البحتري (٢) :

سُلِبُوا وأشرَقَتِ الدماءُ عليهِمُ
محمَّرةً فكأنَّهُمْ لم يُسْلَبُوا

وقد جعلها ابنُ حيوسٍ صوالجَ ، فقال (٣) :

كَ اليومُ الذي شابتْ قرونٌ
به مِنْ بَعْدِ أنْ فَنِيَتْ قُرونُ
بحيثُ بَنَيْتَ مُرهَفَةَ المواضي
صَوالِجَ والرؤوسُ لها كُرينُ

وكُرين : جمعُ كرة ؛ لأنه يُقال في جمعها كُرات وكرين ؛ ولهذا

---

(١) ديوانه : ١٨ ، واليتيمة : ١٢٦/٢ من قصيدة قالها في سيف الدولة ، وأولها :

فتح أعز به الاسلام صاحبه ورد ثاقب نور الملك ثاقبه

(٢) ديوانه : ٧٦/١ ، واليتيمة : ١٢٦/٢ من قصيدة يمدح بها إسحاق ابن ابراهيم المصعبي ، وأولها :

عارضنا أُصُلاً فقلنا : الربرب حتى أضاء الأقحوان الأشنب

(٣) لم نجدهما في ديوانه .

أُخِذَ على القائلِ (١) في وصفِ النارنجِ :

كأنَّ السماءَ هَمَتْ بالنُّضارِ
فَصَاغَتْ لنا الأرضُ مِنْهُ أُكَرْ (٢)

وعلى أبي نُواسٍ قبله في قوله في أرجُوزته :

يَحدُو بِحُقُبٍ كالأُكَرْ (٣)

قال ابنُ جِنِّي : قد أخطأ في جمع كرة على أُكَر ، فإن كان أراد جمع أُكْرَة وهي الحفرة ، فشبَّه الأُتُنَ في استدارتها بالحفر المدورة، فقد أحالَ المعنى . ومن البديع قولُ ابنِ حَيُّوسٍ (٤) :

قَدْتَ الجحافِلَ لم يَقُدْ مِعْشَارَها
كِسرى الملوكِ ولا رآها تُبَّعُ [٤١]

قَوْمٌ إذا رامُوا ممالِكَ غيرِهم
حَصَدوا ببيضِ الهِنْدِ مالمْ يَزْرَعوا

---

(١) في الحاشية : (أبو الحسن الصقلي) وهو علي بن عبد الرحمن بن أبي البشر الكاتب الصقلي الأنصاري ، من شعراء القرن الخامس (انظر ترجمته في الخريدة : ١/٢٥ ، وانظر ديوانه المطبوع) .

(٢) ديوانه : ٥٢ ، من أبيات يصف فيها النارنج .

(٣) ديوانه : ٤٣٩ ، من أرجوزة يمدح بها الفضل بن الربيع . وفي حاشية النسخة : (الحقب : جمع حقباء ، وهي الأتان التي على حقوها بياض . شبهها في تدويرها وامتلائها بالكرات) .

(٤) ديوانه : ١/٣١٨ ــ ٣١٩ من قصيدة طويلة يمدح بها تاج الملوك محمود بن صالح .

وقولُ ابنِ المحترِقِ :

صِيغَ من المـــــاءِ وصِيغَتْ لَهُ

مِنْ لَهَبِ النـــيِّرانِ حَـــــدّانْ

وهذا نَقْلُ بيتِ ابنِ نُباتَةَ (١) في وصف سِكّين :

ما أَبْصَرَ الراؤُونَ (٢) من قبلِها

مـــاءً ونَاراً جُمِعَا في مَكَانِ

على أن المملوك قد فعل ما فعله ابنُ المحترِق ، فقال في وصف سيف مُرَصَّعٍ :

سيفٌ تُقَامُ الحدودُ بحـدِّهِ ، ويجتمـعُ الماءُ والنَّارُ في غِمْدِهِ ،ويَتَنَازَعُ ذوو الوصفِ في جوهَري ترصيعه وفِرِنْدِهِ

وقد أخذه حسن بن عبد الصمد (٣) ، فقال :

فَلَمْ أرَ مـاءً قَبْلَه مُتَرَقْرِقاً

يُخَالِطُهُ ذاكَ اللظَى المُتَلَهِّبُ

---

(١) ابن نباتة السعدي ، أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن نباتة المتوفى سنة : ٤٠٥ هـ (انظر ترجمته في اليتيمة : ٢/٣٨٠ وفي وفيـات الأعيان : ٢/٣٦٢) والبيت في ديوانه : ٢/٢٤ ، واليتيمة : ٢/٣٩٣

(٢) في ديوانه : ما أبصر الناظر .

(٣) في الحاشية : (ابن أبي الشخباء) .

إلا أن حسناً استعمله في الغزل وهو يصلح صفةً للسيف .

ومن الشعر ما يحتمل معنيين ، ولم يقصد الشاعر إلا أحدَهما ، كقول والبةَ بنِ الحُبابِ في صفة الورد :

مثلُ الشموسِ طلعْنَ في الأغصانِ [٤٢]

ويصلحُ أن يدخلَ في باب الغزل .

وقول السَّريّ (١) في شبكةِ صيادٍ :

وهل يفوتُ لحظُها أو يسبقُ

وكلُّها نواظرٌ لا تطرقُ

وهذا يَصلُحُ أن يوصفَ به فهد ، وقد نقله ابن السَّراجِ إلى وصفه فقال :

تنافسَ الليلُ فيهِ والنَّهارُ معاً

فقمّصاهُ بجلبابٍ مِنَ المُقَلِ

ومن محاسن هذه القصيدةِ :

يُقصِّرُ الغيثُ عن آثارِ جودِكمُ

فحمرةُ البرقِ في قُطرَيْهِ كالخجلِ

وقد استعمل غيرُه هذا المعنى فقال (٢) :

---

(١) ديوانه : ٢٠٤ ، والرواية هناك :

وهل يفوت لحظة أو يسبق وكله نواظر لا تطرق

(٢) في الحاشية : (ابن أبي الشخباء) والبيتان له كما في وفيات الأعيان : ٢/٩٠ مع اختلاف يسير في الرواية .

يجودُ بالماءِ غيثُ الأُفْقِ مُنْقَطِعاً

وغَيْثُ كفّكَ بالأموالِ مُتّصِلُ

جارَى نَدَاكَ فلم يَظْفَرْ ببُغْيَتِهِ

فَذَلك البرقُ في حَافَاتِهِ خَجِلُ

ثم أتى بزيادة على ذلك فقال من أُخرى :

مَنَعَتْ مكارِمُـــهُ رويّتَــهُ

فَنَدَاهُ طولَ الدهرِ مُرْتَجِلُ

جَارَتْ نَدَاهُ السُّحْبُ فارْتَجَعَتْ

عنه ووابِــلُ ودْقِهـا وَشَلُ

فالرَّعْـدُ في أثْنَائِهـا ضَجِرٌ

والبرقُ في أرجائِهـا خَجِلُ

وقال(١) :

قَدْ قلتُ إذ قالُوا : يداهُ سحابةٌ

سَحَبَتْ ذُيولَ مُجَلْجَلٍ هَطّالِ

لا تضرِبُوا مثــلاً له في جُودِهِ

فحقيقــةُ الأَمثــالِ للأمثــالِ [٤٣]

---

(١) في الحاشية : (أعني ابن أبي الشخباء) .

وأبلغُ من هذا قولُ الآخرِ (١) :

ضربُوا لكَ الأمثالَ في أشعارِهم
لكنني بكَ أضرِبُ الأمثالا (٢)

فأما ما تقدَّم من وصف السيف بالماء والنار فقد نُقِلَ وبُولغَ فيه .

أنشدني ابنُ مكنسة قولَه في الخمر من أبيات :

أيام عودك مطلولٌ بوابِلها
والدهرُ في عقلِهِ من مَسِّها خَبَلُ

تَنْزُو إذا قَرَعَتْهَا كَفُّ مازِجِها
كأنَّما نارُها بالماءِ تَشْتَعِلُ

وقولَه في وصف كأس :

وخَضِيبةٍ بالراحِ يَجْلُوها عليكَ خَضِيبُ راحْ
ما زالَ يقدَحُ نارَها في الكأسِ بالماءِ القَرَاحِ

(١) البيت لأبي الحسن السلامي ، وهو محمد بن عبد الله بن محمد المخزومي السلامي البغدادي (٣٣٦ ـ ٣٩٣ هـ) انظر ترجمته في اليتيمة ٢/٣٩٨

(٢) شعر السلامي : ٨٨ من قصيدة في مؤيد الدولة ، أولها :

وصل الخيال ومنك رمت وصالا هذي الزيارة لا تعد نوالا

والبيت كذلك في اليتيمة : ٢/٤٠٠

وقوله من أبيات :

كُلَّمَا سَلَّطَ المِزَاجُ على نارِها اشْتَعَل [1]

وهو من قول الآخر :

كَمْ جَوًى مَثَّلَهُ رَسْمٌ مَثَل
ودَمٌ قَدْ طَلَّ أَثْنَاءَ طَلَل
وأَدَرْنَا لهباً في ذَهَبٍ
كلَّما أُخْمِدَ بالماءِ اشْتَعَل

وكأنه مأخوذ من قول البحتريّ [2] :

كلُّ جَوْنٍ إذا التَقَى [3] البَرْقُ فيه
لَمَعَتْ [4] للعيونِ بالماءِ نارُهْ

وقال محمدُ بنُ عيسى يصف أبياتاً بعثَ بها بعضُ الملوكِ إليه[5]:

(1) في حاشية النسخة كلام طمست بعض كلماته ، وقد قرأنا منه مايأتي : (قال ابن قتيبة ... اسم مؤنث لا علم ... الباب فقد يجوز لك أن تذكره ، مثل : السماء ، والأرض ، والقرش ، والحرب ، والعدو ، والنار ، والشمس . حكى ابن الأعرابي عن ابنة الحسن أنها قالت في وصف ناقة بشدة الضَبَعَة .... ، فذكرت العيس لأنه ليس لها علم من أعلام التأنيث) .

(2) ديوانه : ٩١٧/٢ ، من قصيدة يمدح بها علي بن محمد الفياض وأولها:

شط من ساكن الغوير مزاره وطوته البلاد فالله جاره

(٣–٤) في الديوان : ارتقى ، أو قدت .

(5) البيتان في شعره : ١٦ ، وفي الخريدة (قسم المغرب) ١٠٨/٢ من قصيدة كتب بها الى المعتمد جواباً على أبيات أنفذها اليه وذلك بعد خلعه ، وأولها :

بروق الأماني دون لقياك خلّب ومشرق أفق لم تلح فيه مغرب

بعثتَ بها يا واحدَ الدهرِ قطعةً
هِيَ الماءُ إلا أنَّها تتلَهَّبُ

فجئْتَ بها في الحسنِ ورْقاءَ أيْكَةٍ
ولكنَّها في العُدْمِ عَنْقاءُ مُغْرِبُ [٤٤]

ومن مليح ما وُصِفَ به الشعرُ قولُ الآخرِ :

وقَوافٍ ليستْ تُفَارِقُ مَغْنَا
كَ على أنها تجوبُ البِلادَا

وقبيحٌ أنْ أَدَّعي الفَضْلَ فيها
بَعْدَ أنْ أنْطَقَتْ عُلاكَ الجَمادَا

وكتب إليه أبو بكرٍ في يوم غيم وقد احتجب (١) :

تَجَهَّمَ وجْهُ الأُفْقِ واعتلَّتِ النَّفْسُ
بأنْ لم يَلُحْ للعينِ أنْتَ ولا الشمسُ

فإنْ كانَ هذا منكما عن تَوافُقٍ
وضمَّكُمَا أُنْسٌ فَيَهْنِيكُمَا العُرْسُ

وقال ابن خَلَصَةَ (٢) :

---

(١) البيتان في الخريدة (قسم المغرب) ٢/ ٨٠

(٢) هو أبو عبد الله البصير محمد بن خلصة الشذواني الأندلسي . كان من النحويين المقتدرين ، وكان كفيفاً . توفي في حوالي سنة سبعين

ملكٌ تَمَلَّكَ حُرَّ الحمدِ، لا يدُهُ
نالتْ بظُلمٍ ولا مالتْ إلى بَخَلِ

لَمْ تدرِ قبلَكَ عينٌ أنها بَصُرَتْ
بالغيثِ والليثِ والرِّئبالِ في رَجُلِ

يَغُرُّهُمْ بكَ - والآمالُ كاذبةٌ -
ما جَمَّعُوا لكَ من خَيْلٍ ومن خَوَلِ

فأما قوله : لا يدُه نالت بظلم، فقد زاد الآخر(١) فيه زيادة حسنة:

إذا هو ذَادَ الظلمَ عنّا بعدْلِهِ
غَدَا مالُه في كفِّهِ مُتَظَلِّما

يرى الذَّنبَ أن تسطُو يَدَاهُ بِشَذْنبٍ
ويَعْتَدُّ جُرْماً أنْ يُعاقِبَ مُجرِما

وقوله أيضاً :

تَظَلَّمَ ما تحويهِ فيكَ فَلَمْ يُغَثْ
وَقَدْ جُعِلَتْ في راحَتَيْكَ المَظَالِمُ

← وأربع مئة . له ترجمة في (المحمدون من الشعراء : ٣٠٩ ، والوافي بالوفيات : ٣/٤٣ ، وبغية الملتمس : ٦٤ ، وبغية الوعاة : ١/١٠٠ ، وإنباه الرواة : ٣/١٢٥ ، ونفح الطيب : ٤/١٠٠)وفي الخريدة (قسم المغرب) ٢/١٩٧ البيتان الأول والثالث ، وفي نفح الطيب البيت الأول فقط من قصيدة ، وفي الوافي بالوفيات البيت الثالث .

(١) في الحاشية : (ابن أبي الشخباء) .

ومن عجبٍ أَنْ تَظْلِمَ المَالَ وحدَهُ
ولم يَبْقَ في أيامِكَ الغُرِّ ظالِمُ

وقوله أيضاً :

يا عادِلاً في كلِّ ما هُوَ فاعِلُ
ما بالُ كفِّكَ في النُّهَى لا تعدِلُ ؟

تَبْقَى أحادِيثُ القَتِيلِ بسيفِهِ
فكأنَّما يُحْيِي بهِ مَنْ يُقتَلُ

وهذا البيت من قول ابنِ نُبَاتَةَ (١) : [٤٥]

تَبْقَى بِهِمْ أخبارُ مَنْ غَلَبُوا
فَكَأَنَّهُمْ أَحْيَوا وقَدْ قَتَلُوا

وقال أبو الطيب (٢) :

وأنَّ دَماً أجريتَهُ بكَ فَاخِرٌ
وأنَّ فُؤَاداً رُعْتَهُ لكَ حامِدُ

وقال مِهْيارُ (٣) :

---

(١) لم نجده في ديوانه .

(٢) ديوانه : ١/٢٧٦ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر هجوم الشتاء الذي عاقه عن غزو خرشنة ، وأولها :

عواذل ذات الخال فيّ حواسد — وإنّ ضجيع الخود مني لماجد

(٣) ديوانه : ٣/٢٢٠ ، ورواية البيت الثاني : فيشرف . وهما من قصيدة يمدح بها زعيم الدين أبا الحسن ، وأولها :

هل عند هذا الطلل الماحلِ — من جَلَد يجدي على سائل

ويستطيـــــلُ القِرْنُ لاقَى الرَّدَى

بِهِمْ ومَا في الموتِ من طائِـــــلِ

ويَشْرُفُ السيفُ بمـــــا شَامَهُ

ويَفْخَـــرُ المَقْتُولُ بالقَاتِـلِ

ومن باب ظُلم المالِ قولُ الآخرِ وذَكَر الخيلَ :

ما أَوْرَدُوهَا قَطُّ إلا أُصْدِرَتْ

جَرْحَى الصُّدورِ سليمـةَ الأكْفَالِ

وإذَا انْجَلَتْ عَنهُمْ دَياجِيرُ الوَغَى

عَـــدَلُوا بفتكِهـمُ إلى الأَمْوَالِ

ووصفه الخيلَ من قولِ الرَّضِيِّ (١) :

[فُجِعَتْ بمُنْصلتٍ] يُعَرِّضُ للقنا

أَعْنَاقَهـــا ويُحَصِّنُ الأَكْفَالا

وهو مأخوذٌ من قول البَبَّغَاءِ (٢) :

---

(١) ديوانه : ٢/٢٠٥ ، وما بين المعكوفين ساقط من الأصل وقد أكملناه من الديوان ، والبيت من قصيدة في رثاء الصاحب بن عباد وأولها :

أكذا المنون تقنطر الأبطالا أكذا الزمان يضعضع الأجيالا

(٢) أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي ، من أهل نصيبين · لقب بالببغاء للكنة فيه · كان متصلاً بسيف الدولة · والبيت في اليتيمة : ١/٢٨٣ مع بيتين آخرين ·

يَلْقَى الطِعَانَ بِصَدْرٍ مِنْهُ لَيْسَ لَهُ

ظَهْرٌ وهَادِي جوادٍ مَالَهُ كَفَلُ

وقال محمد بن عثمانَ في وصف قصر ، وهو بصفات مباني مولانا أليقُ ، وأَرْجُه في أرجائها أعطرُ وأعْبَقُ :

هُوَ جَنَّةُ الدُّنْيا تَبَوَّأَ نَزْلَهَا

مَلِكٌ جِبِلَّتُهُ التُّقَى والدِّينُ

رَاسٍ بحيثُ النُّونُ إلا أَنَّه

سَامٍ فَقُبَّتُهُ بحَيْثُ النُّونُ

فكأنَّمَا الرحمنُ عَجَّلَهُ لَهُ

لِيَرَى بِمَا قَدْ كانَ ما سيكونُ

وكأنَّ بَانِيهِ سِنِمَّارٌ (١) فَمَا

يَعْدُوهُ تحسينٌ ولا تحصينُ [٤٦]

وجَزَاؤُهُ فيهِ خِلافُ جَزَائِهِ

شَتَّانَ ما الإِحياءُ والتَّحْيِينُ

ومحمد بن عثمانَ من المكثرين المبدعين ، والمتصرفين المتوسعين ، ومن مليح تشبيهاته :

---

(١) في الحاشية : (سنمار رجل كان عمل لبعض الملوك بناء ، وقال له : إن نزع هذا الحجر تداعى بناؤك ، فأمر به فرمي من فوق البناء لئلا يعلم به) والأبيات في نفح الطيب : ٤/١٠١ ، والخريدة (قسم المغرب) ٢٨١/٢ من قصيدة طويلة يمدح بها ابن الحداد المعتصم بن صمادح .

والسُّمْرُ مِنْ قَلْبِ القُلُوبِ مواتِحٌ

وكأَنَّهــا مَوْصُولَةُ الأَشْطَــانِ

والنَّبْلُ في حَلَقِ الدِّلاصِ كأنَّهــا

وبْلُ الحَيَا في مَائِجِ الغُــدْرَانِ (١)

وقولُه أيضاً (٢) :

وفُوَيْقَ ذاكَ المـاءِ من شُهُبِ القَنَا

حَبَبٌ (٣) وَمِنْ خُضْرِ الصَّوَارِمِ عَرْمَضُ

أهْوَاهُــمُ وإنِ اسْتَمَرَّ قِلاَهُــمُ

ومِنَ العجـائِبِ أنْ يُحَبَّ المُبْغِضُ

وقولُه في وصف هام المصلّين (٤) :

وقَدْ تَلِمُّ بها الغِرْبَانُ واقِعَــةً

كأنَّهــا فوقَ مَخْلُوقَاتِهـا لِمَــمُ

وقال (٥) :

تَكادُ تَغْنَى إذا شـاهدتَ مُعْتَرَكــاً

عَنْ أنْ يُسَلَّ حُسَامٌ أو يُرَاقَ دَمُ

---

(١) البيتان في الخريدة (قسم المغرب) ٢/٢٧٥ من قصيدة في تشبيه الرمح والنبل .

(٢) البيتان في الخريدة : ٢/٢٧٤ ، وفي فوات الوفيات : ٢/٣٤٢ البيت الثاني .

(٣) في الخريدة : جثث .

(٤) البيت في الخريدة (قسم المغرب) ٢/٢٧٦ ، والرواية هناك : واقفة .

(٥) الخريدة: ٢/٢٧٦ من القصيدة السابقة في وصف هام المصلين . والرواية هناك : تغني .

وما اجْتَدَى الموتُ نفساً [من نفوسهِمُ](١)
إلا وسيْفُكَ كَعْبُ الجُـــودِ أو هَرِمُ

وهذا من القول المعجِب ، والنظم المطرِب ، والبيتُ الأول من قول مهيـــار (٢) :

ألقِ السّلاحَ فقـــــد غَنِيتَ سعادةً
عن حَمْلِهِ واضرِبْ بِجَـدِّكَ واطعنِ
وإذَا أرَدْتَ (٣) بأَنْ تَفُـــــل كَتيبَةً
لاقَيْتَهـــا فَتَسَمَّ فيهـــا واكْتَنِ

وقال الآخر :

أدَلَّ بجمعـــــه فكفـــاك جَـــــدٌّ
يَفُـــــل سعودُهُ الجيشَ اللُّهَـــامَا [٤٧]
ضَرَبْنَاهُ بِذِكْـــرِكَ وهْوَ لَفْظٌ
فكَـــانَ القلبَ واليـــدَ والحُسَامَا

وقـــال (٤) :

---

(١) سقط في الأصل أكملناه من الخريدة .
(٢) ديوانه : ٤ / ٣٢ من قصيدة طويلة يمدح بها الوزير الكافي الأوحد أبا العباس أحمد بن إبراهيم .
(٣) في الديوان : فإذا هممت .
(٤) ابن الحداد محمد بن عثمان ، والبيتان في الخريدة (قسم المغرب) ٢٧٧/٢ ، ورواية البيت الأول : لما امتطوها .

وما خُيَلاءُ الخيلِ فيها سَجِيَّةٌ
ولكنها لمَّا امتطيتَ تَوَائِهُ

فَتَضْرِكَ أيًّا ما سَلَكْتَ مُسَايِرٌ
وفَتَحْكَ أيًّا ما اتَّجَهْتَ مُوَاجِهُ

وقال في وصف هذه القصيدة :

ففي أَنْفُسِ الحُسَّادِ منها هَزَاهِزٌ
وفي أَلْسُنِ النُّقَّادِ منها زَهَازِهُ

وهذا من العكس الذي يطرب له السامع ، وتقلُّ فيه المطامعُ .
ومن بديعه قولُ ابن جاخ (١) :

وتحتَ البراقِعِ مَقْلُوبُها
تَدِبُّ على وَرْدِ خَدٍّ نَدِ
تُسَالِمُ مَنْ وَطِئَتْ خَدَّهُ
وتَلْسَعُ قَلْبَ الشَّجِيِّ الأَبْعَدِ

---

(١) شاعر أندلسي ورد على المعتضد مع الشعراء ، وأنشده ، فسر به ، وقال له : اجلس فقد وليتك رئاسة الشعراء ، ولم يأذن في ذلك اليوم بالكلام لأحد غيره ، وكان صباغاً وقد مر به ابن عمار الشاعر الوزير فطارحه شعراً فأعجب به وأحسن إليه (انظر نفح الطيب : ٤/٢٤٤ ، والوافي بالوفيات : ٤/٢٣٣ وفي الخريدة (قسم المغرب) ٢/١٧٠ الشطر الأول فقط من هذين البيتين .

وللنيليّ (١) أحدِ شعراءِ اليتيمة :

إذا دهاكَ الوداعُ فاصبِرْ
ولا يرُوعَنّكَ البعادُ (٢)

وانتظرِ العودَ عن قريبٍ
فإنّ قلبَ الوداعِ عادُوا

وقد أخذه ابنُ أبي وهبٍ (٣) فقال :

قالوا تَدانيتَ من وداعِهِمْ
ولم نَرَ الصبرَ عنكَ مغلوبا

فقلتُ للعلمِ إنني بغدٍ (٤)
أسمعُ لفظَ الوداعِ مقلوبا

ومن ضروب العكس قولُ البحتريّ (٥) :

---

(١) أبو سهل بكر بن عبد العزيز النيلي ، وله أخ آخر اسمه أبو عبد الرحمن محمد عبد العزيز النيلي ، وهما من حسنات نيسابور ومفاخرها . وهما من شعراء اليتيمة . والبيتان في اليتيمة : ٤/٤٣٠ وقد نسبا لأبي سهل ، ولكنهما في الخريدة (قسم المغرب) ٢/١٧٠ منسوبان لأخيه أبي عبد الرحمن .

(٢) رواية اليتيمة :

إذا رأيت الوداع فاصطبر ولا يهمنك البعاد

(٣) أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي وهب (انظر الخريدة ، قسم المغرب : ٢/١٦٩) والبيتان هناك ، وفي نفح الطيب : ٤/١٠٠ .

(٤) في الخريدة : إنني لغد .

(٥) ديوانه : ٢/٩٦٣ من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله بن طاهر ويرثي طاهر بن عبد الله بن طاهر والحسين بن طاهر بن الحسين .

ومَنْ يَرَ يوماً قادراً غَيْرَ صَافحٍ

ولا صَافِحاً عن زَلَّةٍ غَيْرَ قَادِرِ

وقولُ الآخر (١) — وهو على دولاب — :

عبـدُكَ يا عَبْدُونُ في نِعْمَـةٍ

صافيـةٍ أذيالُهـا (٢) ضَافيَةْ [٤٨]

تَدِيسَتِي جـارِيةٌ ساقيةْ　　ونُزْهَتِي (٣) ساقِيَـةٌ جارِيَةْ

وعلى ذكر الدُّولاب فلم أسمعْ فيه أحسنَ من قول السَّلاَمي (٤):

وكأنما الـدولابُ ضَلَّ طريقَـهُ

فتراهُ ليس يَزُولُ وهْوَ يَطُـوفُ

وقال أبو الطيب (٥) سالكاً مذهبَ البحتري :

فلا مجدَ في الدُّنيا لمنْ قَـلَّ مالُهُ

ولا مالَ في الدنيا لمنْ قَـلَّ مجدُهُ

---

(١) البيتان في البديع في نقد الشعر : ٥٠ وقد نسبا للوزير أبي القاسم المغربي .

(٢-٣) رواية البديع : أطرافها ، وديمتي .

(٤) شعر السلامي : ٧٩ ، واليتيمة : ٤١٢/٢ من قصيدة طويلة .

(٥) ديوانه : ٢٣/٢ ، من قصيدة يمدح بها كافوراً ، وأولها :

أودُّ من الأيام مالا توده　　وأشكو إليها بيننا وهي جنده

وقال ابنُ حيوسٍ (١) :

إذا طلبَ العليـاءَ لمْ يَهْنِهِ الكَرَى
وإنْ طلبَ الأعداءَ لم يَنْهَهُ الزَّجْرُ (٢)

ثُغُورُ العِدَا إنْ رُمْتُمُوهُنَّ كالفَلا
وكلُّ فَـلاةٍ رُمْتُمُ مَنْعَهَا ثَغْرُ

ومن بديع القلبِ ، ونوعه الغريب الصعبِ أن يُقْرَأَ الكلامُ من آخره كما يُقْرَأُ من أوله ، كقوله عز وجل : « كلٌّ في فَلَكٍ »(٣) وكقولهم : سِرْ فلا كَبَا بكَ الفرسُ • وقد جاء ذلك منظوماً قال :

بَلَغَتْ بلاغَتُنا مَـدًى   دُمْ أنتَ غـالبَ تَغْلِبِ

ومثله قولُ الآخر :

أَرَاهُنَّ نادَمْنَهُ ليـلَ لَهْـوٍ
وهَـلْ لَيْلُهُنَّ مُدَانٍ نَهَـارَا

---

(١) خلط المصنف بين هذين البيتين • فالبيت الأول في ديوان ابن حيوس : ١/٢٧٨ من قصيدة أولها :

تمني العلا سهل ومنهجها وعر   وشيمتها – إلا إذا سُمْتَها – الغدرُ

والثاني في ديوانه : ١/٢٤٨ من قصيدة أخرى أولها :

كفى الدين عزاً ما قضاه لك الدهر
فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر

(٢) رواية الديوان :

إذا طلب الغايات لم يهنه الكرى
وإن قارع الأعداء لم ينهه الزجر

(٣) الأنبياء : ٣٣

وقولُ الآخر :

قالَ بَكْــرٌ للمُــرادِيْ دَارِمٌ للركـــبِ لاقِ

وذكر أبو محمدٍ القاسمُ بنُ عليٍّ الحريريُّ البصريُّ [٤٩] من هذا الباب :

لُمْ أخاً مَلَّ • كَبِّرْ رَجَاءَ أَجْرِ رَبِّك • سَكَتَ كُلُّ مَنْ نَمَّ لَكَ تَكِسْ •

ومن المنظوم (١) :

أُسْ أَرْمَـــلاً إذا عَرَا وارعَ إذَا المـــرءُ أسا
أَسْنِدْ أخَا نَبَاهَـــةٍ أَبِنْ إخَـــاءً دَنَّسا
اُسْلُ جَنَـــابَ غَاشِمٍ مُشَاغِـــبٍ إنْ جَلَسَا

وقال محمدٌ (٢) يصفُ سِمَاطاً :

سُمْتَ السَّوَامَ به الحِمـــام كأنَّما
أخَـــذَتْ بشأنٍ من ذوي الشَّنَآنِ

وتَبِعَتْها ذاتَ الجنـــاحِ كأنَّمـــا
فَعَلَتْ جُنَاحاً قَبْلُ في الطَّـــيرانِ

---

(١) الأبيات مع الأقوال السابقة في الخريدة (قسم شعراء العراق) الجزء الرابع ، المجلد الثاني : ٦٦١ • وهي في شرح مقامات الحريري للشريشي : ٢/٨٠ ــ ٨٤

(٢) محمد بن عثمان • والأبيات في الخريدة (قسم المغرب) ٢/٢٧٧ •

حتى غَدَا حَمَلُ السماءِ وثَسْرُها(١)

حَذِرَيْنِ مِمَّا حَـلَّ بالحُمْلاَنِ

نَارٌ بأَرْجَاءِ المدينةِ (٢) سِقْطُهـا

مُزْرٍ ببيتِ النـارِ في أَرْجَـانِ

فلوِ المجوسُ تَجُوسُ حولَ(٣) دِيارِنا

أَمَّتْ لـديْكَ عبـادَةَ النـيرانِ

وقـال (٤) :

فلا دولـةٌ (٥) إلا إليكَ نِزَاعُهـا

ومازالَ يَطْوَى عن سِوَاكَ لها كَشْحُ

إذا خِيفَ أنْ تَشْتَدَّ شوكةُ مَارِقٍ (٦)

فلا رَأْيَ إلا ما رأَى السيفُ والرُّمْحُ

وقال حسانُ بنُ المَصِّيصي (٧) :

مَلِكٌ يظلُّ ثَرانا عنده قِبلاً   فَذُو الغَوايةِ منا مثلُ عابدِنا

---

(١) فوقها : وثورها · وكذا رواية الخريدة ·
(٢) في الخريدة : المرية ·
(٣) في الخريدة : بين ·
(٤) البيتان مع آخرين في الخريدة : ٢/٢٧٧
(٥) في الخريدة : بهجة ·
(٦) في الخريدة : مأزق ·
(٧) هو أبو الوليد ، وكان كاتباً للظافر بن عباد ملك قرطبة انظر (المغرب في حلى المغرب : ٢/٣٨٥ ، والنفح : ٤/٣٠٧) ·

تُسْقَى ونَسْجُدُ إجلالاً لهيْبَتِهِ

فنحنُ نشربُ خمراً في مَسَاجدِنا [٥٠]

وقال :

مَليكٌ إنْ دَعَتْهُ الحربُ يوماً

لما تَعْنُو لهيبتِهِ الأُسُودُ

قَسَا قلباً وسنَّ عليه دِرْعاً

فباطِنُهُ وظاهِرُهُ حَدِيدُ

وقال مسعودُ بنُ محسنٍ (١) :

مَليكٌ تَحْلُمُ الآمالُ فيما

حَوَاهُ من الطَّرِيفِ أو التِلادِ

وتَزْدَحِمُ المطامعُ في نَدَاهُ

لأنَّ عليه أرزاقَ العِبادِ

وقد أحسن الآخر في قوله :

إنْ غَاضَ صوبُ الحَيَا فاضَتْ أنامِلُهُ

جُوداً ورَوَّضَتِ الدُّنيا مكارِمُهُ

---

(١) في الحاشية : (الشريف أبو جعفر البياضي) وهو مسعود بن عبد العزيز ابن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق البياضي ، الشاعر المشهور (ترجمته في الشذرات ٣/٣٣١ ، وتاريخ ابن الأثير : ١٠/٨٨ ـ ٩٩).

يُصَرِّفُ الأمرَ في الآفــاقِ خاتمُهُ

ويصبحُ الدهرُ طَوْعاً وهْو خادِمُهُ

وقال مسعودٌ أيضاً :

وإنّا إذا الأرواحُ ذَابَتْ مَخَافَــةً

مَتَحْنَا بأشْطَانِ الرِّمَاحِ رَكَايَاهَا

مَتَى ما أردْنَا أنْ يُذَاقَ حديــدُنا

خَلَقْنَا بحدِّ المَشْرَفِيَّةِ أَفْوَاهَا

وهذا من باب قول ابن نُباتَةَ (١) :

خلقْنا بأطرافِ القَنَا لظهورِهِــمْ (٢)

عُيوناً لها وَقْــعُ السيوفِ حواجبُ

ومسعودٌ هذا مُقِلٌّ في شعره ، محسن مطرب بغزله مُفْتَتِنٌ - فمن ذلك قولُه :

غَزَالٌ يكونُ الفَهْدُ طَوْعَ يمينِهِ

ولم نَرَ ظبياً قَطُّ مستخدِماً فَهْــدَا

ومِنْ أعجبِ الأشيــاءِ أنْ باتَ آمِناً

من الثأْرِ فينا وهو يقتُلُنا عَمْــدَا

(١) لم نجده في ديوانه ، ولكنه في الايضاح : ٥٦٢

(٢) رواية الايضاح : في ظهورهم .

وقولـــه :

حوراءُ تَقْتُلُ مَنْ رمتْهُ بطرفِهـــا
فكـأنَّ سَهْمَ لحاظِهـــا مَسمُومُ [٥١]

وتُصِيبُ أسهُمُهـــا وليس يُرى دَمٌ
فالقتـــلُ منهـا ظاهِـرٌ مكتُـــومُ

وتكـــادُ تُسْكِرُ بالحــديثِ لأنَّــه
عُصِرَتْ بحيثُ يَمُـرُّ فيه كُـــرُومُ

وقال محمدُ بن عيسى (١) :

وضَحَتْ به العَلْيـــا فمنهـجُ قصدِها
منه إلى ظهـــرِ المجـرَّةِ مَهْيَـــعُ

ينـــدَى عليكَ وأنْتَ منـــه خائِفٌ
وكـــذاكَ لُجُّ البحـرِ مُغْنٍ مُفْزِعُ

وهذا من قول الآخر :

هو البحرُ فيه الغِنَى والغَرَقْ

(١) في الحاشية : ابن اللبانة · والبيتان في شعره : ٦٤ ، وفي الخريدة (قسم شعراء المغرب والأندلس) ٢/١١٥ من قصيدة يمدح بها آل عباد وأولها :

ضحك الربيعُ بحيث تلك الأربع ... لما بكى للغيث فيه مدمعُ

على أن محمد بن عيسى قد ذكر هذا المعنى في موضع آخر ، واحتاط للممدوح ، فقال وأحسن (١) :

براحته بحرٌ مُحيطٌ مُسَخَّرٌ
يُفاد الغِنى فيه ولا يُذعَرُ الرَّكْبُ

والذي دعاه إلى البيت العينيّ قولُه بعدَه :

فأشدُّ ما تَلْقاهُ عِنْدَ لِيانِهِ
وكذا الأرقُّ من الحُسامِ الأقطعُ (٢)

وقال (٣) :

تخلَّلْتَ حتى غابةَ الأسَدِ الوَرْدِ
وأنزلْتَ حتى ساكنَ الأَبْلَقِ الفَرْدِ

وجَرَّدْتَ دونَ الدينِ سيفكَ فانْثَنَى
من النصرِ في حليٍ من الدينِ (٤) في غمْدِ

---

(١) شعر ابن اللبانة : ١٨ ، والخريدة : ٢/١٢٢ من قصيدة يمدح بها ناصر الدولة ، وأولها :

بكت عند توديعي فما علم الركب أذاك سقيطُ الطل أم لؤلؤ رطب

(٢) من القصيدة العينية السابقة .

(٣) شعر ابن اللبانة : ٣٥ ، والخريدة : ٢/١١٥ ، ووفيات الأعيان : ٥/٢٧ ، ونفح الطيب : ٤/٢٥٦ من قصيدة في المعتمد بن عباد عند دخوله لورقة .

(٤) في المصادر السابقة : من الدم .

لقـــدْ ضَمَّ أَمْرَ المُلْكِ حتى كأنَّــه
نِطَاقٌ بَخَصْرٍ أو سِوَارٌ على زَنْدِ

يُغِيثُكَ في مَحْلٍ يُغِيثُكَ في رَدَىً
يَرُوعُكَ في رَوْعٍ(1)، يَرُوقُكَ في بُرْدِ

جَمَــالٌ وإجْمَــالٌ وسبْقٌ وصَوْلَةٌ
كشمسِ الضُّحَى، كالمُزْنِ، كالبَرْقِ، كالرعْدِ

ومثل هذا التركيبِ، وعلى حكمه في الترتيبِ، قولُ محمدِ بن أبي سعيدٍ(2) : [52]

جــاوِرْ عليّاً ولا تَحْتَفــــلْ بحادِثَةٍ
إذَا ادَّرَعْتَ فَلَا تَسْأَلْ عن الأَسَلِ

سَلْ عنه وانطِقْ به وانظُرْ إليه تَجِدْ
مِـــلْءَ المسامعِ والأفواهِ والمُقَـــلِ

وقال محمدُ بن عيسى(3) أيضاً :

مَلْكٌ غَدَا الرِّزْقُ مبعُوثاً عــلى يدِهِ
وظــلَّ يجري عــلى أحكامِهِ القَدَرُ

---

(1) في المصادر السابقة : في درع .
(2) هو أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن شرف القيرواني توفي سنة ثماني عشرة وخمسمائة انظر ترجمته في : (فوات الوفيات : 2/209، الذخيرة : 1/4/169 ، معجم الأدباء : 19/38) والبيتان في معجم الأدباء : 19/41 ــ 42 ، وفوات الوفيات : 2/411
(3) شعره : 49 . والخريدة : 2/117 ، من قصيدة في مدائح آل عباد .

يا مَنْ قَضَى اللهُ أنَّ الأرضَ يملِكُها
عَجِّلْ ففي كلِّ قُطْرٍ أنْتَ مُنْتَظَرُ

وقال (١) :

يَهْوَى قناتَكَ قَلْبُ مَنْ لم تَهْوَهُ
فيكادُ فوقَ سِنَانِها يَتَقَلَّبُ
أنْتَ النَّهارُ فليسَ دونَكَ نُجْعَةٌ
والليلُ أنتَ فليسَ دونَكَ مَهْرَبُ

وفي هذا بيتُ النابغة (٢) وزيادةٌ لأنه قال :

فإنَّكَ كالليلِ الَّذي هُوَ مُدْرِكي
وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأَى عنكَ واسِعُ

وقد أجاد ابنُ أبي الفراتِ (٣) في قوله :

كأَنَّ فِجَاجَ الأرضِ كفَّاكَ إنْ يَسِرْ (٤)
بها مُجْرِمٌ ضَمَّتْ عليهِ الأَنَامِلا

---

(١) لم نجدهما في شعره المجموع .

(٢) ديوانه : ٣٨ ، من قصيدته في مديح النعمان بن المنذر .

(٣) هو مصعب بن محمد بن أبي الفرات المعروف بأبي العرب الصقلي .. والبيتان في الخريدة (قسم المغرب) ٢/٢٢١ ، وفي شرح مقامات الحريري للشريشي : ٢/٢٤٨

(٤) رواية الخريدة وشرح المقامات : إن يسر بها هارب تجمع ...

فأينَ يَفِرُّ المــرءُ عَنْكَ بِجُرْمِــهِ
إذَا كانَ يطوِي في يديْكَ المراحِــلا ؟

وقـــال (١) :

يجري النهـــارُ إلى رِضَاكَ ولَيْلُهُ
وكِلاهمـــا مُتَعَاقِبٌ لا يَسْـأَمُ

فكأنَّما الإصبـــاحُ تَحْتَكَ أشْقَــرٌ
وكأنما الإظـــلامُ تحتك أَدْهَـــمُ

والخيـــلُ كانتْ تستريــحُ من السُّرَى
لو لم يكُنْ فوقَ البسيطــةِ مُجْرِمُ

تَهْوَى قَنَاكَ الطــيرُ فَهْيَ وراءَها
تهوِي لتُبْصِرَ حيثُ تَطْعَنُ تَطْعَمُ

بلغَتْ إلى السَّمْعِ الأصَمِّ صفاتُهُمْ
وأبـــانَ فيهِنَّ اللِّسَانُ الأعْجَــمُ

قوله : تهوَى قناكَ الطيرُ هو المعنى الذي سبق [٥٣] الأَفْوهُ الأوديُّ إليه . واتَّبع جماعةٌ من الشعراء تمثيلَه فيه واحتَذَوْا عليه . ومن المشهــور في ذلك ما جاء للنابغــة ، ومسلمٍ ، وأبي نُواسٍ ،

(١) الأبيات لابن اللبانة ، وفي المختار من شعر شعراء الأندلس : ١٣٥ البيت الرابع فقط .

وأبي تمامٍ وغيرِهم ، ومن مليح ما أعرفه فيه قولُ مروانَ بنِ أبي الجَنُوبِ (١) :

لا تَشْبَعُ الطيرُ إلا في وقائِعِهِ
فأينَمَا سارَ سارَتْ خَلْفَهُ زُمَرَا

عوارِفاً أنَّه في كلِّ مُعْتَرَكٍ
لا يُغْمِدُ السيفَ حتى يُكْثِرَ الجَزَرَا (٢)

وقولُ الآخر :

ولستَ تَرَى الطيرَ الحوائِمَ وُقَّعاً
من الأرضِ إلا حيثُ كان مُوَاقِعَا (٣)

وقولُ عُبيدِ الله بنِ قيسٍ (٤) :

والطيرُ إنْ سارَ سارَتْ خلفَ موكبِهِ
عوارِفاً أنَّه يسطُو فَيَقْرِيهَا

---

(١) هو مروان الأصغر بن يحيى بن مروان بن أبي حفصة · يكنى أبا السمط · ترجمته في (طبقات ابن المعتز : ٣٩٢ ، والأغاني : ١٢/٧١ ، ٢٣/٩٦ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٢١) ·

(٢) البيتان في المطرب : ١٦١ ، والمختار من شعر شعراء الأندلس : ١٣٣ في مديح المعتصم ·

(٣) البيت في المختار من شعر شعراء الأندلس : ١٣٤ ، بلا نسبة · والرواية هناك : حيث كانت وقائعه ·

(٤) ديوانه : ١٩٩ ، وهو بيت مفرد · والرواية هناك : فوق موكبه ·

وقولُ ابنُ نُباتَةَ (١) :

إذا حَوَّمتْ فوقَ الجمــوعِ عُقَابُهُ
تَبَاشَرَ عُقْبـــانٌ بهـــا ونُسُورُ

حَوَاجِلُ أو رُبْدُ الظهــورِ قشاعمٌ
قَوانِصُهـا للدَّارِعــينَ قُبُــورُ

وقولُ الآخر (٢) :

كَأَنَّ النُّسُورَ نَافَسَتْ فيهمُ الثَّرَى
فقـد حَصَّلَت أجسامَهُمْ في الحَوَاصِلِ

وقولُه :

وتَطَايَرَتْ في الجوِّ رِزْقُ أَجَـادِلٍ
طلبـتْ مَطَاعِمَهـــا وزُرْقُ نِصَالِ

وقولُ الآخر :

عَتَادُهُمُ خَطِّيَّةٌ قـــد تَكَفَّلَــتْ
برِزْقِ نُسُورٍ حُوَّمٍ وخَوَامِـــعِ

وقولُه أيضاً :

فإنْ تَكُ أسْرَى عَفَّتِ البِيْضُ عنهمُ
فمنْ بَعْدِ أنْ عافَتْ ضِبَاعٌ وأنْسُرُ [٥٤]

---

(١) لم نجدهما في ديوانه ، ولكنهما في المختار من شعر شعراء الأندلس : ١٣٤

(٢) في الحاشية : (ابن آبي الشخباء) .

والبديعُ كلُّ البديع قولُ أبي الطيبِ (١) :

يُطَمِّعُ الطيرَ فيهمْ طولُ أكلِهِمُ
حتى تَكادَ على أحيائِهِمْ تَقَعُ

وقال (٢) :

سألتُ أخاهُ البحرَ عَنْهُ فقالَ لي
شقيقيَ إلا أنَّه الساكنُ العَذْبُ

لنا دِيمَتَا ماءٍ ومالٍ فديمتي
تَمَاسَكُ أحياناً وديمتُه سَكْبُ

إذا نَشَأَتْ (٣) ماليَّةٌ فَلَهُ النَّدَى
وإن نَشَأَتْ مائية (٤) فليَ السُّحْبُ

أَقِلُّوا عليه من سَمَاعِ صِفَاتِه
فإنّي لأَخْشَى أنْ يداخِلَهُ عُجْبُ

غَفَرْتُ ذُنوبَ الدهرِ لمَّا لَقيتُهُ
ودَهْرٌ به أَلْقَاهُ ليسَ لهُ ذَنْبُ

---

(١) ديوانه : ٢/٢٢٥

(٢) ابن اللبانة محمد بن عيسى من قصيدته في ناصر الدولة التي سبق تخريجها قبل صفحات ، وهي في شعره : ١٨ ـ ١٩ .

(٣ـ٤) في شعره : برية ، بحرية .

وأبلغُ من هذا قولُ مهيارَ (١) :

ومَا ذَمَمْتُ زمَاني في مُعَاتَبَةٍ

وحجَّتِي بكَ إلا وَهْوَ يَخْصِمُني

وقال محمدُ بن عُبادةَ ، فاستعمل أسلوباً غريباً ، وركَّب تركيباً غريباً عجيباً ، لأنه خلط بديحه غزلاً وتشبيباً :

نَفَى الحبُّ عنْ مُقْلَتيَّ الكَرَى

كَمَا قدْ نَفَى عنْ يَدَيَّ العَدَمْ (٢)

فَقَدْ قَرَّ حُبُّكَ في خَاطِرِي

كَمَا قَرَّ في راحَتَيْهِ الكَرَمْ

وفَرَّ سُلُوُّكَ عن فكرَتي

كما فَرَّ عن عِرْضِهِ كُلُّ ذَمّ

فَحُبِّي ومَفْخَرُهُ باقيانِ

فلا يذهَبَانِ بطولِ القِدَمْ

وقدْ شَابَ قَوْلِيْ بذِكْرِي لَهُ

مديحَ أجَلِّ مُلوكِ الأُمَمْ

---

(١) ديوانه : ٤/١٣٧ من قصيدة يهنىء بها زعيم الملك أبا الحسن بالمهرجان ، وأولها :

آإن تحدث عصفور على فنن أنكرت يوم اللوى حلمي وأنكرني

(٢) الأبيات الأربعة الأولى في نفح الطيب : ٤/١٠٣ وقد نسبت للقزاز في مدح ابن صمادح ، ومعها خامس غير الذي عندنا .

وقال ابنُ مُطَرِّفٍ (١) :

يَرَى العَوَاقِبَ في أثنــاءِ فِكرتِهِ
كأنَّ أفكــارَهُ بالغيبِ كُهَّــانُ

لا طَرْفَةٌ منه إلا تَحْتَها عَمَــلٌ
كالــدَّهرِ لا دَوْرَةٌ إلا لهــا شَانُ

وقال عبدُ الحميد بنُ عبدِ الحميد (٢) : [٥٥]

أرِحْ مَتْنَ المُهَنَّــدِ والجَوَادِ
فقــدْ تَعِبَا بجِدِّكَ في الجِهَــادِ

قَضَيْتَ بِعَزْمَــةٍ حَقَّ العَوَالِي
فَقَضِّ بِرَاحَــةٍ حَقَّ الجِيَــادِ

وقال جعفرُ بنُ محمدٍ (٣) :

وعَصْرُكَ مِثْلُ زَمَانِ الرَّبِيْـــ
ـــعِ لاتَهْجُرُ الشَّمْسُ فيهِ الحَمَلْ

---

(١) هو ابن مطرف المنجم • والبيتان في الخريدة (قسم المغرب) : ٢/٢٠٩، وفي نفح الطيب : ٤/١١٠

(٢) عبد الحميد البرجي ، نسبة الى برجة من نواحي المرية • والبيتان في الخريدة (قسم المغرب) ٢/٢٠٩ ، وفي نفح الطيب : ٤/١١١

(٣) هو أبو الفضل ابن أبي عبد الله محمد بن شرف • انظر ترجمته في [الخريدة (قسم المغرب) : ٢/١٧١ ، وفي الذخيرة المجلد الثاني القسم الثالث : ٨٦٧ ، وفي المغرب : ٢/٢٣٠] والبيتان في الخريدة : ٢/١٧٢

تَسَامَتْ عُلاكَ سُمُوَّ النُّجُومِ
وسَارَتْ أيَادِيكَ سَيْرَ المَثَلْ

وقال آخر (١) :

لِعِزِّكَ ذَلَّتْ مُلُوكُ البَشَرْ
وعَفَّرتَ تيجانَهُم في العَفَرْ
وأنتُمْ مُلوكٌ إذَا شَاجَرُوا
أظَلَّتْهُمُ مِنْ قَنَاهُمْ شَجَرْ
بُدُورٌ تُجَرِّدُ سيْفَ النَّدَى
وتُغْمِدُهُ في رُؤُوسِ البِدَرْ

وقال مُصعبُ بنُ محمدٍ (٢) :

مَليكٌ يَجُرُّ الجيشَ جماً عَديدُهُ
لأرضِ الأعادِي زائِرٌ مُتَعَبِّدُ
يُزَعْزِعُ أقطارَ البِلادِ كأنَّما
تُحَمُّ بهِ الأرضُ الفَضَاءُ فَتَرْعِدُ

---

(١) في الحاشية : (أبو الحسن الفكيك) وهو بغدادي وفد على الأندلس ، وكان حلو الحديث ، مليح التندر ، قصيراً دميماً . من شعراء المعتمد . انظر ترجمته في نفح الطيب : ٤/١١٤ ، والذخيرة المجلد الأول ، القسم الرابع : ٣٦٨ ، وفي الخريدة (قسم المغرب) : ٢/٢١٧ . وفي الخريدة والنفح البيتان الأولان فقط .
(٢) في الحاشية : (أبو العرب الصقلي) .

وقـــال (١) :

إلى مَلِكٍ لو لَمْ أُحَـــلِّ قَلائِـــدِي
بِهِ لَمْ أَكُنْ من جَوْهَرِ الفَضْلِ حَالِيَا

أَلا إنَّني لَمَّـــا عَـــدَدْتُكَ أَوَّلاً
خَتَمْتُ ومَا اسْتَثْنَيْتُ (٢) بعـدَكَ ثانِيا

وهذا المقدارُ دالٌّ عـلى استنباط أمثاله من هـذا الأسلوب ، ومُسَهِّلٌ استخراجَ أنظارِه من هذا الغرض المطلوب ، وهادٍ إلى ما يجب قصدُه في المدح واعتمادُه ، وباعثٌ على ما يَلْزَم إضمارُه في الوصف واعتقادُه . وقد أوردنا في هذا الجزء أُنمُوذجاً لما يُجاريه من بابِه ، واقتصرنا [٥٦] عليه لتعذُّر استقصائه واستيعابِه . والله تعالى يُديم عـلى الأمة ظِلَّ مولانا ودولتَه ، ويُثَبِّتُ سلطانه ومملكتَه ، ويجعـل تراب أرضه رَثَماً (٣) في الشفاه ، وغُرَراً في الجباه ، ولا زال عَفْوُه كعبةَ الخائف الجاني ، وجودُه غايةً تسمو إليها هِمَمُ الأماني ، وأيامُه المشرقةُ الزاهرة موسماً للبشائر والتهاني ، ويرحم الله عبداً قال آمينا إن شاء اللهُ عزَّ وجلَّ .

الحمـد لله وصلى الله عـلى سيد المرسلين محمدٍ ، وعـلى آله الطاهرين وسلم . اللهُ حَسْبُ المملوكِ ونِعْمَ الوكيلُ .

---

(١) في الخريدة (قسم المغرب) : ٢٢٢/٢ البيت الأول فقط من أبيات في المعتمد بن عباد .

(٢) في الحاشية : (استثنيت هاهنا عددت ثانياً ، وليس الاستثناء الذي هو إخراج بعض من كل) .

(٣) يقال : رثمت المرأة أنفها بالطيب ، لطخته .



رسَالَةُ لُمَحِ المُلَحَ



رسالـــةٌ

سَمَّاها : مُلَحَ المُلَحِ

الحمدُ لله الذي كتب على نفسه الرحمةَ لأهل طاعتِه ، وفرض الزُلفةَ لمن أنضى فيها مطايا استطاعته ، ووسَّع طرُقَ الأعمال فيما يجازي عليه بالحسنى ، ووفَّق المخلصين لما ينالون به شرف الحظ الأسنى ، وأيدهم برُوح منه ، فوجب لهم الأجرُ الكريم ، ووعدهم خلود جناتٍ لهم فيها نعيمٌ مقيم ، « فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم » (١) . وصلى الله عــلى سيدنا محمدٍ نبيِّه الذي أيَّده بعزيز نصرِه [٥٧] واختصه من الفضل بما يعجز ذوو العقول عن حصرِه ، وأبان باصطفائه إياه عن رفيع منزلته وشريف قدرِه ، وجعله رحيماً بالمؤمنــين ، رؤوفاً بالمستضعفين ، وناهياً عن القُنُوط للجانين عــلى أنفسهم والمسرفين ، فقال تعالى على ما نطق به كتابُه الكريم : « قُلْ يا عبــادِيَ الَّذينَ أسرَفُوا عــلى أنفُسِــهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رحمــةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الــذُّنوبَ جميعاً إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ » (٢) وعلى أخيه وابنِ عمه أميرِ المؤمنين عليٍّ بن أبي طالبٍ المشهورِ بالشرف الخالص ، والمَحْبُوِّ بالمآثر والخصائص ، والمجموعِ فيه ما تفرَّق في غيره من الفضائل الجمَّةِ ، والمنصوص على علمه بما جاء في الحديث من كونه أقضى هذه الأمة . وعلى آلهما الأئمةِ الأطهار الــذين تجلت بأضوائهــم ظُلَمُ الشكوك ، ووضَحَتْ حُجَّتُهم

---

(١) الحجرات : ٨

(٢) الزمر : ٥٣

بهم حجة كُفَاتهم(١) من العظماء والملوك،وسلَّم ومَجَّدَ،وأجرى على أفضل ما عَوَّد . والحمد الله الذي أطْلَعَ من ملوك الأرض شُموساً لا تَتِمُّ المصلحة إلا بهم ، وحفظ أسلافَهم مُذْ تنقلوا [٥٨] أنواراً في ظهورهم ، وأصلابِهم ، وأرشدَ بهم من الضلالة ، وجعل آيتَهم مُبصِرة ، وأوضح المعــذرة لمن كانت قوته في صفاتهم مُقَصِّرة ، وحضَّ على طاعتهم شعوبَ الأمم وفِرقَهم ، وفضَّلهم على كافة بريته والذلك خلقهم ، وجعل هذا العصر مخصوصاً بأرفعِهم لديه رتبةً ، وأوجبِهم عنده قُربةً ، وأكثرِهم عادة في المراحم ودُربة، والمُجْتَبَى لحِياطة الأمة ، فكم كشف غُمَّة ، وفرَّج كُربة ! مولانا الملكِ السيدِ الأجل الأفضل أميرِ الجيوش سيف الإسلام ، كافلِ قُضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين ، عَضَّدَ اللهُ به الدين ، وأمْتَعَ بطول بقائه أميرَ المؤمنين ، وأدام قدرتَه ، وأعــلى كلمته ، الذي ظهرت آياتُه فَبَهَرَتْ ، واستفاضَتْ أوصافُه واشتَهَرَتْ ، وطَمَتْ بحار كرمِه الغامرِ وزَخَرَت ، وتاهت به البسيطة وباهت وفَخَرَتْ ، وتَشَوَّقت إلى استيلائه على جميع بلادِه ، وألقت إليه من مُهاجَرة ملوكِها أفلاذَ أكبادِه ، فازدحموا على بابه ازدحامَ الحسنات [٥٩] في أفعاله ، ونال كلٌّ منهم من شرف الحِباءِ ما لم يخطرْ قطُّ عــلى باله ، فعادُوا شاكرين لدهرِهــم ، راضِينَ عن زمانِهــم ، وصاروا مُتَّفقين في ولائه مع اختلاف ألسنتِهم وألوانِهم ، وما عُرِف الدهرُ محموداً إلا في جنابه المَريع وظلّه الوارفِ ، ولا عُلِمَ اتفاقُ بَنِيهِ إلا في أيامــه التي شَمَلَتْ بضُروب العَوَارِفِ فَعَلَتْ بذلك أطوادُ الخلافةِ العلويّة وسَمَتْ ، وانقطعت عنها موادُّ الطُّغَاة ببركته وانْحَسَمَتْ ، وتهلَّلت الملَّةُ الحنِيفيَّةُ بيُمْنِ كفــالته

---

(١) في الأصل : « ووضحت حجتهم بكفاتهم » ثم زيد فوق العبارة ما أثبتناه

العزيزة وابتسمت ، وتشعبت الخواطرُ في صفات مناقبه وتوزّعَتْ وتقسَّمَتْ . فلله هو من مَلِكٍ أحيا من الآمال رُفاتاً رميماً ، وأَبْرَأ من الأحوال عليلاً سقيماً :

وبَدَا الزمانُ به أَغَرَّ مُحَجَّلاً
ولَقَدْ عَهِدْنَاهُ أَغَرَّ بَهِيما (١)

وأنَّى يُحيط بجلاله وصفٌ وقد عَمَّ عدلُه الآفاق ، فساوى بين البعيد والقريب ، وتَأَرَّجَتِ الأرضُ بالثناء عليه فكاد النسيمُ يَتَضَوَّعُ بالطِّيب ، وحاز العِزَّةَ الباذِخةَ التي استحقها وراثةً وإلهاماً ، واستولى على الرتبة الشامخة التي يتعاظَمُها [٦٠] كلُّ مَلِكٍ ويتحامى (٢) :

فَعَلَتْ فَمَا يَسْمُو إليها مُرْتَقٍ
وغَلَتْ فَلَسْتَ تَرَى لها مُبْتَاعَا

فمهابتهُ مُقَابَلَةٌ العظمة بالخُشُوع والسجود ، ومخافته مُحَرِّمةٌ على الأجفان لذيذَ الهُجُوع والهُجُود ، وفواضلُه الوسيعة قد طبقت جميع الأرض من السهول والنجود ، وخلائقه الشريفة مُزْرِيةٌ بالجوهر الفاخر والروض المَمْطُور المَجُود ، فلا سبيلَ إلى استيعاب أوصافه الباهرة واستقصائها ، كما لا مَطْمَعَ

---

(١) البيت لابن حيوس . انظر ديوانه : ٢/٦٠٨ ، من قصيدة يمدح بها نصر بن محمود بن صالح وأولها :

يا ديمتيَّ نوء الثريا دوما   لتروّيا بالأبرقين رسوما

وروابة البيت في الديوان : آغم بهيما .

(٢) في الحاشية : (ابن حيوس) ولكننا لم نجد البيت في ديوانه .

في عدّ كواكب السماء وإحصائها • على أنّ مفاخره أعلى من النجوم محلاً ، وأكثر منها عدداً ، ومكارمه أوسع من البحار الزاخرة مدًى ، وأغزر منها مدداً، ولا اختلافَ بين ذوي الفهم والتصوّر، ولا ارتيابَ عند أولي التأمل والتدبّر أن الله تعالى اصطفاه ليملّكه الأرض وحده ، وأن ذلك مالا يستطيع أحدٌ إنكاره ولا جحده ؛ لما أوتيه من القوى اللاهوتيّة،ومُنِحه من الخصائص الملكوتيّة• والله – عزّ وجلّ – يقضي بدوام سلطانه القاهر وخلوده ؛ [٦١] ويملأ آفاق الدنيا بجيوشه المنصورة وجنوده ، حتى لا تبقى أمةٌ من الأمم إلا وقد ذلّت منه لمسترقّها ومالكها ، ولا بقعة من الأرض إلا وقد وُسِمَت بحوافر خيوله وسنابكها ؛ ليستهمَ النعمةَ به كافةُ الخلق وجميع البرية ، ويعلّم الكافّةُ من شريف سيرته مالا عهدَ لهم بمثله في الطباع البشرية ؛ وهو بكرمه يرفع هذا الدعاءَ الذي يصعدُ إليه ويترقّى ، ويجعل هذا الابتهالَ مُستقبلاً بالإجابة مُتلقّى ، ويسهّلُ بذلك نفاذ الأقضيةِ والأقدار ، ويُعجّلُ المصلحة بتيسيره لأهل هذه الدار • بفضله وطوله وقدرته وحوله •

ولما كانت خدمة مقامه الأكرمِ من أنواع العبادة وأسباب الطاعة ، والتوفّرُ عليها كفريضة الحج الواجبة على ذوي القدرة والاستطاعة، تعيّنَ على كل مملوكٍ أن يعتمدَ ذلك على حسَب إمكانه ، ويحرصَ على أدائه بقلبه ويده ولسانه . واثقاً أن المواقفَ الشريفة تقبل جهد المقلّ في خدمتها ، والمقاماتِ الكريمةَ ترضى قدرة المستطيع وإن قات في [٦٢] مقابلة عظمتها :

أَلَمْ تَرَنَا نُهْـــــدِي إلى اللهِ مالَه

وإنْ كانَ عنه ذَا غِنىً فَهْوَ قَابِلُه

فلذلك خدم الملوك بلُمْعَة من الأدب الذي نَفَقَتْ في أيام مولانا سوقه ، ووضحت للمتوسلين به سبيله وطريقه ، وجعل خدمته مشتملة على أشياءَ قد عُهِدَ فيما يماثلها أن يُسَالَ إليه ويُصغَى ، وأُلِفَ فيما يجانسها أن يُحافَظَ عليه ولا يُلْغَى . وكان اعتمادُه على البدائع التي ظهرت في دولته كوامنُها ، وبرزت في مملكته مخبَّآتُها ودفائنُها . فإن أورد قديماً فلِمَا هو عليه من بديع المعنى وحُسْن السبك، وأنه مما لم يَبْتَذِلْه الاشتهارُ كما ابتذلَت الرواية : قِفَا نبك . أو لأن فيما أورده لمحدَثٍ شبيهاً له ومثالاً . فقصد بذكره أن ينظمَ للمحاسن عِقداً ، ويجمعَ لها شملاً . أو لأن الملوك أو من يماثله من المحدثين أغربُوا فيما انتقدوه فيه ، وتَنَبَّهوا منه على ما لم يُسْبَقُوا إليه ، ولولا ذلك لما عَرَضَ له ، ولا ألمَّ به ؛ إذ كانت خزائن مولانا قد اشتملت على مَصَنَّفِ القديم ومَقُوله ، واستغنت بما اشتملت عليه عن مُعَادِ ذلك ومنقوله [٦٣] والله عزَّ وجلَّ يُوَفِّق الملوك لما يُحظيه ويُزْلِفُه ، ويُسْعِدُه بارتضاء ما يخدُمُ به ويُؤَلِّفُه بِمَنِّه وكرمه .

من المحاسن العصرية في المملكة المصرية

قد خُدِم مجلسُ مولانا الملك بغرائبَ من المدح كان البيان بها ضنيناً ، وأنْتَجَ الدهر له من بدائع القول ما لم يزل في حشاه جنيناً ، مما استقرَّت الخِدَم به عند حَفَظَتِها ، وحصلت مَصُونَة تحت أيدي خَزَنَتِها ، من منثورٍ يُتَنَاقَلُ في الآفاق ويُتَهَادَى ،

ويُحدِث لسامعه طرباً لم يكن لمثله مُعتاداً (١) :

وقَوافٍ لَيْسَتْ تفَارِقُ مَعْنَا
هُ (٢) علَى أنَّها تَجُوبُ البِلادَا

ولولا ذلك لقَصَرَ المملوكُ هذا الفصل منها على الجوهر الشفاف ، وأورد من الصفات الشريفة ما يَنْسَبُ المُفْرِقُ فيه إلى التقصير إذا نَسِبَ غيرُه إلى الإسراف • فهو يذكر غُرَراً لا يتحيَّزُ إلى فن مُفْرد ، ويُورِدُ مُتَخَيَّراً يُعْرِب عن حسن المطلب وجودة المقصد ، ويفتتح ذلك بأحق الأشياء بالتقديم ، وأولاها بالتشريف والتعظيم • [٦٤]

قال محمودُ بنُ القاضي الموفَّق في مولانا الملك ثَبَّتَ اللهُ دولته :

مَلِيكٌ تَذِلُّ الحادِثَاتُ لِعِزِّه
يُعِيدُ ويُبْدِي والليالي رواغِمُ

فكَمْ كُرْبَةٍ يومَ النِّزالِ تكشَّفَتْ
بحَمْلاتِه وهْيَ الغَواشِي الغَواشِمُ

---

(١) في الحاشية : (ابن حيوس) والبيت في ديوانه : ١/١٤٤ من قصيدة يمدح بها عز الملوك أبا الفضائل سابق بن محمود ، وأولها :

عوضونا عن السهاد الرقادا   فلعل الخيال أن يعتادا

(٢) رواية الديوان : بقواف ليست تفارق مغناك •

تَدَارَكْنَا والمَكْرُمَاتُ دَوَاثِرٌ
يصمُّ صَدَاها والمَعَالِي مَعَالِمُ

تَشِيدُ بناءَ الحَمْدِ والمجدِ بِيضُهُ
وهُنَّ لأُسَّاسِ الهَوَادِي هَوَادِمُ

إذا صَدَرَتْ عَنْ مَوْرِدِ الموتِ خِلْتَهَا
بأغمادِها وَهْيَ العَوَارِي العَوَارِمُ

رِقَاقُ الظُّبَى تَجْرِي بأرزاقِ ذَا الوَرَى
وآجَالِهِمْ فَهْيَ القَوَاسِي القَوَاسِمُ

وكان أبو طاهرٍ الأطفيجيُّ العابد اقترح عليه أن يَقِفَهُ / على شيء من منظومه . فعمل هذه القصيدة في مدح مولانا ـ خلَّد اللهُ ملكه ـ وقال فيها مخاطباً للعابد :

صحائِفُ أعدَاها الشبابُ بِصِبْغِهِ
فهلْ أنتَ ماحٍ ما تَخُطُّ المَآثِمُ

إذَا قَائِمُ السيفِ انثَنَى في مُلِمَّةٍ
ولم يُغْنِ أَغْنَى وحْدَهُ وَهْوَ قَائِمُ

ولا يعلم الملوكُ شاباً مدح شيخاً متعبِّداً ، وحَدَثاً اجتَدى ناسكاً متزهِّداً بأحسنَ من هذا . وإذا كان الناسُ قد أجْلَبُوا بقولِ حبيبٍ (١) :

---

(١) ديوانه : ١/٢٠٦ ، من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى ←

يَسُدُّونَ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ
تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ

وهو بيت واحد ، فما الظنّ بعِدّةِ أبياتٍ سالمة [٦٥] من الضعف ، بريئةٍ من التَسَمُّجِ في الوصف ، ألا إنّ ذلك بسعادة من خَدِمٍ بها مقامُه الأشرف ، وإقبالِ من اتسعت مناقبه فغدا الخاطر يجري في ذكرها ولا يتوقّفُ . وهذا النوع يُسَمّى : التجنيسَ المُرَكَّبَ . وقَوْمٌ يُسَمّونَه : الناقِصَ ، لأن الحروف الأصلية في إحدى لفظتيْ التجنيس تَنْقُصُ عن الأخرى ، وقد أراد قوم جمعَ أقسامه فلم يُحيطوا علماً بها ، وَوَدّوا حَصْرَ أنواعِه لو آمِنُوا من تَفَرُّعِها وتَشَعُّبِها : /

وَلَكِنَّها صَوْبُ العُقُولِ إذا انجَلَتْ
سَحَائِبُ منها أَعْقَبَتْ بِسَحَائِبِ [١]

لأن أدباء كل وقت يُحْدِثون من ذلك ما يقترحون له ألقاباً ،

العجلي ، وأولها :

على مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب

وورد في الحاشية بيت ابن حيوس :

إذا الحرب كلت يوم حرب فإنها
قواضٍ مواضٍ أن تَغلِبَ تَغلِبُ

وهو في ديوانه : ١/٣٦ ، ولكن روايته :

إذا البيض كلت يوم حرب فإنها مواضٍ قواضٍ أن تغلب تغلب

(١) البيت لأبي تمام ، انظر ديوانه : ١/٢١٤ وهو من القصيدة التي سبق تخريجها قبل قليل .

وعلماءَ كل عصر يُوَلّدون فيه ما يقصِدُون به تعاطِياً وإغْراباً ، فَمِنْ مُسْتَحْسَنِ ما أَتَوْا به تجنيسُ التنوين ، كقوله :

أَنَا الّذي لا ذُوْ هَوَى ولا شَجَىً ولا شَجَنْ
لاقَىْ الّذي لاقَيْتُ مِنْ مَحَبَّتِي فَتَىً فَتَنْ

وفي هذا مناسبة" لقولِ المِيْكَالي (١) :

لَيْتَ أجْفَانِي بِهِ سَعِدَتْ
فَتَرَىْ الطَرْفَ الّذي فَتَرا [٦٦]

وقولِ الصقلّيّ (٢) :

نَهَاكِ أهْلُكِ عَنِّي مِنْ أجلِ أَهْلِكِ أَهْلِكُ

وقولِ مُجْبِرٍ (٣) أحدِ شعراء المجلس العالي المالكي ثَبَّتَ اللهُ سلطانه :

---

(١) ترجم صاحب اليتيمة لثلاثة من آل ميكال ، وذكر أنهم جميعاً على شهرة في تليد الأدب وطريفه ، وهم : الأمير أبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي ، ورئيس نيسابور أبو محمد عبد الله بن اسماعيل الميكالي ، وابنه أبو جعفر محمد بن عبد الله بن اسماعيل . انظر اليتيمة : ٣٥٤/٤

(٢) هو أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أبي البشر الكاتب الصقلي الأنصاري [انظر ترجمته في الخريدة (قسم المغرب) : ٥/٢] والبيت في ديوانه : ٦٥ من أبيات أولها :

عذبت قلبي ببخلك فامنن عليّ بوصلك

وهو في الخريدة : ١٣/٢

(٣) هو مجبر بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن مجبر بن الحباب الأموي . ولد بصقلية عام ٤٦٤ هـ ، ثم انتقل الى مصر . انظر الخريدة (قسم شعراء مصر) ٨٩/٢

غارُوا فَغَارَ لِحَيْنِي فيهِمُ قَمَرٌ

هويتُهُ أفَلا أبْكِي وقَدْ أفَلا

والمتقدِّمون يُسَمُّونَ هذا : تجنيسَ المماثلة ، وقومٌ يعبِّرون عنه بتجنيس اللفظ والخطّ ، ويجعلون قولَ أبي نُوَاسٍ (١) في آل الربيع من أحسنه وهو :

عَبَّاسُ عباسٌ إذا حَضَرَ الوَغَى

والفَضْلُ فَضْلٌ والرَّبيعُ رَبيعُ

ويروى : إذا احتَدم الوغَى ، أي اشتدَّ حرُّه

والمملوك يقول : إن الأمدَحَ أن يكونَ إذا اشتد الوغى بَسَّاماً لا عبَّاساً ، فإن قصد بعبَّاسٍ رجلاً مشهوراً بالشجاعة فهو وجه جيد ، ويكون من باب قولِ الآخرِ :

حتى كأنَّك ياعليُّ عليُّ

ومن الشجعان المشهورين : عباسُ بنُ مِرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ ، ورآه عَمْرُو بنُ مَعْدِي كَرِب فقال : أهذا عباس بنُ مرداس ؟ لقد كنا نُفَرِّقُ به صبيانَنا في الجاهلية. اللهم إلا أن يكون أبو نُواسٍ أراد ما جاء في الحديث من قوله عليه السلام : (الْقَوْا الكُفَّارَ بوجوه مُكْفَهِرَّةٍ) [٦٧] أي غِلاظٍ ، فهو وجه ، فأما قولُ الأعشى (٢) :

---

(١) ديوانه : ٤٦٣

(٢) ديوانه : ١٩١ ، والرواية هناك : سُدتَ بني الأحوص لم تعدهم ..
وهو من قصيدة يهجو بها علقمة بن عُلاثة ، ويمدح عامر بن الطفيل
وأولها :

شاقتك من قَتْلَةَ أطلالُها بالشط فالوِتر الى حاجرِ

إنْ تَسُدِ الحَوْصَ فلم تَعْدُهُمْ
وعامرٌ سادَ بني عامرِ

فمنْ علماء الشعر من يجعلُه مُجَانَسَة ؛ لأن أحدها رجلٌ والآخر قبيلة ، ومنهم من يقول بل معناهما واحد ؛ لأنه قال : بني عامرٍ، فأضاف البنين إليه ، ولو قال : ساد عامراً ، يعني القبيلة ؛ لكان تجانُساً غيرَ مَدْفُوعٍ . وقد سَلِمَ ابنُ سعيدٍ الحلبيُّ (١) من هذا التأوُّل في قولـه :

آلَ غَنِيٍّ (٢) مَا لِنَادِيكُمُ
قَدْ فَقَدَ الطَّارِقَ والسَّامِرا

ومَا لهذا البيتِ من عَامِرٍ
لم يُبْقِ بيتاً للنَّدى عامِرا (٣)

ومما ولده المُحدثون تجنيسُ التورية ، كقولِ مهيارٍ (٤) :

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان أبو محمد الخفاجي الحلبي .

(٢) البيتان في ديوانه : ٥٣ ، وهما مطلع قصيدة يرثي بها الأمير عضد الدولة الغنوي ، ورواية الديوان : يا لغني .

(٣) رواية الديوان :

مذهد هذا البيت من عامر لم يبق بيتاً للعلا عامرا

(٤) ديوانه : ٢/٢٨٩ من قصيدة كتب بها الى صديق له بالبطيحة يتشوقه ويمازحه باستهداء جبة ، وأولها :

قل لها أيها الخيال الطروق : نفر العشقَ ما جنى المعشوقُ

ومُدِيرٍ سِيَّانَ عينــاهُ والإبْـ

ـرِيقُ فَتْكاً ورِيقُـهُ والرَّحِيقُ

والإِبْرِيق ها هنا السيف ، وهو من أسمائه . قال أهلُ اللغة : إذا كان في السيف بَرِيق فهو إبريق . ووجهُ التورية أنه لمَّا قال : ومدير ، ثم ذكر الإبريق حَسُن أن يعتقد فيه أنه آلةُ الخمر ، ولما كان المعنى على السيف صار مُوَرِّياً عن غرضه بهذه اللفظة المشتركة . وهذا غرور في التجنيس [٦٨] ومِثْلُه قوله (١) أيضاً :

فَتَىً لا يُرِيدُ المجدَ إلا لنَفْسِهِ

ولا المالَ إلا قِسْمَةً ومَنَائِحَا

يُنَازِعُ أزْمَاتِ الزمانِ بِأَنْمُلٍ

جَوابِرَ للأحوالِ تُسْمَى جَوَارِحَا

فورَّى بجوارح ضِد جوابر عن الجوارح التي هي الأعضاءُ ، وقصد ههنا الأيدِيَ .

وقولِ عبد الله بنِ سعيد (٢) :

إذا سكنْتُمْ فقلبِي زائِـدُ القَلَقِ

وإنْ رَقَدْتُمْ فَطَرْفِي دائِمُ الأَرَقِ

---

(١) ديوان مهيار : ١٩٨/١ من قصيدة كتب بها الى الصاحب أبي القاسم ابن عبد الرحيم في المهرجان يهنئه ، وأولها :

أمرتكم أمري بنعمان ناصحاً وقلت : احبسوها تلحق الحيّ رائحا

(٢) لم نجدهما في ديوانه .

سَرَقْتُ بالنَّومِ وَصْلاً منْ خيالِكُمُ

فصارَ نَوْميَ مقطوعاً علَى السَّرَقِ

فورَّى بقوله : مقطوعاً الذي هو حُكْمُ السارق / عن انقطاع نومه الذي هو ذهابُه وعدمُه .

وقولِ مُجْبَرِ بنِ محمدٍ :

فسقَى مَحَلَّ الجِزعِ من مَحَلٍّ بهِ

غَيْثٌ تَدُورُ علَى الرُّبَى كاسَاتُهُ

سفحٌ سَفَحْتُ عليه دَمْعِي في ثَرًى

كالمِسْكِ ضَاعَ مِنَ القَنَاةِ فُتَاتُه

فقد ورَّى بِضَاعَ من الضَّياع عن ضَاعَ من التَّضَوُّعِ . كما قال ابنُ حَيُّوسٍ (١) :

بِمَدْحٍ إذا ما ضَاعَ في القومِ نَشْرُهُ

فَمَا النِّدُّ أهْلٌ أنْ يكُونَ له نِدُّ

ومن مليحِ التورية قولُ عُمَرَ بنِ أبي رَبِيعَةَ (٢) :

---

(١) لم نجده في ديوانه .

(٢) ديوانه : ٤٩٥ ، من مقطوعة أولها :

أيها الطارق الذي قد عناني   بعد ما نام سامر الركبان

أيُّها المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً
عَمْرَكَ اللهُ (١) كيفَ يَلْتَقِيَانِ

هِيَ شَامِيَّةٌ إذا ما اسْتَقَلَّتْ
وسُهَيْلٌ إذا اسْتَقَلَّ يَمَانِ [٦٩]

يعني الثُّرَيَّابنتَ علي بن عبد الله بنِ الحارث بنِ أميةَ الأصغرِ ، وكانت نهايةً في الحسن والجمال ، وسُهَيْلَ بنَ عبد الله بنِ عوف ، وكان غاية في القُبْحِ والدَّمَامَةِ فمثَّلَهما بِسَمِيَّيْهِما . وأراد بُعْدَهما وتفاوتَ محليْهما . وكلّ هذا من أبياتِ المعاني .

في الاشارة إلى مدائحِ مولانا وفضائِلِه

وما ازدانتْ به الأرضُ من قصورِهِ ومنازلِهِ

لما كان مولانا الملكُ ـ خلّد اللهُ ملكه ـ آيةَ الله التي أبداها لعباده وأظهرها ، ورحمتَه التي بعثها على بلاده ونَشَرَها ، ومعجزتَه المُوضِحَةَ مستورَ الحكمة ومكنونَها ، وسريرتَه المُسْتَوْدَعَةَ من غامض علمه ما جعل كلَّ آيةٍ دونَها ؛ فكأنَّ البسيطةَ ما سُطِحَتْ إلا لِتَجُولَ فيها عساكرُهُ ، وكأنَّ البريةَ ما خُلِقَتْ إلا لتَنْفُذَ فيها أوامرُهُ ؛ وجب أن لا تخلوَ الدنيا من آثاره التي تمجيدُها حَتْمٌ ، وتعظيمُها فَرْضٌ ، وأن يَدُومَ على هذه الخليقة بهاءُ المُبَاهاةِ بها ما دامت السمواتُ والأرض . وهذه الآثار التي انبعث شعاعُها من فَلَكِ مملكته ، وانبسطت أنوارُها في آفاق دولته

---

(١) في الديوان : عمرك اللهَ .

تنقسم إلى [٧٠] قسمين : أحدُهما ما يَتميَّزُ السمعُ بشريف ذكرِه ، ويَتَشَنَّفُ بنفيس جوهرِه وثمين دُرِّه ، وهو الإخبارُ عن غامرِ عدلِه ، والإبانَةُ عن شامل فضلِه ، والوصفُ لمواقفه التي كشفت الأعداءَ فيها وثباتُه ، والذِّكْرُ لسيرته التي بَهَرَ البشَرَ تماديه عليها وثَبَاتُه . وجميعُ هذه المناقبِ قد ثبت في اللوح المحفوظ ، وتداولته الألسنُ فكلُّه من الملفوظ به غيرِ الملفوظ ، فما تترقَّى همَّةُ الإخلال إلى دراسته وتلاوتِه ، ولا تتسلَّطُ السَّآمَةُ على عذوبته في الأفواه / وحلاوتِه ، فقد أَمِنَ راويه من تَطَرُّقِ النسيان عليه والسهوِ ، ونال من فضيلة إيرادِه ما أقام عُذرَه في الخيلاء والزَّهْوِ . والقسم الثاني ما وقع على حسنه الإجماعُ ، وتنافست الأبصار فيه والأسماعُ ، واكتست به الدنيا أفخرَ زينة ، واستَخَفَّ الافتتانَ ببهجته الألبابَ الرزينَةَ ، من المباني التي غدت على صدر الأرض وِشاحاً ، وأظهرت في محياها غُرَراً وأوضَاحاً ، وأَلْبَسَتْ جيدَها عِقداً ، ومفرِقَها تاجاً ، [٧١] واستوقفت الأبصارَ على بدائِعِها فلم تَسْتَطِعْ عنها مَعَاجاً . وهذه موهبةٌ قد جمعت بين فضيلتيْ ملوكِ العرب والعجم ، واختصَّ مولانا من شرفها بما لم يَنَلْهُ أحـــدٌ في سالف الأمم ، وذلك أن المحافظة عـلى بقاء الذكر أمْرٌ قَسَمَه اللهُ بين أنبيائه الذين بعثهم وأرسلهم ، وبين ملوكِ أرضِه الذين اصطفاهم تعالى وفضَّلَهم . أما الأنبياءُ فَذِكْرُهم باقٍ ببقاء مِلَلِهم ، وأما الملوكُ فبما اقْتَضَتْه أحوالُهم في ممالكهم ودولِهم . فملوكُ العرب يعتمدون على تدوين مآثرِهم بالفصاحة والبيان ، وملوكُ العجم يُعَوِّلُونَ على إتقان العمارة وتشييدِ البنيان . وكلٌّ يعتقد أنه قد احتاط للذكر بما يضمن بقاءَه سرمَدًا ، ويجعل تناقله أمراً دائماً لا ينتهي إلى مَدى . ومولانا ــ خلَّــد الله ملكــه ــ فقد حاز ما لم

يَحُزْه أحد من النوعين ، وجمع منهما ما يبقى على الأبد لذّةً للسمع وقرّةً للعين ؛ لأنه قد خَدم من النظم والنثر بما لم يَفُزْ بمثله [٧٢] مخلوق. واستكْثَرَ من سِمَة الأرض بمنازله التي لكل منها من أنواره عَيّوق" . وقد اشتملت بغير شك على المحاسن الملوكيّة ، والصور الأرضية والفلكيّة ، وحوتِ الغرائبَ من اجتماع الحيوان المتَضَادّ من غير عدوَى ، والتسوية بينه في أُهب الذّهَب تبرعاً بالعطاء والجدوَى ، وأنَّى يكون اعتداء" في أعمال مملكته فضلاً عن قصوره، أو اجتراء" لأحد بحضرته ؟ والمهابةُ تقضي بعجزِه عن ذلك وقصورِه ، وقد وصفها شعراءُ مجلسه العالي فيما صنعوه ، وتنوّعوا في ذكر ما خَدَموا به من ذلك ورفعوه ، وعُمِل منه ما لم يشملْه شرفُ العرض بالمقام العالي ، ثَبَّت الله سلطانَه . فمما يرويه المملوكُ من ذلك قولُ محمودٍ القاضي الموفقِ ، ووصف التاجَ :

إنَّ البسيطةَ قدْ أعدْتَ شبابَها
حتى بَدَتْ وكأنّها لم تَهْرَمِ

لمّا غَدَتْ بكَ مُعْصِراً ألبَسْتَها
تاجاً تُرَصِّعُه سُعُودُ الأنْجُمِ

وتَمَاثَلتْ شُرُفَاتُهُ وصُحُونُه
في الحُسْنِ بينَ مُخَرَّمٍ ومُرَخَّمِ

وأولُ هذه الأبيات : [٧٣]

هذي منازلُ منْ هويتَ فَيَمِّمِ
وارتَعْ وسحَّ بربْعِها دِيَمَ الدَّمِ

عُجْنَا فَمِنْ صبٍّ بِصَبٍّ دُمُوعِهِ
ذَرْبٍ ومِنْ مُتَعَسِّلٍ مُتَعَلِّمِ

غَرَّاءُ يُجحدُ لحظُهَا بسقامِهِ
فَتَلَى فَتُخْبِرُ عنْ دَمِيْ بالعَنْدَمِ

شَعَلَ الهوى طَرْفي وقَلْبِي إذْ بَدَتْ
يَوْمَ النَّوى بِتَأَمُّلٍ وتَأَلُّمِ

منها :

من كلِّ طَلْقِ الوجْهِ إنْ شَهِدَ الوغى
لَقِيَ العِدَى بِتَهَجُّمٍ وَتَجَهُّمِ

ولمُجْبِرٍ أحدِ شعراءِ مجلسِ مولانا ـ خلَّد الله سلطانه ـ في وصف فَوَّارةٍ في المباني الشريفة على ما أوجبه تَخَيُّلُه ، واقتضاه توهُّمُه وتمثُّله ، لأنه أدركها بنظره ، / ولا أجال فيها حاسة بصره (١):

وفَوَّارَةٍ يَسْتَمِدُّ السَّحَا
بُ مِنْ فَضْلِ أَخْلافِها المُحْتَلَبْ

رَأَتْ جَمْرَةَ القَيْظِ مُحْمَرَّةً
لَهَا شَرَرٌ كَرُجُومِ الشُّهُبْ

---

(١) الأبيات في الخريدة (قسم شعراء مصر) ٢/٨٩

فَظَلَّتْ بها الأرضُ تَسْقِي السَّما
ءَ خَوْفاً على الجوِّ أنْ يَلْتَهِبْ

وهذا من قول الآخرِ في وصفها :

أمطرتِ الأرضُ بها السماءَ

ومن المستحسن في ذلك ما أتى به عليُّ بنُ الجهمِ في قوله :

وفَوَّارةٍ ثأْرُها في السماءِ
فلَيْسَتْ تُقَصِّرُ عنْ ثارِها

تَرُدُّ على المُزْنِ ما أسْبَلَتْ
على الأرضِ مِنْ صَوْبِ مِدْرارِها (١)

[٧٤]والذي صنعه الشعراء في هذا الباب مما هو مستقِرٌّ في الخزائن المعمورةِ مُغْنٍ عن التوسُّع فيه ؛ لا سيما وهذه الخدمة لُمحة، والذي أُورد فيها على وجه الإشارة .

ومن غير ذلك من الحكايات التي يتناقلُها الناسُ ويتداولونها ، ويستكثرون بلاغتَها ويستعظمونها على أنها مَطْلَعٌ يقتضي ما يجيء

---

(١) ديوانه : ٣٠ ـ ٣١ ، وهما من قصيدة يمدح بها المتوكل ويصف القصر المعروف بالهاروني وأولها :

وما زلت أسمع أن الملو ... ك تبني على قدر أخطارها

والبيتان في الخريدة (قسم شعراء مصر) ٢/٨٩ وقد نسبا للبحتري ، وهما في الخريدة (قسم المغرب) لعلي بن الجهم .

بعده ، وابتداءٌ لا عذرَ للإعجاب أن يكتفيَ به فيقفَ عنده ما تَضَمَّنَهُ كتابُ الوزراءِ والكتاب لابنِ عَبْدوس من أن فتى قدِمَ على عَمْرِو بنِ مسعَدَةَ متوسلاً إليه بالبلاغة ، وأن عَمْراً امتحنه فرمى إليه كتابَ صاحب البريد في بعض النواحي يخبر أن بقرةً ولدتْ غلاماً ، وقال له : اكتب في هذا المعنى ، فكتب : الحمد لله خالقِ الأنامِ في بطون الأنعامِ . فلما رأى عَمْرٌو ذلك جَذَبَ ما كتبه من يده ، وأحسن إليه ، وأعاده إلى بلده . وما علم المملوك أحداً تمم هذه البداية المُسْتَحْسَنَة ، ولا تعرَّض لتكميلها [٧٥] في مدة ثلاثِ مئةِ سنةٍ ، فاستيقظ لاستدراك ما تركه المتقدمون وأغفلوه ، وتنبه على استئناف ما أخلُّوا به وأهملوه ، إذ كانت أيام مولانا مكَمِّلة كلَّ ناقص من جميع الفنون ، ومخصوصة من الفضائل بما يُوفي على الأوهام والظنون . وأنشأ في ذلك ما العادةُ جاريةٌ أن يُقْرَأَ مثلُه على الناس وهو : الحمد لله خالقِ الأنام في بطون الأنعامِ ، ومُصَوِّرِهم بحكمته فيما يشاء من الأرحامِ ، ومخرج الناطق من الصامت مع اختلاف الأشكال ، وتباين الأجسام ، إبانةً عن باهر آيته فيما ابتدَعَ وإظهاراً لما استحال في العادات وامتَنَعَ ؛ ليدلَّ على أن قدرتَه أبعدُ غايةً مما يتخيلُه الفكر ويتوهمه ، وأن مصنوعاتِه شواهدُ وحدانيته لمن يتبيَّنُ معجزَها ويتفهمه . يحمده أمير المؤمنين على ما اختصَّ به أيامَه من بدائع مخلوقاته ، ويشكُرُه على غرائب صنعه التي أضحت من دلائل فضله وعلاماته ؛ إذ كان ــ جل وعلا ــ قد جعل آياتِه موقوفة على أزمنة [٧٦] أصفيائه ، ومعجزاتِه مقصورة على عصور أنبيائه وأوليائه ، على أن لديه من خليله وفتاه ، وصفيِّه الذي أوجَه السعد نحوه وأتاه ، السيدِ الأجل الأفضل أميرِ الجيوش سيف الاسلام ، ناصر الإمام ، كافلِ قُضاة المسلمين ، وهادي دُعاة

المؤمنين ، عَضَدَ اللهُ به الدين ، وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين ؛ وأدام قدرته ، وأعلى كلمته ، الذي اكتسى الدينُ بنصرته ثوبَ الشباب والبهجة ، واقترنت المبالغةُ في صفاته بقول الحق وصدق اللهجة ؛ ملكاً غدا الزمان جَذِلاً / بدولته مُغْتَبِطاً ، وسيداً ارتفع أنْ يأتي بالمكارم إلا مخترعاً لها مستنبطاً ، وسلطاناً يفعلُ الحسنةَ عذراءَ ؛ ويَتَنَزَّهُ أن يفعلَها عَوَاناً ، وهُمَاماً يَتَأَتَّسُ في العزمات بنفسه ، فلا يستنجدُ أنصاراً لها ولا أعواناً . لا جَرَمَ أن أمير المؤمنين يرفُل من تدبيره في ملابس العزِّ الفاخرة ، ويتحقَّق أن النعمة به في الدنيا برهانُ ما أُعِدَّ له في الدار الآخرة ، ويرغب إليه في الصلاة على جَدِّه محمدٍ سيد ولد آدمَ ، وأشرف مِنْ كل مَنْ سلف [٧٧] وقتُه وتقادمَ ، والمبعوثِ بشيراً ونذيراً إلى كافة البشر ، والمخصوصِ بتسبيح الحصَى ، وحنين الجِذْع ، وانشقاق القمر ؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أميرِ المؤمنين عليِّ بن أبي طالب ، مُسْتَوْدَعِ سرِّه ؛ ومُنْتَهى علمه ومقرِّه ، ومن قاتل الجن فَسَقَوا بعَضْبه كأسَ المنون ؛ ورُدَّتْ له الشمسُ كما رُدَّت من قبله ليُوشَعَ بنِ نُون ، وعلى آلهما الهداةِ الأئمة الذين زالت بإرشادهم كلُّ شُبهة وغُمَّة ، ونُسِخَت بأنوارهم ظُلَمُ الشكوك المُدْلَهِمَّة ، وتنقَّلت فيهم سيادةُ هذا العالم ، وسياسةُ هذه الأمة ، وسلَّم عليهم أجمعينَ تسليماً ، وزادهم تشريفاً وتكريماً وتعظيماً . وإن أمير المؤمنين إذا تأمل ما يُنْشِئُه الله تعالى ويُبْدِعه ، وتدبر مايبدئه سبحانه ويخترعه ، وجد من غرائب الفعل ، وغوامض القدرة ، وعجائب الصنع ، وسرائر الفِطْرة ، ما يبعث على الضَّراعة له والخُشُوع ، ويدعو إلى الاستكانة لعظمته والخُضُوع ، ويقتاد كلَّ ذي لُبٍّ وتصوّر ، ويضطر كل ذي عقل وتفكُّر إلى صحة العلم [٧٨] بأنه الله الذي لا إلهَ

إلا هو ، الواحدُ لا من حساب عادٍّ والقاهرُ بلا مُدافع لأمره ولا رادٍّ ، والرازقُ المُنشىء المقدر . والخالقُ البارىء المُصوِّر ، مُخْرِجُ العالمِ من العدم إلى الوجود ، وفاطر النَّسَمِ على غير المثال المعهود ، والدالُّ على حكمته بإتقان ذلك وإحسان تركيبه ، ومُصَرِّفُ الأقدار فيما تُحدِثه قدرتُه النافذة وتأتي به . وهذا برهان أمير المؤمنين فيما هو لَهِجٌ به من الذكر والتوحيد ، وحُجَّتُه فيما هو مُتَوَفِّر عليه من مواصلة التحميد والتمجيد ، والله عزَّ وجلَّ يضاعف له ثوابَ المجتهدين ، ويُنيلُه الزُّلْفَةَ بما يعينه عليه من إعزاز الدين . وإنه عُرِضَ بحضرة أمير المؤمنين كتابُ متولِّي البريد : يتضمن أمراً أبان عن العظمة القاهرة ، وأعرب عن المعجزة الباهرة ، وأوضح المعذرة لمن يعتقده من شرائط الساهرة . وذلك أنه أُنْهِيَ أن بقرة جرت حالُها على غير القياس ، فَنُتِجَتْ حيواناً على هيئة الناس ، وفي هذا مخالفةُ المنتوج جنسَ الناتج ، وذلك مما يضلل [٧٩] الفهم ويستوقِفُه ، إذ كان مما تُنكره العقول ولا تعرفه . وهذا من الإنذارات المُنَبِّهَةِ المُوقِظَةِ ، والإبداعات التي تضمَّنَتْ بالغ الموعظة ، وفيها تحذير لمن تمادَى على الآثام والمعاصي ، وتذكير ليومٍ يُؤخذ المجرمون فيه بالأقدام والنواصي . فتأمَّلوا معشر المسلمين ــ رحمكم الله ــ هذه الحادثة وما اشتملت عليه من الوعيد ، وتدبَّروا ما خطب به لسانُ التخويف فيها مُسْمِعاً للقريب والبعيد : « إنَّ في ذلك لَذِكْرى لِمَنْ كان له / قَلْبٌ أو ألقَى السَّمْعَ وهو شَهِيدٌ » (١) وبادِروا ــ وفقكم الله ــ إلى الدعاء والابتهال . واعملوا بما نُدِبْتُم إليه من صالح الأعمال ، وأقلِعوا عما كنتم تُمْسُون عليه من الخطايا وتُصْبِحُون ، وتوبوا إلى الله جميعاً آيها

(١) سورة ق : ٣٧

المؤمنون لعلكم تفلحون ، وتوسلوا عنده بتعميركم مظان الخير ومواطنه ، وانتهوا إلى ما أمركم به في قوله : « وذروا ظاهر الإثم وباطنه »(١) واعتقدوا الإخلاص في جميع ذلك وأضمروه ، [٨٠] واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه . فهذا إذا عكفتم عليه ، واجتهدتم فيه ، واعتمدتم منه ما يذهب عنكم رجز الشيطان وغيه ؛ حزتم من الثواب جزيلاً جسيماً ، ونلتم في العاجلة حظاً عظيماً ، وكنتم في الآجلة ممن قال الله فيهم تبييناً لصادق وعده وتفهيماً : « تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً » (٢) وقد دعاكم إيثار أمير المؤمنين إلى ما يحييكم ، ونصح الله تبارك وتعالى ولرسوله فيكم ، / فسارعوا إلى أمره ترشدوا ، وتمسكوا بهدايته توفقوا وتسعدوا . فاعلموا هذا ، واعملوا به ، وانتهوا إليه انتهاء من الطاعة غاية مطلوبه إن شاء الله .

من غريب الاتفاق أن أديباً أنشد الملوك بيتاً لعبد الله السمطي (٣) وهو :

حار طرف تأملك   ملك أنت أم ملك (٤) ؟

---

(١) الأنعام : ١٢٠

(٢) الأحزاب : ٤٤

(٣) من شعراء المعز بن باديس ، انظر ترجمته في الخريدة (قسم المغرب) ٢/٢٣٣ ، وقد ورد اسمه هناك : عبد الله السمسطي ، ولكن المحقق ذكر أن اسمه ورد في نسخة أخرى : عبد الله السمطي . وورد اسمه في نفح الطيب : ٣/٦١٤ ، عبد الله بن السمط .

(٤) البيت في نفح الطيب . وهناك أنه لما أنشد أبو القاسم ابن الصيرفي قول عبد الله بن السمط :

حار طرف تأملك   ملك أنت أم ملك

←

فقال المملوك : هذا يليق بصفة مولانا وينبغي أن يكون ثانيه :

بل تعاليْتَ رُتْبَةً فَلَكَ الأرضُ والفَلَكْ

وكان أحد شعراء المجلس العالي ـ ثَبَّتَ الله أيامه ـ ابتدأ قصيدة في ذلك الوقت لما رفعت العرب رؤوسَها ، وسَفِهَتْ نفوسَها ، وبَطِرَتْ نعمتَها ، وأساءت سيرتَها ، فقال :

ظَنُّوا جهادَكَ في أعدائِكَ الرُّومِ
يُلْهِيكَ بالشامِ عن قُوْصٍ وإخْمِيمِ

وما دَرَوْا أنَّكَ الشمسُ المنيرَةُ في السَّ
بْعِ السَّمواتِ والسَّبْعِ الأقاليمِ

فاستعظم المملوك تفاوت الخاطرين في الوصف ، واتفاقهما في الوقت . وذكر المملوك بالإجازة ما رُوِي من أن بعض الخلفاء سأل يوماً عَمَّنْ ببابه من الشعراء فذُكروا له ، فأمر بإحضارهم ، فلما صاروا بين يديه قال : قد قلتُ بعض بيت فهل فيكم من يُكَمِّلُه ؟ قالوا : وما هو يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال :

المُلْكُ لله وحْدَهْ

← قال بديهاً :

بل تعاليت رتبة فلك الأرض والفلك

والبيتان في الخريدة (قسم المغرب) ١/٣٣٩ وقد نسبا لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن زكريا القلعي الأصم .

فقال أحدُهم (١) ارتجالاً :

وللخليفةِ بَعْدَهْ [٨٢]

فقال : أحسنتَ ، فهل من زيادة ؟ فقال :

وللمُحِبِّ إذَا مَا حَبِيبُهُ باتَ عِنْدَهْ

فأمر له بصِلةٍ سَنِيَّةٍ .

وحُكي أنَّ أبا نواسٍ ، والعباسَ بنَ الأحنفِ ، والحسينَ بنَ الضَّحَّاكِ الخليعَ ، ومُسْلمَ بنَ الوليدِ ، ويَحْيَى بنَ مُعَلَّى ؛ خرجوا في مُتَنَزَّهٍ لهم ، وأدركتْ صلاةُ المغرب ، فقام يحيى يصلي بهم ، فَنَسِيَ (الحمد) وأُرْتِجَ عليه في : (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) فقال أحدُهم :

أَكْثَرَ يَحْيَى غَلَطاً في : قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدْ

فقال الآخر :

قامَ يُصَلِّي ساهِياً حتَّى إذا أَعْيَا سَجَدْ

فقال الآخر :

يَزْحَرُ في محرابِه زَحِيرَ حُبْلَى بِوَلَدْ

فقال الآخر :

كَأَنَّمَا لِسَانُهُ شُدَّ بِحَبْلٍ مِنْ مَسَدْ

---

(١) الخبر والشعر في العمدة : ١/١٩٢ . وهناك أن الذي أجاز شطر أمير المؤمنين هو الجماز ، محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن يسار مولى أبي بكر ، وهو ابن أخ سلم الخاسر ، وقيل : ابن خالته . بصري . ماجن ، خبيث اللسان (ترجمته في معجم الشعراء : ٣٧٤) .

فقال بعضُ المتأخرين ما جَرَّتْه الحكايةُ ، وأغفله الجماعة :

ونَسِيَ (الحَمْدُ) فَمَا مَرَّتْ اهُ عَلى خَلَدْ[1] [83]

فَصْلٌ

بعضُ العَصْرِيِّين :

وقدْ كانَ هـذا البحرُ ليسَ يَجُوزُه
سِوى خائفٍ من ذنْبِه ومُخَاطِرِ

فأضْحَى بِسَنْ يَنْتَابُ جودَكَ عامِراً
كأنَّ عليه محكماتِ القَنَاطِرِ

وفيه مُلامَحة لقول دِعْبِلٍ[2] :

وقَالَ أُنَاسٌ إذْ رَأَوْا فَضْلَ مِدْحَتي
لعمرانَ والنائي المكارمِ يُمْدَحُ

---

(1) في الحاشية : (قال الشيخ أبو العباس بن الخطية : قد بقي من ذلك ما يمكن أن يقال : فلعله قرأ غير ذلك ، وأورد :

ورام شيئاً غيرها يقرؤه فما وجد) ،

(2) البيتان غير موجودين في ديوانه (صنعة الدكتور محمد يوسف نجم) وفي شعره صنعة الدكتور عبد الكريم الأشتر : 89 ، البيت الثاني فقط ، وروايته :

وقالوا : أترجو (الفضل) والبحر دونه
فقلت : نوال (الفضل) ينخسن يسبح

أتطمعُ في عِمرانَ والبحرُ دُونَه؟
فقلتُ: نوالُ البحرِ يُحْسِنُ يسبَحُ

وهما يلتقيان من وجه، ويفترقان من آخرَ. فوجْهُ التقائهما: أن البحر صراط بين ممدوحيهما، ووجهُ / افتراقهما: أن أحدَهما يسعى إلى النوال، والآخرَ يسعى النوالُ إليه، إلا أن قوله: محكماتُ القناطر، مما ملّح فيه.

فَصْلٌ

من المحدثين المجيدين محمدُ بن شرف (١)، وذكر في بعض تصانيفه أنه كتب يشرح حال حَاجٍّ أصابه في الطريق حَرٌّ شديد، فنزل بئراً ليشربَ، فسقطت فيها صاعقة، فسلِمَ منها، ثم ركب وسار، فنزل بَرَدٌ أصابت رأسَه منه واحدة فقتلتْه. وكتابه في ذلك مشهور [٨٤] وقد كتب المملوك في هذا المعنى: إن من نوادر العِبَر، وبوادر الغِيَر، ما اتّفق لفلان عند توجهه من الطائف، وتركِه استصحابَ الماء توكلاً على اللطائف، فإنه لقي يوماً مُتَلَهِّبَ الأُوَار، مُتَضَرِّمَ النار، قد فُقِدَ نعيمُه، وعُدِمَ نسيمُه، واستُعير من لفح جهنمَ حرُّه وسَمُومُه، فاستند إلى صبره، وأوى إلى جَلَدِه، ظانّاً سرعةَ ذاك على ما وقع في خَلَدِه. فلما اشتدَّ القَيْظُ، وخِيفَ على النفوس الفَيْظُ (٢)، وتزايد به الأُوَام، وتَشَخَّص له الموت الزُّؤَام، جعل يتماسك ويسير، وقد تيقن أن

---

(١) في الحاشية: (شرف اسم أمه) وهو محمد بن أبي سعيد المعروف بابن شرف الجذامي القيرواني.

(٢) يقال: فاظ فوظاً وفواظاً مات، ومثله: فاظ فيظاً وفيوظة وفيظاناً...

باقي عمره قليل يسير . فبينا هو على تلك الحال ، يغور تارة ويَنْجِدُ ، وقد أعوزَه من يُعين وأعجزه من يُنْجِدُ ؛ إذا هو ببئر ساقته إليها مُهْلَةُ الأجل وهَدَتْه ، وقادته نحوها فُسحة المدة وأدَّتْه ، فلعدم الرِّشاءِ وتعذُّرِه ، وإعجالِ الأمر له عن تَثَبُّتِه وتَصَبُّرِه ؛ [٨٥] نزلها كارِعاً في مائها ، وناعشاً بها نفساً لم يبقَ غيرُ ذَمائها . وإنه لكذلك إذ وقعت عليه صاعقة حَبِيُّها يُصْعِق ، ومسُّها يُهْلِكُ ويُوبِق ، فلقيتِ البئرُ حِدَّتَها دونه، وحالت للمشيئة بين مَضَرَّتِها وبينَه ، ثم صَعِدَ منها بعد أن نَقَعَ غُلَّتَه ، وبلغ أمنيَّتَه ، فسما بطَرْفِه ، واستولى على طِرفه ، وأعجب بحظِّه ، وتوهم أن القدر لا يغفل عن حفظِه ، وتحقق أن قُصُودَ المنايا له مخطئة ، وضروب الرزايا عن الوصول إليه مبطِئة ، وسار جَذِلاً غيرَ جَزِعٍ ولا وجِل ، واثقاً بالسلامة وكم من واثق خَجِل ! فما مضت ساعة حتى نشأت غَمَامَة جَرَّ اليوم منها ستارتَه، ونسخ بها ذلك التوهُّجَ ومحا آيتَه ، وجعل جامدُ السماء يذوب ، وماء المُزْن يهطل ويَصُوب ، وأخذت الأقضية تُحَلِّل من الدِّيَم العُقَد ، وتُفَوِّق إلى مقاتل المقتول سهام البَرَد ، فلم يزلْ يأتيه أرْسَالاً ، ويتناثر عليه يميناً وشِمالاً ، إلى أن أصابت إحداهن منه الهامة ، فأذهبت [٨٦] نفسه وعَجَّلَت له القيامة . فسبحان من قَرَّب له المسافة بين مَنْهَل الاغترار ومَصْرَع الاعتبار ، ومن نجاه ممَّا الهلكةُ بمثله مُعتادة ، وأهلكه بما يُحْيي به أرضه ويرحم عبادَه . وهو المسؤول أن يُسبغ علينا فضله ، ولا يجعلَنا بين عباده مُثْلَة ، إنه جواد يجيب داعيَه ، ولا يُخَيِّب راجيَه .

وابن شرف من أعيان الشعراء ، وأماثل البلغاء ، وله أبيات يُجيد فيها ، ويُحسن في معانيها . فمن بديع شعره قولُه :

خُلُقٌ كماء المُزْنِ طِيبُ مَذاقَةٍ

والروضةِ الغَنَّاءِ طِيبَ نسيمِ

كالسَّيف لكنْ فيه حِلْمٌ واسعٌ

عَمَّنْ جَنَى ، والسيفُ غيرُ حَليمِ

كالليثِ إلا أنه مُتَبَرْقِعٌ

بوسَامَةٍ ، والليثُ غَشْيٌ وسيمِ

كالغَيْثِ إلا أن وابِلَ جُودِهِ

أبداً ، وجُودُ الغيثِ غيرُ مُقيمِ

كالدَّهرِ إلا أنه ذُو رحمةٍ ،

والدَّهرُ قاسي القلبِ غيرُ رحيمِ

وقولُه :

جفاني فواصلْتُ الصَبابَةَ والأَسَى

وبانَ فلم أعْدَم سُهَاداً ولا دَمْعَا

أَأَسْرٌ ولا أُفْدَى ، وقَتْلٌ ولا أُدَى

وسُقْمٌ ولا أُشْفَى ، وموتٌ ولا أُنْعَى

وقولُه (١) :

---

(١) البيتان في الخريدة (قسم المغرب) ٢/٢٢٨ ، وفي معجم الأدباء : ٣٨/١٩ ، وهما في البديع في نقد الشعر : ٣٣ بدون نسبة .

إنْ تَلْقَكَ الغُرْبَةُ في مَعْشَرٍ

تَضَافَرُوا فيكَ على بُغْضِهِمْ [٨٧]

فَدَارِهِمْ ما دُمْتَ في دَارِهِمْ

وأَرْضِهِمْ ما دُمْتَ في أَرْضِهِمْ

وقوله في مثله (١) :

يَا ثَاوِياً في مَعْشَرٍ قَدِ اصْطَلَى بنارِهِمْ

فَمَا حَيِيتَ جَارَهُمْ فَفِي هَوَاهُمْ جَارِهِمْ

وأَرْضِهِمْ في أَرْضِهِمْ وَدَارِهِمْ في دَارِهِمْ

وقوله في عود قينة (٢) :

سقَى اللهُ أرضاً أنْبَتَتْ عودَكِ الذي

زَكَتْ منه أغصانٌ وطَابَتْ مَغَارِسُ

تَغَنَّى عليها الطَّيْرُ وَهْيَ رطيبةٌ

وغَنَّى عليها النَّاسُ والعُودُ يابِسُ

---

(١) الأبيات في الخريدة (قسم المغرب) ٢/٢٢٨ ، وفي الذخيرة ، المجلد الأول القسم الرابع : ١٦٩

(٢) البيتان في الخريدة (قسم المغرب) ٢/٢٢٩ ، وفي فوات الوفيات : ٢/٤١٢

وقوله في مثله (١) :

يا عودُ مِنْ أيَّةِ الأشجارِ أنت فلا
جفا ثراها ولا أغصانَها الماءُ

غنَّى القِيانُ عليها وَهْيَ يابِسَةٌ
بعدَ الحَمَامِ زمَاناً وَهْيَ خَضْرَاءُ

وقوله (٢) :

خليلَ النفسِ لا تُخْلِ الزُّجَاجَا
إذا بَحْرُ الدُّجى في الجَوِّ مَاجَا

وجاهِرْ في المُدَامَةِ مَنْ تُرَائِي
فَمَا فوقَ البسيطةِ مَنْ يُدَاجَى

إذا مِرِّيخُها اتَّقَدَ احمراراً
صَبَبْنَا المُشْتَرِي فيها مِزَاجَا

والناس مختلفون في المزج • فمنهم من يراه فيأمر به ، ومنهم من يكرهه فينهَى عنه • وأحسنُ ما سمعه المملوكُ في الاعتذار عن المزج قول ابن رشيق : [٨٨]

---

(١) البيتان في الخريدة (قسم المغرب) ٢/٢٢٩

(٢) الأبيات في الخريدة (قسم المغرب) ٢/٢٢٨ مع بيتين آخرين •

ما شَجَّهــا الساقي لسوءِ خُلُقِهـــا

كيفَ ومِنْ تعليمِها حُسْنُ الخُلُقْ

وإنَّمَـــا ظَنَّ سَنَاهَا لَهَبــاً

فَشَجَّها بالماءِ كيـــلا تَحْتَرِقْ (١)

وهو مما أخذه من قولِ عبدِ المحسن (٢)

أتاني بها كالنارِ مِنْ قبـــلِ مَزْجِها

ومِنْ بعــدِه كالشمسِ عندَ غرُوبِها

لهيبُ قلوبِ الشَّرْبِ تُطْفَا بشُرْبِها

ويُخْشَى عـــلى أيديهِمُ مِنْ لهيبِها

وفي كلٍّ من المقطوعين ما ليس في الآخر ، فقول عبد المحسن : إن لهيب النار يُطْفَأُ بما يُخْشَى على الأيدي لهيبه معنى لم يستوفِه ابنُ رشيق ، وقول ابن رشيق :إنه شجها تَحَرُّزاً من الاحتراق زيادة على عبد المحسن .

وقد أحسن ابن رشيق أيضاً في وصف المزج بقوله :

---

(١) لم نجدهما في المجموع من شعره .

(٢) عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب الصوري ، الملقب بابن غلبون، شاعر حسن المعاني ، من أهل صور في بلاد الشام . توفي سنة ٤١٩ هـ (انظر الأعلام : ٤/٢٦٥) .

تزأر في الكـــأسِ وهْيَ مُزْبِـدَةٌ

كـــأنَّ حبسَ السُّقاةِ أغْضَبَهـــا

شُجَّتْ مِراراً كـــأنَّ شارِبَهـــا

لـم يَسْتَطِعْ قَتْلَها فَعَـــذَّبَها

ومن غريب ما في هذه الأبيات :

وقـــامَ بالكأسِ بيننا قَمَـــرٌ

يُديرُ ذاتَ اليمـــينِ كوكَبَها

فقلتُ : خُـذْها وهَاتِها عَجِـــلاً

فقـــال : لا تُكْثِرِ التعتُّـــبَ ها (١)

ويحتاج منشدُ هذا البيت عند ذكر القافية إلى إشارة المناولة ، فبذلك يتم المعنى .

فأما النهي عنه فمن أحسن ما جاء فيه لمتأخر (٢) : [٨٩]

قَدْرُ المُدامةِ فوقَ قَدْرِ المـــاءِ

فارغَبْ بكأسِكَ عن سِوَى الأكْفَاءِ

ولِفَرْطِ ما قَلَّ الخليطُ رَفَعْتُها

عمَّا يكـــونُ لها من الخُلَطَـــاءِ

(١) لم نجد هذه الأبيات في المجموع من شعر ابن رشيق .
(٢) هو ابن رشيق . وفي المجموع من شعره : ٢٢ البيت الأول فقط .

والمليحُ كلُّ المليح قولُ مُسلم (١) :

إذا شئتُما أنْ تسقياني مُدَامَةً
فلا تَقْتُلُوها (٢) كلُّ مَيْتٍ مُحَرَّمُ

خَلَطْنا دَماً من كَرْمَةٍ بدمائِنا
فأظهر في الألوانِ منّا (٣) الدَّمَ الدَّمُ

ولعمري إن أسرارها في الألوان فاشية ، وحمرةَ الخدود مُخْبِرةٌ واشية .

ولقد أحسن الآخر (٤) في قوله :

ومقتولِ سُكْرٍ عاش لمّا دعوتُه (٥)
فبادَرَ مسروراً يرى غَيَّهُ رُشْدَا

وقامَ تُثَنّيهِ بقايا خُمَارِهِ
وقد قَطَفَتْ عيناه من خَدِّهِ وَرْدَا (٦)

---

(١) ديوانه : ١٧٩ ، من قصيدة يمدح بها زيد بن مسلم الحنفي . وأولها :
أأعلن مابي أم أسر فكتم   وكيف وفي وجهي من الحب مَعْلَمُ

(٢) في الديوان : تقتلاها

(٣) في الأصل : منها ، والتصحيح من الديوان .

(٤) في الحاشية : (ابن المعتز) وهما له ، كما في ديوانه : ١/١٨٠

(٥) في الديوان : عاش لي إذ .

(٦) رواية الديوان :
وقام بكفيه بقايا خماره   وعيناه من خديه قد جفتا وردا

لأنه جمع بين الاستعارة والتشبيه مع حُسن اللفظ • وعلى ذكر العين والخد فقد أبدع ابنُ مكنسةَ في قوله (١) :

لم أرَ قبلَ شَعْرِهِ ووجهِهِ
ليلاً على صُبحِ نهارٍ (٢) عَسْعَسَا

والسُّكرُ في وجنتِهِ وطَرْفِهِ
يَفْتَحُ وَرْداً ويَغُضُّ نرجِسا

على أن من تشبيهاته التي ابتكرها قوله من أبيات في الخمر :

ما لاحَ وَجْهُكَ يَتجَلّى في مجلسٍ
إلا وجَلَّى عنه وجهاً أربَدا

بِكْرٌ إذا افْتَرعَتْ أخذتُ شعاعَها
بيديْ وقلتُ لأهلِها هذا الرَّدَى

ومن مليح ما وُصِفَ به فعلُها قولُ ابنِ وكيعٍ (٣) :[٩٠]

إذا مَلَكَتْ رِقَّ الحِجَى ساءَ مِلْكُها
لَهُ فَهْوَ منها مُدَّةَ الدهرِ آبِقُ

---

(١) البيتان في الخريدة (قسم شعراء مصر) ٢/٢٠٨

(٢) رواية الخريدة : ليلاً على ضوء الصباح ...

(٣) أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي ، شاعر بارع ، وعالم جامع ، من شعراء اليتيمة (ترجمته في اليتيمة : ١/٣٧٣ ، ووفيات الأعيان ، ترجمة ١٦٣ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ..) .

ويحكى أن رجلاً ترك النبيذ ، فقيل له : لِمَ تركتَه وهو رسول السرور ؟ فقال : إلا أنه بئس الرسول ؛ يُبْعَثُ إلى القلب ، فيمضي إلى الرأس .

وقال آخر (١) :

كأْسٌ إذا جُلِيَتْ علينا في الدُّجَى
لم تُبْقِ منها غَيْرَ صُدْغٍ أسودِ
وتظُنُّها دارتْ عليك وإنما
دارتْ على نُوَبِ الزمانِ بِمُرْقِدِ

ولابنِ شَرَف (٢) :

ولقد نعمتُ بليلةٍ جَمَدَ الحَيَا
بالأرضِ فيها والسماءُ تَذُوبُ
والكأسُ كاسِيَةُ القميصِ كأنَّها
لوناً وقَدّاً مِعْصَمٌ مَخْضُوبُ (٣)

---

(١) في الحاشية : (عبد المحسن) .

(٢) الأبيات في معجم الأدباء : ٣٩/١٩ ، وفي الخريدة (قسم المغرب) ٢٢٩/٢ ، وفي فوات الوفيات : ٤١١/٢ البيتان الأولان مع أبيات أخر .

(٣) في فوات الوفيات : لوناً وقدراً .. وفي معجم الأدباء :

والكأس كاسية القميص يديرها   ساقٍ كخودٍ كفه مخضوب

مشروبــةٌ ، لِلشَّبِّ شارِبــةٌ ، ومــا
شيءٌ سِواها شارِبٌ مَشْـــرُوبُ

وقد تَصَرَّفَ في معنى قوله : شارب مشروب ، ونقلَه إلى معنىً آخرَ فقال :

وطلبـــتُ منه تَكَرُّماً وظلمتُـــــه
فَتَعَجَّبُوا من ظالــــمٍ مُتَظَلِّمِ

مثـــلُ الصلاةِ أردْتُهــا من حائِضٍ
أو كالزكـــــاةِ طلبتُها من مُعْــدِمِ

وهذان في أبيات منها :

لـــولاكَ ما لبِسَ الضَّنَى جسدِي ولا
عَبَسَ الزمــانُ إليَّ بعـــد تبَسُّمِ

غـــيري جَنَى وأنا المُعَاقَبُ فيكُمُ
فكأنَّني سَبَّابـــــةُ المُتَنَـــدِّمِ (١)

وقد أخذ معنى هذا البيت أحد شعراء العصر فقال : [٩١]

فإنْ كـــانَ ذا غَيْظٍ فإني بَنَانُهُ
يَسِيلُ دَماً من عَضِّهِ المُتَتَابِـعِ

ولابن حيوس (٢) في تركيب شارب مشروب ، وظالم متظلِّم :

---

(١) في الايضاح : ٣٤١ هذا البيت فقط .

(٢) ديوانه : ١/١٧١ من قصيدة يمدح بها أمير الجيوش وأولها :

طاول بهمتك الزمان وحيدا فأرى مداك على الأنام بعيدا

فلكَ الفريدُ وقد وجـــدتَ نظَامَهُ

وليَ النظامُ (١) وقَدْ وجدتُ فَريدا

حمِدَ الورى ليَ ذا الثنـــاءَ ومذهبي

فيـــه فكنتُ الحامِدَ المحمُـــودَا

والاختلاف في الصرف والممـــزوج كالاختــلاف في الصَّبُوح والغَبُوق ، وقد أكثر الناس من الكلام فيهما ، والتفضيلِ بينهما . ومن أحسنِ ما سمعه المملوك في تفضيل الغَبوق على الصبوح قولُ بعض المتأخرين الذين اشتهروا بالعكوف / عـلى لذاتهـم ، وأطاعوا سلطان أغراضهم وشهواتهـم ، فإنه ذَمَّ الصبوح وكان يُدْمِنُه ، واعتذر عن ذلك بما يستطيعه ويُمْكِنُه فقال : لاعُذْرَ في الصبوح لغير مَلِك ، أو خليع منهمِك ، فالملِك لا يقاس عليه لعظمته ، والخليع لا يُلْتَفَتُ إليه لضَعَتِه ، وإن كنتُ في هــذا من الشعراء أقول مالا أفعل ، لكن فَضَّلْتُ أحسن القولين ، ولم أجمـــع بين الخطأ من وجهين .

وقال آخر ممن جعل النهار لرقدَتِه ، [٩٢] والظلامَ لعودته : لمَّا فَنِيَ عُمُرُ الأمس ، وطَفِيءَ سراجُ الشمس ، لاحت بروقُ الثغور اللوامـــع ، وجلجلت رُعُود الأوتار في المسامع ، وبُعِثَ مُخَارِق" وابنُ جامع ، فلم يزل ذلك دأبُنا ما أقلع سحابُنا ، ولا يبس ترابُنا ، حتى مُتْنا بالهجعة ، وكلُّنا يقول بالرَّجْعَة .

---

(١) رواية الديوان : ولي الثناء .

وقال آخر : لما ظهـــرت في الأرض الزَّهـرَةُ ، وفي السماء الزُّهَرَةُ ، شربنا عـلى المَا ، والمُقَبَّل الأَلْمَى ، وأجرينا شُقْرَ الراح حتى رأينا أشْقَرَ / الصباح فَكَمَنَّا في خَمَرِ النوم عُمرَ اليَوم ، ثم خلعنا عُهْدَةَ الرَّجْعَة ، وأعدناها جَذَعَة .

وقال من يخالف هذا المذهب ممن يمدح الصَّبوح يعاتبُ صديقاً له في الغَبوق : جعلتَ أول أمرنا أوَانَ سُكْرِنا ، وأدرتَ خَمْرَنا وقتَ خُمَارِنا ، فاغْرَمْ لنا بليلك ما أتلفْتَ من نهارِنا .

وقال آخر : نمنا بِنِيَّةِ الاصطباح ، فهبَبْنا قبلَ الصباح، [٩٣] والأصواتُ خشِنة ، والحركاتُ زَمِنة ، وبدرُ الإنس هاجـــع ، وكوكب الأُنس راجـــع ، ثم نشِط الكسلانُ ، وانتبه الوسنانُ ، وبَرْهَنَ الأعشى وأبو نُواس ، على مُدَاوَاة الكاس بالكاس . فكم صَرع من قِرْن ، وما طلـع للشمس قَرْن . ومن أعجب ما وقـع الاختلاف فيه ما كان الناس مجمعين (١) على مدحه أو ذمه ، فيأتي من الفصحاء من يُحَسِّن ببلاغته مخالفتهم ، ويزين بعبارته مُفَارَقتهم ، كالوعد الذي جُبِلت النفوس على مَقْته ، وطُبِعت على الاستبطاء لأوان إنجازه ووقته . كما قال الشاعر :

أتَى زائِراً مِنْ غـــيرِ وعدٍ وقال لي
أُجِلُّكَ عن تعـذيبِ قلبِك بالوعْدِ

---

(١) في الأصل : مجمعون .

فجاء من قال (١) :

أحسنتَ في تأخيرِها مِنَّةً
لو لَمْ تُؤَخَّرْ لَمْ تَكُنْ كامِلَهْ

وكيفَ لا يَحْسُنُ تأخيرُها
بعد يقيني أنها حاصِلَهْ

وجَنَّةُ الفِردوس يُدْعَى بها
آجِلَةً للمرءِ لا عاجِلَهْ

في الأبيات التي تقتضي قافية لا يكاد الخاطر يتخطّاها [٩٤] فيأتي قائلها بأخرى لايتعرّض لها الفكر ولايتعدّاها ، من ذلك قولُ عُلَيَّةَ بنتِ المهدي (٢) :

ومُغْتَرِبٍ بالمرجِ يبكي لشَجْوِهِ
وقد بانَ عنه (٣) المُسْعِدُونَ على الحُبِّ

إذا ما أتاه الركبُ من نحوِ أرضِهِ
تَنَسَّمَ يستشفي (٤) برائحةِ القُرْبِ

---

(١) في الحاشية : (ابن رشيق) والأبيات له ، وهي في المجموع من شعره : ١٣٨

(٢) البيتان مع ترجمة علية بنت المهدي وأخبارها في الأغاني : ١٠/١٩٣ وقصتهما أنه لما خرج الرشيد الى الري أخذ أخته علية معه ، فلما صار بالمرج عملت هذا الشعر وصاغت به لحناً وغنت به .

(٣-٤) رواية الأغاني : غاب عنه ، تنشق يستشفي .

قال السابقُ المعري : فأنزلتِ « الركب » عن هذه القافية وقد كان لها موضع ، ولكن « القُرب » أحقُّ به . وقولُ ابن نُباتة[1] :

رمتْهُ بها أهـــلُ الجبالِ فما دَرَوْا

أخيـــلٌ رمَتْهَا بالعِـدَا أم سَلاَلِمُ[2]

والمملوك يقول : إن الذي يَمُرُّ إليه الخاطر تقفيةُ هذا البيت بالقَشَاعم ، فلما ارتفع إلى السلالم زاد المعنى بهجة .

في القوافي التي يُتَحَدَّى بها ؛ فتتعذر على ملتمسيها وطلابها

من ذلك قولُ ابن نيقيا البغدادي[3] أحدِ شعراء الوقت :

للـــــهِ أيُّ مواقفٍ رقَّـــت لنا

فيها الرسائـــلُ والقلـــوبُ غِلاَظُ

---

(١) ديوانه : ١/٢٧٠ من قصيدة قالها في صباه مفتخراً . وأولها :

سوى حرتي ما هيجتها الحمائم وغير دموعي حاولتها المعالم

(٢) رواية الديوان :

رجمت بهم أهل الجبال فما دروا أخيل رمتهم بالعدا أم سلالم

(٣) عبد الله بن محمد بن ناقيا البغدادي ، توفي سنة : ٤٨٥ هـ (ترجمته في بغية الوعاة : ٢٩٢ ووفيات الأعيان : ٣/٩٨ ، وفي إنباه الرواة ٢/١٣٢ ، وميزان الاعتدال : ٢/٥٣٣) وقد ورد اسمه (ابن ناقيا) .

عهـــدِي بظِـلِّكَ والشبابُ نزيلُـه

أيـــامَ ربعُك للحسانِ عُكَـاظُ [1]

فأغرب فيما اهتدى إليه من هذه القافية [٩٥] وجدد بها رسم سوق جاهلية عافية، وأبان بذلك عن فكر دقيق، ومَغاصٍ بعيد عميق.

وقول محمدِ بنِ عبَّادٍ [2] :

مولايَ أشكـو إليك داءً أصبـحَ قلـبي بهِ قَرِيحا

سُخْطُكَ قد زادَني سَقَاماً فابْعَثْ إليَّ الرِضى مَسِيحا

فقوله : مسيحاً ، مما يضِلُّ الفكر في طلبه ، ويقف الخاطر دون حفظ السِّيَاقة به . وكان بعض إخوان الملوك قد سأله كتب رقعة إلى صديق يوم غِطَاس يستهـديه نبيذاً ، فكتب : جرت العـادة في الغِطاس بإعمال الكاس والطاس ، وهـذه الآلة إذا فَقَدتِ الراح ، بمنزلة أجسام عدِمَتْ الأرواح ، فَدَاو بإحيائها قلباً لي قريحاً ، وإذا كانت عازرَ فكُنْ لها مسيحاً .

وقول المطوّعي [3] في الميكَالِيِّ :

---

(١) البيتان في المختار من شعر شعراء الأندلس : ١٠٩

(٢) ديوانه : ٩٦ ، والخريدة (قسم المغرب) ٢/٢٨ ، والمختار من شعر شعراء الأندلس : ١٠٨ ، وقد كتب بهما الى أبيه .

(٣) في اليتيمة : ٤/٤٣٣ ترجمة لأبي حفص عمر بن علي المطوعي ، وقد اتصل بخدمة الأمير أبي الفضل الميكالي .

وطِئَتْ بيَ الوجناءُ وجْنَةَ مَهْمَهٍ
متقاذِفِ الأكنافِ والأرجاءِ

كيما أُلاحِظَ منه في أُفُقِ العُلا
فَلَكاً يُدير كواكبَ العلياءِ

قَرْمٌ يداه وقلبُه ما منهما
في النظمِ والإعْطاءِ إلا طائي

فأسكن حاتماً وحبيباً في بيت ، واستخرج تورية [٩٦] بذلك صفة الحي من الميت .

وقد أحسن المتنبي غاية الإحسان في قوله (١) :

وتملِكُ أَنفُسَ الثقلينِ طُرّاً
فكيفَ تَحُوزُ أنفُسَها كِلابُ

طلبتَهُمُ على الأمْوَاهِ حتى
تَخَوَّفَ أن تُفَتِّشَهُ السَّحَابُ

والمتنبي ــ وإن كان مشهورَ الإحسان في النظم ــ فقد كانت له معانٍ يُجيدها في النثر . رُوِيَ أنه مرض بمصرَ ، وكان بعض أصدقائه يزوره في مرضه ، فلما توجهت صحته ؛ تأخر عنه ، فكتب إليه : / واصلْتَني مُعْتَلاً ، وقطعتَني مبتَلاً ، فإن رأيتَ ألا

(١) ديوانه : ١/٧٥ ــ ٧٦ ، من قصيدة قالها في سيف الدولة لما ظفر سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة ، وأولها :

بغيرك راعياً عبث الذبابُ وغيرك صارماً ثَلَمَ الضِرابُ

تُنَكِّدَ الصحَّةَ عليّ ، ولا تُحَبِّبَ العلة إليّ . فعلتَ إن شاء الله . وذكر الإفليلي أن المتنبي أنشد سيف الدولة في الميدان قصيدته التي أولها :

لكلِّ امرِىءٍ من دَهْرِه ما تَعَوَّدَا [1]

فلما عاد سيف الدولة إلى داره استعاده إياها ، فأنشدها ، وكثر الناس فقال قائل منهم يريد كيْدَ أبي الطيب : لو أنشد قائماً لأسمع ، فأكثرُ الناس لا يسمعون ، فقال أبو الطيب : أما سمعتَ أولها : [٩٧]

لكلِّ امرِىءٍ من دهرِه ما تَعَوَّدَا

وهذا من مستحسن الأجوبة ولو أدرك المتنبي عصر مولانا لكانت خِدْمتُه واقفاً من أبهر آياته ، ومُثُولُه بين السِّماطَيْن قائماً من أشرف عاداته ، إذ كان الملوك وأبناؤهم لا تسمو هِمَمُهم إلى غير الوقوف لديه ، ولا يتعدى أملُهم الخضوعَ له والانتصابَ بين يديْه . ولقد سعِد بما يرويه مولانا من شعره سعادة لا يجهل أحد فضلَها ، فنال بعد وفاته رتبة لاتدرك الأفكار شأوَها ، ولاتبلغ الأوهام محلَّها :

تَنَبَّأَ عُجباً بالقَرِيض ولو دَرَى
بأنك ترْوِيه إذن لتأَلَّهَا [2]

---

(١) مطلع قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، ويهنئه بعيد الأضحى ، وعجز البيت :

وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

انظر الديوان : ١/٢٨١ .

(٢) البيت للشاعر ابن وهبون ، وهو أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسي . والبيت مع آخر في الخريدة (قسم المغرب) ٢/٦٥ ، وقد أنشدهما ابن عباد .

ومن القوافي التي لا يكاد يُهتدى إليها قولُ ابن المعتز (١) في وصف الطيور الهُدَّى :

لقــــد عَرَفْن البُرجَ بالآيـــــاتِ
يَلُوح (٢) للناظرِ من هَيْهَـــــاتِ

وهيهات غايةُ البعد . قال الله تعالى : (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ) (٣) وقد استعملها بحيث لا تَفْطَنُ القرائح لها .

وقوله في وصف فرسين يتباريان في الجري : [٩٨]

وكم قد غَدَوْتُ على سابقٍ جوادِ المحَثَّةِ وثَّابِهـــا (٤)
تبارِيْهِ جَرْداءُ خَيْفَانَةٌ إذا كادَ يسبِقُ كِدْنا بِها (٥)

فقوله كِدْنا بها ، من أغمض تتميم وأصعبه ، وأغربِ لفظ تَقَضَّي هذا البيت به .

---

(١) ديوانه : ١١٩ ، من قصيدة أولها :

أعــددت للغــاياتِ ســابقاتِ

(٢) رواية الديوان : حتى عرفن البرج بالآيات .... تلوح ..

(٣) المؤمنون : ٣٦

(٤) ديوانه : ٣١ ، من قصيدة أولها :

ألا من لعينٍ وتسكابها تشكّى القذى وبكاها بها

ورواية الديوان : كما قد غدوت ...

(٥) كدنابها : أي كدنا نسبق بها .

وقولُ محمدِ بنِ أحمدَ الأصبهانيِّ (1) :

والجوُّ مُخْضَرُّ الحواشي أَمْلَسُ
يَبْسِمُ فيه البَرْقُ وهْوَ يَعْبِسُ

وفيه سُرْجٌ نارُها لا تُقْبَسُ
بِتُّ أُرَاعِيْها كأنِّي هِرْمِسُ

فقد دلت هذه القافية على بديع الصنعة ، وقضت لهِرْمِسَ بالمعاد والرجعة .

وعلى ذكر القوافي فرُوِيَ أن هشاماً الأحولَ قال : كنا عند الأصمعيِّ ، فأخذ في شعر عُبيد الله بن قيس الرُّقَيَّات (2) ، فجعل ينشد حتى قال :

عادَ لهُ مِنْ كَثِيرَةَ الطَّرَبُ
فعينُهُ بالدُّمُوعِ تَنْسَجِمُ

وإنما هي تنسكبُ . وقال يا فتيان أمِروُّها على الميم . قال : فأمَرَّها ونحن معه ، يقول ونقول على الميم حتى بلغنا إلى قوله :

ما نَقَمُوا من بني أُمَيَّةَ إلْـ ....
.... ـلا أنَّهم يَحْلُمُون إن غَضِبُوا

---

(1) محمد بن أحمد بن الحسن الفياض الأصبهاني ، أديب نظام الملك الحسن بن إسحاق (ترجمته في المحمدون من الشعراء : 74 ، ودمية القصر : 1/438) .
(2) ديوانه : 1

فأراد قافية على الميم ، فلم يَقْدِرْ عليها • [٩٩]

والمملوك يقول : إن من أعجب الأشياء توقفَ الأصمعي خاصةً في تقفية هذا البيت على الميم مع ما يُروى عنه من قوله : إن الحِشْمَةَ في كلام العرب بمعنى الغضب ، وحكايته عنهم أن ذلك لِمَا يُحْشِمُ بني فلان ، أي يُغْضِبُهم ، فكان يلزمه أن يقول : حَشِمُوا • على أن أحسن ما قُفِّيَ به هذا البيت على الميم ما اقتضاه صدرُه فيقال :

ما نَقَمُوا من بني أُمَيَّةَ إلا ••••

•••• لا أنهم يَحْلُمُونَ إنْ نَقَمُوا

ويقال في البيت الثاني : /

وأنَّهم مَعْدِنُ الملوكِ فَمَا تَصْلُحُ إلا عليهمُ الأُمَمُ

ويجعل الأمم عوضاً من العرب •

وذكر ابن أبي طاهرٍ أنه عُرِضت على المنصور جاريةٌ ، وقيل : إنها راوية للشعر ، فاستنشدها ، فأنشدتْه شعر ابن قيسِ الرُّقَيَّات :

عاد له من كثيرةِ الطربُ

فلما بلغتْ إلى قوله :

ما نقَمُوا من بني أمية إلا ••••

علمتْ أنها قد أخطأتْ ، فقالت : أنهم يسْفَهُون إن غَضِبُوا • ثم قالت : [١٠٠]

وأنهم أرْذَلُ المُلوكِ فَمَا تَفْسُدُ إلا عليهمُ العَرَبُ

فقال لها : أهكذا رويتِ هذا الشعر ؟ قالت : لا واللهِ يا أمير المؤمنين ، ولكني لما أُلْقِيَ على لساني ، وعلمتُ أني قد وَحِلْتُ غَيَّرْتُه إجلالاً لك وصدقاً في القول ، فأعجبه ما رأى من فهمها ، وأمر بأن تُشْتَرى .

في القوافي المتمكِّنة التي يصلح أن تتلوَ هذا الباب

من ذلك قولُ ابنِ مُطَرِّفٍ (١) : /

يرى العواقِبَ في أثنـــاءِ فكرتِـه
كأنّ أفكـــارَه بالغيبِ كُهّـــانُ

لا طَرْفَةٌ منـه إلا تحتَها عَمَـــلٌ
كالـــدهرِ لا دَوْرَةٌ إلا لها شانُ

والبيتُ الأول ــ وهو المُراد ــ من قول ابنِ حيوس (٢) :

وإذا امتَطَى سيفَ الخـلافةِ عَزْمُهُ
فَلِدَوْلـــةٍ يبني وأُخرى يَهْـدِمُ

وإذا نظـــرتَ إلى عواقبِ رأْيِـــهِ
أَيقَنْتَ أن ظُنُونَه تَتَنَجَّـــمُ

كما أن تركيب قول مهيار (٣) ، والمرادُ الثاني :

---

(١) هو ابن مطرف المنجم ، وقد سبق تخريج البيتين .
(٢) لم نجدهما في ديوانه .
(٣) ديوانه : ١٥٨/٤ . مطلع قصيدة كتب بها الى حضرة ناصر الدين أبي القاسم بن مكرم . والبيت الثاني هو الخامس من القصيدة .

صحا القلبُ لكنْ صبوةٌ وحَنِينُ

وأقْصَرَ إلا أنْ يخِفَّ قَطِينُ

وقالوا : يكونُ البَيْنُ والمرءُ رابِطٌ

حَشَاهُ بفضلِ الحزمِ ؟ قلتُ : يكونُ

من قول عُروَةَ بنِ أُذَيْنَةَ (١) : [١٠١]

مَنَعَتْ تحيَّتَهَا فقلتُ لصاحبي

ما كانَ أكْثَرَهَا لنا وأَقَلَّهَا

فَدَنَا وقالَ : لعلَّهَا مَعْذُورةٌ

في بعضِ (٢) رِقْبَتِها ، فقلتُ : لَعَلَّهَا

مِمَّا يتجاذَبُه ضِدَّان

قالت ليلى الأخيليَّةُ (٣) :

ومُخَرَّقٍ عنه القميصُ تَخَالُهُ

بينَ البيوتِ مِنَ الحياءِ سَقِيمَا

---

(١) شعره : ٣٦٣ ـ ٣٦٤ من قصيدة أولها :

إن التي زعمت فؤادك ملّها   خلقت هواك كما خلقت هوى لها

(٢) في شعره :

فدنا فقال لعلها معذورة   من أجل . . . .

(٣) ديوانها : ١١٠ ، من قصيدة تعرض فيها بعبد الله بن الزبير ، وتمدح آل مطرف . وأولها :

لما تخايلت الحمول حسبتها   دوماً بأيلة ناعماً مكموما

وهو في الشعر والشعراء : ١/٤٥١ ، وفي الحماسة : ٤/١٥٥ .

وعلماء الشعر يجعلونه من أعلى المدح ، ويفسرونه بأنها أرادت أنه يُجْذَب ويُتَعَلَّقُ به في الحاجات لجُودِه وسُؤْدَدِه وكثرةِ الناس حوله .

والمملوك يقول إنه يحتمِلُ أن يكون هجاءً لو بُدِّل على أنه مُهْتَضَمٌ قليلُ العشيرة ، فإذا مُزِّقت ثيابُه لم يقدِر على الانتصار لذله ، فيخلد إلى الحشمة والحياء ، فَيُخَال سقيماً . فهذا من المدح الذي أحاله النقدُ إلى الذم .

ومثلُه قولُ زهير (١) :

على مُكْثِرِيهِمْ حقُّ (٢) مَنْ يعتريهِمُ
وعندَ المُقِلِّينَ السماحةُ والبذْلُ

وهذا مما اتفق المتقدمون على تفضيله ، وأجمعوا على استحسانه وتقديمه ، وقد خالفهم أحد المتأخرين ، فقال : إنه ـ وإن قصد مدحَ سادة من الناس ـ فقد ذَمَّهم بأنواع الذم. فأولُ ذلك [١٠٢] إخبارُه أن فيهم مكثرين ومقلين ، فلو كان مكثروهم كرماءَ لبذلوا لمقلِّيهم الأموالَ حتى يستَوُوا في الحال ويُشْبِهوا الذين قال فيهم حسانُ :

المُلْحِقِينَ فقيرَهم بغنيِّهِمْ
والمُشْفِقِينَ على الفقيرِ المُرْمِلِ (٣)

---

(١) ديوانه : ٤٢ ، من قصيدة يمدح بها سنان بن حارثة المري ، وأولها :

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو
وأقصر من سلمى التعانيقُ فالثَّقْلُ

(٢) في الديوان : رزق .

(٣) ديوان حسان (طبعة البرقوقي) : ٣٦٤ ، وروايته هناك :

ثم فيه أن المكثرين ضَيَّعوا القريب ، ورعَوْا حق الغريب ، وصلةُ الرَّحِم أولى ما بُدِيء به . ومنها أن المكثرين ليس يسمحون بأكثرَ من الاستحقاق في قوله : من يعتريهم ، ومَنْ أعطى الحق فإنما أنصف ولم يتفضَّلْ بما وراء الإنصاف ، والزيادةُ على الإنصاف أَمْدَحُ . ثم أخبر أن المقلِّين – على قُصور أيديهم – أكرمُ طباعاً من مكثريهم على قدرتهم في قوله :

وعند المُقَلِّين السماحةُ والبذلُ

فالبذل مع الإقلال مدح عظيم وإيثار ، والسماحة إعطاءُ غيرِ اللازم ؛ فمدحَ بشعره هذا من لا يحظَى منه بطائل ، وذمَّ الذين يرجو منهم جزيل النائل ، فأبان عن الغلط في الاختيار فقد أخرجه النقد من المدح إلى الذم .

وهذا لا يجوز التَمَثُّل به في أيام مولانا – خلَّد الله ملكه – [١٠٣] لأن مكارمه لم تجعل للفقير على الأنام مَعَاجًا ، وفواضلَه لم تغادر في الزمان مُقِلاً ولامحتاجاً . وضِدُّ ذلك مِمَّا أخرجه التأَوُّلُ من الذم إلى المدح قولُ المتنبي (١) :

والخالطون فقيرهم بغنيهم والمنعمون على الضعيف المرمل

ولكن البيت لم يرد في طبعة الهيئة المصرية العامة ، وقد أشار المحقق الى ذلك ، انظر هذه الطبعة : ١٢٢

(١) ديوانه : ١٦٥ – ١٦٦ ، من قصيدة يمدح بها سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابي المنبجي ، وأولها :

أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا
والبين جار على ضعفي وما عدلا

أيقنتُ أن سعيداً طـــالِبٌ بــــدَمي

لما بَصُرْتُ به بالرُّمْحِ مُعْتَقِـــلا

وهو مما لم يتعرَّضْ لتفسيره ابنُ جِنِّي ، وقد جعله قوم من سَقَطَاتِهِ ؛ لأنه تمنَّى أن يشفع الممدوح له بقوله قبل هذا البيت :

علَّ الأمـــيرَ يرى ذُلِّيْ فيشفَعَ لي

إلى التي تركَتْني في الهـوى مَثَـــلا /

وقالوا : والشفاعة سؤال ورغبــة ، فإن أُجِيبَ إلى مساعدة أبي الطيب وإلا رَجَع إلى القهر . والمملوك يقول : إنه جعل الممدح على غاية الجمال لا سيما إذا اعتَقَل رمحاً ؛ إذ من الناس مَنْ يتضاعف حسنه في زيٍّ مخصوص ، فيقول : إن هذه المعشوقة قد سفكت دمي بامتناعها عليّ مع غرامي بها ، وإنني لما رأيتُ الممدوح على هذه الهيئة التي زاد بها جمالُه ، أيقنت أنها تهواه ، ويَمتنع عليها لعفافه ، فتلْقَى منه مثل ما لَقِيْتُ منها، [١٠٤] فيكون ذلك كأنه طلبٌ بدمي وأخْذٌ بثأري . ولا خلافَ أن الإنسان قد يحسُنُ على هيئة ما . فأما المعجزة التي خص الله بها مولانا فنحن نذكرها شكراً على ما منحنا من حُسن نظره وأولانا ؛ وذلك أنه في كل الهيئات على القضية التي ترتفع عن قضايا البشر ، ويتَقَيَّد عندها مطلقُ اللحظ وحاسة البصر ، فإن استوى على دَسْت العظمة ، واستقر على سرير المملكة رأيتَ الشمس والمُشْتَرِيَ قد امتزجا واتَّحدا ، وشاهدتَ ما أفرده الله تعالى به مما لم يعطِه أحداً ، فحظُّه من الشمس عمومُ نورها واتساعُه ، ومن المشتري أفعالُه الجميلة وطباعُــه ، ومن مجموعهما معنىً أحــدثه التركيب ، تتَفَرَّع شعوبه ولا تنحصر أنواعُه ، وإن شرع في تدبير

عبيده ورعيته ، ونظر في أمر سلطانه ومصالح دولته ؛ فقد أَوْفَى على البدر ليلةَ كماله وتَمِّه ، وزَرَى على عُطَارِدَ بفضله الباهر وعلمه؛ وجعل الحق مضموناً في قضائه العادل وحكمه [١٠٥] وإن تَجَلَّى في آلة الحرب ، وظهر للذَبِّ ، وتفريج الكرب ؛ لم تَرْتَبْ باجتماع الزُّهَرَة والمريخ متباريَيْن في خدمته ، ولم تَشُكَّ أنهما متنافسان على ما يُحظى بحضرته ؛ لأن أحدَهما تقرَّبَ إليه بحسن صورته وهيئته ، والآخَرَ توسَّلَ عنده بنفاذه ومضائه وهيبته . وهذه مَنْقَبَةٌ يشهد بها ما حازه من الآيات وحواه ، ومعجزة لم يَنَلْها سلطانٌ غيرُه ولا خُصَّ بها ملك سواه .

مِمَّا مدَحَ به مهيار(١) وهو إذا أُنشِدَ مُفْرَداً احتمل الهجاءَ:/

كأنَّ ماقد حَلَّ مِنْ مالِه ... وطَابَ محظورٌ عليه حَرَامْ

فإذا أُنشِدَ الذي قبلَه خَلَصَ المدح وهو :

وجادَ حَتَّى لم يَدَعْ فَضْلَةً
تَلِيْهِ(٢) للبحرِ ولاَ للغَمَامْ

فأما قول الآخر :

كأنيَ إذ دعوتُ بني حُنَيْفٍ
دعوتُ بدعوتي لَهُمُ الجِبَالا

(١) ديوانه : ٣/٣٢٠ ، من قصيدة يمدح بها وزير الوزراء زعيم الدين ويهنئه بالنيروز ، وأولها :

ليل السرى مثل نهار المقام ... ما خفتَ أن تظلم أو أن تُضام

(٢) في الديوان : عليه .

فَمَنْ قصد المدح أراد سرعة الإجابة كالصَّدَى ، ومن قصد الذم نسبهم إلى الثقل مثل الجبال .

ومن النوادر العجيبة ما حُكِيَ عن زيدٍ الأعورِ الخياطِ من أنه خاط لسَلْمٍ الخاسرِ قباء ، وقال : [١٠٦] قد خِطْتُه لك خياطة لا تبالي معها إذا لبستَه مقلوباً كان أم مستوياً من جَوْدَة عمله ودقة دُرُوزِه ، فقال سَلْمٌ : وأنا أقول فيك قولاً لا تدري أمدحٌ هو أم هجاء ؟ وقال :

جاءَ مِنْ زيــدٍ قَباءُ ليتَ عَيْنَيْهِ سَوَاءُ

فأُحَاجِي النَّاسَ طُرّاً أمديـحٌ أم هِجَاءُ ؟

وهذا من قول المتنبي (١) :

فيابنَ كَرَوَّسٍ يا نصفَ أعمى

وإنْ تَفْخَرْ فيا نصفَ البَصِيرِ

كان الشعراء قد نالوا بِرَّ الحسنِ بنِ سَهْلٍ في عرس بُوران ابنتِه إلا أبا (٢) الينبغي ، فقال لأقولَنَّ مالا يُعْلَمُ أمدحٌ هو أم هجاء ؟ وقال :

---

(١) ديوانه : ١/١٣٩ من قصيدة يصف فيها مسيره في البوادي ، وأولها :

عذيري من عذارى من أمور سكنَّ جوانحي بدل الخدور

وابن كروس جليس أعور لبدر بن عمار ، وكان يحسد المتنبي لسرعة خاطره .

(٢) في الأصل : أبو . وأبو الينبغي شاعر هجاء ، جيد البديهة ، خبيث اللسان ، سريع الى أعراض الناس يهجوهم ويقطعهم ، ولما هجا الفضل ابن مروان حبسه بعد أن أغرى به الواثق ، وأنهى إليه أنه هجاه . فبقي في السجن حتى مات (طبقات الشعراء لابن المعتز : ١٣٠ ـ ١٣٢).

بَـــارَكَ اللهُ للحَسَنْ ولبُـــورانَ في الخَتَنْ
يا إمــامَ الهُدَى ظَفِرْ تَ ولكِنْ بِبِنْتِ مَنْ؟[1]

ومن الشعر الذي يحتمل معنيين ولم يقصد الشاعر إلا أحدَهما قولُ حبيبٍ في وصف عمورِيّةَ [2]:

بِكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْها كَفُّ حادِثَةٍ
ولا تَرَقَّتْ إليهـــا هِمَّةُ النُّوَبِ
مِنْ عهدِ إسكَنْدَرٍ أو قبــلَ ذلكَ قَدْ
شَابت نَواصِي الليالِي وَهْيَ لم تَشِبِ

وهذا مما يصلــحُ أن تُوصف به الخمر . وأبلــغُ ما قيل في عِتْقِها : [١٠٧]

تَحْسَبُ مِنْ طولِ الحِقَبْ مَخْلُوقَةً قبــلَ العِنَبْ

على أن فيه إحالةً بذكره المعلول قبل العِلَّة ، وقد أصلح المعنى شيئاً بقولـــه : تحسَبُ . وهو من الإفراط في الغُلُوّ . وقال

(١) في الحاشية : ببنت من ، يحتمل في الشرف وفي غيره . والبيتان في وفيات الأعيان : ١/٢٨٩ ، وقد نسبا الى محمد بن حازم الباهلي . ورواية البيت الثاني هناك :

يابن هارون قد ظفرت . . . .

(٢) ديوانه : ١/٤٨ من قصيدته التي يمدح بها المعتصم ، ويذكر حريق عمورية وفتحها ، وأولها :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

السّلامي (١) في وصف فرس أدهَم :

خاضَ الـدِماءَ وتَحَلّى بالزبـــدْ
كأنّـــه إنسانُ عَـيْنٍ في رَمَـــدْ

والثاني يصلحُ صفة لخالٍ في خدّ . وقد أحسن الآخر في قوله :

وكأنّ خالاً في صَفيحَةِ خَـــدّه
أثَرُ الشرارةِ في قميصٍ أحْمَـــرِ

وهو من بارع التشبيه . ولأحمدَ بنِ الشَقّاقِ (٢) :

تَتَنَفّسُ الصهبـــاءُ في لَهَوَاتِـهِ
كتنفّسِ الرَّيْحَـــانِ في الآصَالِ

وكأنّما الخِيـــلانُ في وجَنَاتِـهِ
ساعاتُ هَجْرٍ في زمـانِ وِصَالِ

---

(١) المجموع من شعره : ٦٢ من أرجوزة طويلة لقي بها الصاحب وأولها :

يا راقداً لولا الخيال ما رقد   هل لك في عارية لا تسترد

والبيتان أيضاً في اليتيمة : ٢/٤٠٠

(٢) ورد له ذكر في نفح الطيب : ٣/٢٦٤ ، وذكر هناك أنه كان من رواد القائد ابندري بجيان ، وكان شاعراً حسن البديهة ، ولكن البيتين وردا في عدة مواضع من الخريدة (قسم المغرب) ٢/٩٠ ، ٢/٢٦٩ ، ٣/٥٨٧ ، وفي الذخيرة المجلد الثاني ، القسم الأول : ٧٩٤ ، وقد نسبا في هذه الأماكن جميعها الى أبي القاسم الأسعد بن ابراهيم المعروف بابن بلّيطة الأندلسي .

وقال عبدُ المحسنِ في الحمّام :

ومنزلِ أقـــوامٍ إذا نزلُوا بـــهِ
تَشَابَهَ فيــهِ وغْـــدُهُ ورئيسُه (١)

وهذا مما يصلح أن يُوصف به قبر . وتمـــام الأبيات من، مستَحْسَنِ ما وُصف به الحمام، وهو :

يُخَفِّفُ كربي أنْ تَزيدَ كُرُوبُهُ
ويُؤْنِسُ قلبي أَنْ يَقِلَّ أنيسُهُ (٢) [١٠٨]
إذا ما أعرتَ الجَوَّ طَرفــاً تكاثرتْ
عليكَ به (٣) أقمـــارُه وشمُوسُه

ولبعض العصريين (٤) فيه :

أهــلاً بذا الحمّــامِ (٥) مِنْ منزلٍ
شيْـــدَ لأبرارٍ وفُجّـــارِ

---

(١) الأبيات في نفح الطيب : ٣٢٦/٤ بدون نسبة .

(٢) رواية النفح :

ينفس كربي إذ ينفس كربه ويعظم أنسي إذ يقل أنيسه

(٣) رواية النفح : على من به ...

(٤) البيتان في الخريدة (قسم المغرب) ١٦٢/٢ ، وهما منسوبان هناك لابن خفاجة .

(٥) في الحاشية : (بهذا البيت) ويبدو أنها رواية ثانية . وفي الخريدة : أهلاً ببيت النار ...

تدخله ملتبسي لـذةٍ (١)   فندخلُ الجنةَ في النارِ

ومن الشعر الذي يتضمن نوعين من التجنيس قول ابن حيوس (٢) :

في ظلِّ أروعَ إنْ تسألْهُ مُنْفِسَةً
يَهَبْ وإنْ باشرَ الهيجاءَ لم يَهَبِ

ففيه تجنيسُ اللفظ والخطِّ : بيهب • وتجنيس التورية بها أيضاً لأنه مدح بإيجاب وبنفي وأتى بالنفي على صيغة الموجب ، / وإنما وَرَّى به عن معنىً آخرَ •

مما جمع المدحَ بالشيء وضدِّه ، وهو من ضُروب التوجيه

من ذلك مَا قيل في وصف عزة مولانا ــ خلَّد الله ملكه ــ وكرمه ، ومدحه بحماية الشيء الذي على يده إراقةُ دمه ، وهو مذهب الشعراء في امتداح ملوك العرب ؛ لأنهم يصفونهم بدفعهم عن النَّعَمِ وذَبِّهم ، وإباحةِ حماها للوافدين عليهم والنازلين بهم ، [١٠٩] على أن عظمته تأبى إلا عَقْرَ البِدَر تَنَزُّهاً عن عقرِ البُدْن ، كما أنه لا يقنع في القِرى بدون إقطاع القُرى وتسويغ المدن • والذي قيل :

يَمْنَعُ السَّرحَ من تَعَدِّي الأعادِي
بطِوَالِ القَنَـا وبُتْرِ السُّيُوفِ

---

(١) في الأصل : لذةً •

(٢) ديوانه : ١/ ٧٤ من قصيدة يمدح بها أمير الجيوش أنو شتكين الدزبري ويهنئه بعيد الفطر وفتح حلب ، وأولها :

سل المقادير ما أحببتَه تُجِبِ   فمالها غيرَ ما تهواه من أَرَبِ

فَهْيَ في الخوفِ أمنُها مِنْ مُغِيرٍ
وهْيَ في الأَمْنِ حَتْفُهـا للضيُوفِ

وهذا معنى قولِ ابنِ حيوس (١) :

تَبِيتُ حِدَادُ البيضِ أوْفَى حُتُوفِها
وتُضْحِي حِجَازاً دونَها في المَراتعِ

وقوله : /

تَتَوَقَّعُ الأذْوادُ منه عاقِراً
ما زالَ يحمي سَرْحَهَا ويَذُودُ (٢)

وقوله (٣) :

وتمنَعُ ما تحوِي لتعطِيَهُ نَدَىً
وغيرُكَ لا يَنْفَكُّ يعطِي ليمنَعَا

(١) ديوانه : ١/٣٣٠ ، من قصيدة يمدح بها مبارك بن الشبل بن جامع. وأولهـا :

مَحَلٌّ لهم بين النقا والأجارع عدته الغوادي فاستناب مدامعي

(٢) ديوانه : ١/١٦٠ من قصيدة يمدح بها تاج الملوك بن صالح أمير حلب وأولها :

أما الحسان فما لهن عهود ولهن عنك ـ وما ظلمن ـ محيد

(٣) ديوانه : ١/ ٣٤٦ من قصيدة يمدح بها مبارك بن الشبل بن جامع ويهنئه بعيد الفطر ، وأولها :

كذا في طلاب المجد فليسعَ من سعى
بلغت المدى فلْيُغبطَ فخرك ما ادعى

فأرادَ أنك تمنع إباءً وعزة ما تعطيه كرماً ومِنحة ، وغيرك يعطي ذِلة ومِهْنَةً ليصونَ ذخيرةً وقِنْيَةً . والأصل في هذا قولُه :

لنا إِبِلٌ غُرٌّ يَضيقُ بها الفَضا
وَيَفْتَرُّ عنها أرضُها وسَماؤُها

فمِنْ دونِها أنْ تُستَبَاحَ دماؤُنا
ومِنْ دونِنا أن تُستَذَمَّ دماؤُها

حِمَىً وقِرَىً فالموتُ دونَ مَرامِها
وأهونُ خَطْبٍ يومَ حَقٍّ فَنَاؤُها (١)

وكرَّر ابنُ حيّوس هذا المعنى ، فقال وأحسَنَ : [١١٠]

تُضحِي سُيوفُك للبِلادِ مفاتِحاً
فإذا فتحتَ جعلتَها أقفالاً (٢)

على أنه مأخوذ من نصف بيت لأبي تمامٍ ، وهو قولُه :

أصبحتَ مِفتاحَ الثغورِ وقُفْلَها

وهذا عكس ما اتفق لأبي تمام مع الكُميت ، لأنه أخذ معنى

---

(١) لم نجد هذه الأبيات في ديوانه .

(٢) ديوانه : ٤٤٢/٢ من قصيدة يمدح بها تاج الملوك محمود بن نصر ابن صالح ويهنئه بعيد الفطر ، وأولها :

النجم أقرب من مداك منالا   فعلام يسعى طالبوه ضلالا

نصف بيت من شعره ، فأورده في بيتين . قال أبو تمام (١) :

وطولُ مُقَامِ المرءِ في الحيِّ مُخْلِقٌ
لديباجتَيْهِ فاغتربْ تتجدَّدِ

فإني رأيتُ الشمسَ زيدَتْ محبَّةً
إلى الناسِ إذْ ليستْ عليهمْ بسَرْمَدِ

والذي للكميت (٢) : /

ولَوْ لم تَغِبْ شمسُ النهارِ لمُلَّتِ

والمعَرّيِّ (٣) :

المشْهَرِيَّةُ ليسَ يَشْرُفُ قَدْرُها
حتى يسافِرَ لَدْنُها عَنْ غَابِهِ

والعَضْبُ لا يُشْفِي امرأً مِنْ ثأرِهِ
إلا بِفَقْدِ نِجَادِهِ وقِرَابِهِ

---

(١) ديوانه ٢/٢٣ من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي ، ومطلعها :

سرت تستجير الدمع خوف نوى غد   وعاد قتاداً عندها كل مرقد

(٢) ديوانه : ١٤٨ .

(٣) شروح سقط الزند : ٢/٧٢٣ من قصيدة يجيب فيها شاعراً مدحه يعرف بأبي الخطاب الجَبُلِيّ ، وأولها :

أشفقتُ من عبء الزمان وعابه   ومَلِلْتُ من رأي الزمان وصابه

ولابن حيّوس (١) :

كالمِسْكِ يزدادُ قَدْراً حينَ يَغْتَرِبُ

فأما قولُ مهيار (٢) :

ما اجْتَزْنَ بالآذانِ كُنَّ مفاتِحاً

وعلى قلوبِ عِداكُمُ أقفالا

فكلٌّ من بيتيْ حبيبٍ وابن حيوس أصنعُ منه ؛ وذلك أنهما جعلا الأقفال للشيء الذي [١١١] كانت عليه مفاتيحَ ، ومهيار جعل المفاتيح والأقفال لغَيْرَيْن . ووصف ابن حيوس السيوف بأنها مفاتحُ البلاد أوقعُ من وصف مهيار الأبياتِ بأنها مفاتح الآذان . وقد ذكر أبو تمام المفتاح في غير موضع من شعره ، فمِنْ ذلك قولُه (٣) :

للجُودِ بابٌ في الأنامِ ولم تزَلْ

مُذْ كنتَ (٤) مِفتاحاً لذاكَ البابِ

---

(١) ديوانه : ٩٦/١ ، وهو عجز بيت ، وصدره :

قول يضاعف بُعْدُ الدار قيمته

وهو من قصيدة يمدح بها نصر بن محمود ، وأولها :

لا فات ملكك ما أعيابه الطلب ولا تزلْ أبداً تعلو به الرتب

(٢) ديوانه : ٦٢/٣ من قصيدة يهنىء بها أبا القاسم بن عبد الرحيم بعودة نقابة النقباء اليه ، وأولها :

حسبوا العلا خفاً وكن ثقالا فتكلفوها ظالعين هزالا

(٣) ديوانه : ٨٠/١ ، من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق التغلبي ، ومطلعها :

لو أن دهراً ردّ رجع جواب أو كفَّ من شأويه طول عتاب

(٤) في الديوان : يمناك

وقد قال بعض المعترضين عليه : أتى إلى ممدوحه فجعله مفتاحاً ، فهلا قال كما قال ابن الرومي (١) :

قَبِّــــلْ أناملَه فلَسْنَ أنامِــــلاً
لكِنَّهُــــنَّ مَفاتِــــحُ الأرزاقِ

فقيل له : لا تعجَبَنَّ من هذا ، فقد جعل ربَّه كذلك بقوله :

واللهُ مِفْتَاحُ بابِ المُقْفِلِ الأَشِبِ (٢)

وعلى ذكر الأقفال وفتحها فقد أحسن الناشِئُ في قوله يصف اليويو (٣) :

مُمَلَّكٌ لنفوسِ الطــــيرِ ينسِفُها
نسفاً فيقبِضُ أجسامــاً وأرْوَاحــا

كأنَّمــــا أُقْفِلت بالأَهْبِ أنفسُها
فكانَ بالكفِّ للأقفــــالِ فتَّاحا

وقال ابن حيوس متصرفاً في المعنى المُقدَّمِ ذكرُه : [١١٢]

---

(١) لم نجده في المطبوع من ديوانه .

(٢) ديوانه : ١/٦٠ ، وصدر البيت

من بعد ما أشبوها واثقين بهــا

وهو من قصيدته المشهورة : السيف أصدق أنباء ....

(٣) في الحاشية : (اليويو : الباشق)

وبهـم زُلزِلَتْ بمَنْ قارعُوا الأر
ضَ وهُـم أمنُهـا من الزَّلزَالِ [1].

وكرَّره فقال [2] :

تتزلزلُ الـدنيا إذا غضِبُوا فإنْ
بلغُـوا الرِّضَى أمِنَتْ من الزَّلزَالِ

وقال فيما يقارب هذا المعنى :

ثُغُورُ العِدَى إنْ رُمتُمُوهُنَّ كالفلا
وكـلُّ فَلاَةٍ رُمْتُمُ مَنْعَها ثَغْرُ [3].

وقال [4] :

أخَفْتَ الآمنـين سُطًى فلَمَّا
عَفَوْتَ غَدَوْتَ أمْنَ الخائِفِينَا

---

(1) ديوانه : ٢/٤٦١ من قصيدة يمدح بها عز الملوك سابق بن محمود بن نصر بن صالح ، وأولها :

ضل من يستزير طيف الخيال هل تُداوى حقيقة بالمُحَال

(2) ديوانه : ٢/٥٠٤ ، من قصيدة يمدح بها فخر الدولة نقيب نقباء الطالبيين ، وأولها :

ما كان قبلك في الزمان الخالي من يسبق الأقوالَ بالأفعالِ

(3) ديوانه : ١/٢٤٨ ، وقد سبق تخريج هذه القصيدة .

(4) ديوانه : ٢/٦٦٦ ، من قصيدة يمدح بها أمير الجيوش أنوشتكين الدِّزبري مستهل شهر رمضان سنة احدى وثلاثين وأربع مئة ، وأولها :

أما وبديع ما تأتي يمينا تحرَّج ربها من أن يمينا

ولأبي نصرٍ المنازيّ (١) :

لقد عرَضَ الحمامُ لنا بسجعٍ
إذا أصغَى له ركبٌ تلاحَى

شجَى قلبَ الخليِّ فقال : غنَّى
وبرَّحَ بالشجيِّ فقالَ : ناحَا (٢)

ومن مليح ما في هذه الأبيات :

ضعيفُ الصبرِ فيكَ (٣) وإنْ تقاوَى
وسكرانُ الفؤادِ وإنْ تصاحَى

كذاكَ بنو الهوى سَكْرَى صُحاةٌ
كأحداقِ المهَا مرْضَى صحاحَا

فأما قولُ ابن الرومي (٤) :

عيني لعينِكَ حينَ تنظرُ مقتَلُ
لكنَّ عينَكَ سَهْمُ حَتْفٍ مرسَلُ

---

(١) هو أبو نصر أحمد بن يوسف السليكي المنازي الكاتب ، كان من أعيان الفضلاء ، وأماثل الشعراء . وزر لبعض آل مروان ملوك ديار بكر ، وكان معاصراً لأبي العلاء . توفي سنة : ٤٣٧ هـ (انظر ترجمته في وفيات الأعيان : ١٤٣/١ ، ومعجم البلدان (مناز جرد) والشذرات : ٢٥٩/٣) .

(٢) الأبيات في شذرات الذهب : ٢٦٠/٣

(٣) في الشذرات : عنك .

(٤) ديوانه : ١٨ (اختيار كامل الكيلاني) وهما بيتان مفردان .

ومِنَ العجائِبِ أنَّ شيئاً (١) واحـداً
هُوَ منكَ سَهْمٌ وهْوَ مِنّيْ مَقْتَلُ

فليس من هذا الباب إلا أن فيه نوعاً من مجانسته ، وضرباً من مناسبته ، وهو من بديع ما ابتكره ، وغريب ما اخترعه • [١١٣]

وكذلك قولـه في وصف القوس (٢) :

تَوَدَّدتُ حتى لم أَجِـدْ مُتَوَدَّدا
وأَمْلَلْتُ أقــلامي عِتَاباً مُرَدَّدَا

كـأنيَ استـــدني بكَ ابنَ حَنِيَّةٍ
إذا النزعُ أدناهُ من(٣) الصَدْرِ أبْعَدَا

وقولـه أيضاً فيها (٤) :

تُشْكِي المُحِبَّ وتُلْقَى الدهرَ شاكيةً
كالقوسِ تُصْمِي الرَّمايا وَهْيَ مِرْنَانُ

وقد أحسن ابن حيوس (٥) في قوله :

---

(١) في الديوان : معنى •
(٢) ديوانه : ٧٧٠ (تحقيق الدكتور حسين نصار) وهما بيتان مفردان •
(٣) في الديوان : الى الصدر •
(٤) ديوانه : ٢/٥٩٨ (اختيار كامل الكيلاني) من قصيدة أولها :

أجنت لك الوجد أغصان وكثبان فيهن نوعان : تفاح ورمان

(٥) ديوانه : ٢/٥٩٨ من قصيدة يمدح بها محمود بن نصر بن صالح وأولهـا :

قفوا في القلى حيث انتهيتم تذمما ولا تقتفوا من جار لما تحكما

أَرَى كُلَّ مُعْوَجٍّ المودةِ يُصْطَفَى
لـديكُمْ ويَلْقَى حَتْفَه مَنْ تَقَوَّمَا

حَنَى الناسُ من قبلُ القِسِيَّ لتُقْتَنَى
وثُقِّفَ مُنْآدُ القَنَا ليُحَطَّمَا

على أن صدر البيت الثاني مأخوذ من قول كُشاجمَ في وصفها :

قَدْ قُوِّمَتْ للرَّمْي بالتعويجِ (١)

إلا أنه أحكم الأخذ والتركيب ، وتصرَّف التصرف البديع الغريب ، وقد اقتضت الأبيات في القوس ذكر الحكاية العجيبة في إتقان الصناعة في الرماية عنها ، وهي أن راميَيْن عَرَضَ لهما أسد ، فقال أحدهما للآخر : اكفِني عينه اليمنى أكفِك اليسرى ، فرمياه عن يد ، فأعمياه وسَلِمَا .

ولبعض الأندلسيين (٢) :

تَقَوَّسَ بعدَ طولِ العُمْرِ ظهري
ودَاسَتْني الليالي أيَّ دَوْسِ [١١٤]

---

(١) ديوانه : ٩٨ ، وقبله :

كالعود يحدو هَزَجَ الصنوج

وهو من أرجوزة يصف فيها كشاجم النمر ، ومطلعها :

وكالح كالمغضب المهيج

(٢) البيتان في وفيات الأعيان : ٢/١٣٠ ، ولكن ذكر ابن خلكان أنهما يرويان للوزير نظام الملك الطوسي .
وهما في الخريدة (قسم المغرب) ٢/١٨٨ ، وفي المطرب : ٧٣ ، وقد نسبا لأبي علي كاتب مؤنس .

فأمشِي والعَصَا تمشِي أمــــامي
كأنَّ قوامَهـــا وَتَـــرٌ لقوسِي

وعلى ذكر التشبيه فمن غريبه قولُ الآخر :

وألزمته ألْحَاظَ طَـــرْفٍ يُحِبُّه
فليسَ بِمرْتَــــدٍّ ولا بِمُغَمِّضِ

إلى أنْ ثَنَتْ عيني الشَّمُولُ كأنَّني
ألاحِظُهُ سُكْـراً بأجْفَانِ مُبْغِضِ

من المدح الذي قلَّت أمثالُه ، وعزَّت أشباهه ، وعُدِمَت له النظائر ، وعُقِمَت عنه الخواطر قولُ حسنِ بن عبد الصمد :

سَبَقَتْ مكارِمُهُ مواعِـــدَه فلَمْ
يُوسَمْ بإنْجَــازٍ ولا بِمِطَـــالِ

وقولُه :

ضَنَّتْ أكُفُّهُمُ عَــلاً وَسَخَتَ
مـــالاً فَمَا كَرُمُــوا وَلا بَخِلُوا

وقولُ الجرجاني :

ما قالَ لا قَطُّ مُذْ حَلَّتْ تَمَائِمُهُ
بُخْلاً بها فَوَجَدْنا الجُودَ في البَخَلِ

والتوصّلُ إلى المدح بالبخل من أغرب ما تَتَجَهُ خاطر .

من الأشعار الدّالةِ على النظر في العلوم الشرعيات

عبدُ الله بن سعيد (١) :

وأَمْسَتْ صَبَاه (٢) تَبُثُّ الحديثَ
وتُسْنِدُ عَنْ بَانَةِ الأَجْرَعِ
وتُقْسِمُ أنّيَ أَهْوَاكُمُ وليسَ اليمينُ على المُدَّعِي

وهذا قول أحمدَ بنِ سَلَمَةَ :

لقــد جئتَ بابنِ أبي تُبَّعِ
بأمٍّ الأوابِدِ في المَجْمَعِ
حَلَفْتَ بأنّك مِنْ حِمْيَرٍ
وليسَ اليمينُ على المُدَّعِي

وقال آخر :

يا غَرِيراً غَرَّني مَا ذَا تُرَجِّي بِصَلاتِكْ ؟
أَرَى (٣) نُسْكَكَ هذا خَجَلاً مِنْ فَتَكَاتِكْ

(١) ابن سنان الخفاجي ، والبيتان في ديوانه : ٦٧ ــ ٦٨ ، من قصيدة يمدح بها الأمير سيف الدولة أبا الحسن علي بن المقلد ، وأولها :

دعوها تناضل بالأذرع فأين العواصم من لعلع

(٢) في الديوان : وصارت صباه ...

(٣) كذا وردت ، ولعلها : وأرى ، حتى يستقيم الوزن .

كيفَ تَجْزِيكَ صَلاَةٌ ودَمِي في وَجَنَتِكَ

وعلى ذكر الدماء في الوجنتين فقد أجاد ابنُ شرف في قوله :

هَمَّتْ عَذارَاهُ بتقبيلِهِ
فَجَرَّدَتْ عيناهُ سَيْفَيْنِ

وقامَتْ الحربُ على ساقِها
بينَ أميرَيْنِ فَتَنْوانَيْنِ

فَهذِهِ الحُمْرَةُ في خَدِّهِ
دماءُ ما بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ

وقال أيضاً :

حَجَّتْ إلى وجهِكَ أبصارُنا
طائِعَةً ياكَعْبَةَ الحُسْنِ

تَلْثُمُ خالاً منكَ في وجْنَةٍ
كالحجرِ الأسودِ في الرُّكْنِ

وهذا من قول كشاجم (١) :

فلم يزلْ خَدُّها رُكناً أطوفُ به
والخالُ في خَدِّها يُغْنِي عَنِ الحَجَرِ

---

(١) لم نجده في ديوانه .

ولأبي نصرٍ محمدِ بن الحسن (١) :

ملكتَ قلبِيْ مُسْتَرِقّاً لـه
وكانَ حُرّاً غيرَ مُستَعْبَدِ

سكنتَ فَرْداً فيه حتَّى لقدْ
خِلْتُكَ تشكو وحشةَ المُفْرَدِ [١١٦]

فلو تَنَازَعْنا إلى حاكمٍ
قَضَى لك استحقاقَهُ باليَدِ

ولمحمدِ بن عمارٍ في مُغَنٍّ يُكْنَى أبا الفضلِ (٢) :

غَنَّى أبو الفضل فقلْنا له :
سبحانَ مُخْلِيك مِنَ الفَضْلِ

غِنَاؤُه حَدٌّ على شُرْبِها
فاشربْ فأنتَ اليومَ في حِلّ

الخوارزمي :

مُقَابِلٌ بينَ أقلامٍ وألويةٍ
مُرَدَّدٌ بينَ إيوانٍ وديوانِ

---

(١) هو أبو نصر ابن النحاس الحلبي كما في المختار من شعر شعراء الأندلس: ١١٤ ، والأبيات الثلاثة هناك ٠

(٢) البيتان في الوافي بالوفيات : ٤/٢٣٢

يا تَرْجُمانَ الليالي عن مَقَادِرِها
وحُجَّةَ الزمنِ الباقي على الفاني

طلَّقتُ بعدكَ مدحَ الناسِ كلِّهِمُ
فإنْ أُراجِعْ فإني مُحْصَنٌ زانِ

وللصابي في سابورَ لما أُعيد إلى الوزارة (١) : /

قد كنتَ طلَّقْتَ الوِزارةَ بعدَما
زلَّتْ بها قَدَمٌ وساءَ صَنيعُها

فَعَدَتْ بغيرِكَ تَسْتَحِلُّ (٢) ضرورةً
كيما يحِلُّ إلى ذَراكَ رُجُوعُها

فالآنَ عادَتْ ثم آلَتْ (٣) حَلْفَةً
ألا يَبيتَ سواكَ وهْوَ ضَجيعُها

أبيات الأنسان

ابنُ الرومي (٤) :

وكمْ أبٍ قدْ علاَ بابْنٍ ذُرا شَرَفٍ
كَمَا عَلا برسولِ اللهِ عدنانُ

---

(١) الأبيات في اليتيمة : ٢/٢٨٥ وقد كتب بها الى الوزير أبي نصر سابور ابن أردشير عندما أعيد الى الوزارة بعد ما صرف عنها .
(٢) في اليتيمة : تستحيل .
(٣) في اليتيمة : فالآن آلت ثم آلت .
(٤) لم نجده في ديوانه المطبوع ، ولا في اختيار الكيلاني .

وتخصيصُه عدنانَ دون غيره من أجداد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عمل بما جاء في الحديث من قوله عليه السلامُ : (لا تتجاوزُوا [١١٧] عَدنانَ كَذَبَ النسَّابُون) وقد كان المملوك ضَمَّن معنى بيت ابن الرومي منشوراً كتبه أوانَ تصرفِه ، وفي حين تريُّثِ الزمان عن الإساءة إليه وتوقفِه ، لمولاتنا السيدةِ الملكةِ والدةِ مولانا الإمام المستعلي بالله صلى الله عليه لما أُضيف إلى ديوانها بعض الإقطاعات الجارية الآن فيه ، فقال في تشبيهٍ : إن أَوْلَى من ارتفع محلُّه عن مُتَعارَف المِنَح ، / وجلَّ خطَرُه عن مُتَعالَم المِدَح من ظهرت بأمير المؤمنين آياتُ شرفه ومجده ، وعلا ذِروة الشرف به كما علاها عدنانُ بِجَدِّه . وهذا من باب مدح السَّلَف بالخَلَف ، وضِدُّه قول مهيار ، فإنه مدح الخلف بالسلف ، ورجَّح المعلول على العلة ، فقال (١) :

وسَيِّدُ قومِه مَنْ سَوَّدُوهُ
بِلاَ عصبيةٍ وبِلاَ تَحَابِ (٢)
وإنْ كانَ الفتى لأبِيْهِ فَرْعاً
فإنَّ الغيثَ فَخْرٌ للسَّحَابِ

ومثلُه قولُه (٣) : [١١٨]

---

(١) ديوانه : ٣٧/١ من قصيدة كتب بها الى مؤيد السلطان أبي القاسم بن الأوحد يشكره على هدية سنية جاءته منه ، وأولها :

سلا دار البخيلة بالجِنَاب — متى عَرِيَتْ رباك من القباب

(٢) في الديوان : محاب .

(٣) ديوانه : ٢٥٤/١ ـ ٢٥٥ . من قصيدة كتب بها الى الصاحب أبي القاسم بن عبد الرحيم يهنئه بالعيد ، وأولها :

حاشاك من عارية تُرَدّ — ابيضَّ ذاك الشَّعَرُ المُسْوَدّ

وَمِنْ بني عبدِ الرحيمِ قَمَرٌ
كُلُّ لياليهِ تَمَامُ سَعْدِ

كانوا الخِيَارَ وفَرَعْتَ زائداً
والنارُ تعلو وأبوها الزَّنْدُ

وقد أكثر أبو الطيب من استعمال هذا المعنى ، نحو قولِه (١) :

فإنْ تَفُقِ الأنامَ وأنتَ منهمْ
فإنَّ المِسْكَ بعضُ دَمِ الغَزَالِ

وقولِه (٢) :

فإنَّ في الخمرِ معنىً ليسَ في العِنَبِ

وقولِه (٣) :

(١) ديوانه : ٣/ ٢٠ من قصيدة يرثي بها والدة سيف الدولة ، وأولها :
نعدّ المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال

(٢) ديوانه : ١/ ٩١ ، وهو عجز بيت صدره :
وإن تكن تغلبُ الغلباء عنصرها
وهو من قصيدة يرثي بها أخت سيف الدولة ، وأولها :
يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب

(٣) ديوانه : ١/ ٣٨٠ ، وهو عجز بيت وصدره :
فإن يك سيار بن مكرمٍ انقضى
وهو من قصيدة يمدح بها محمد بن سيار بن مكرم التميمي ، وأولها :
أقل فعالي بَلْهَ أكثره مجد وذا الجدُّ فيه نلتُ أم لم أنل جَدُّ

فإنَّكَ مـاءُ الوردِ إنْ ذَهَبَ الوردُ

وقولِـه (١) :

ولكنْ معـــدِنُ الـــذهبِ الرّغَامُ /

وقولِـه (٢) :

لو كـــانَ سُكنايَ فيكَ مَنْقَصَةً

لــم يكُنِ الـــدُّرُّ ساكِنَ الصدف

فأما الجمع في المدح بين ذكر الآباء والأبناء فمن مليح ما جاء في ذلك قولُ مهيار (٣) :

وفَيْتَ الآبــاءٍ تَكَفَّلْتَ عنهُـــمُ

مَنَاسِكَ ماسَنُّوا فَخَاراً وسَــيَّرُوا (٤)

وجئتَ بمعنىً زائـــــدٍ فكأنَّهُـــمْ

ــومافَصَّرُوا عن غايةِ المجدِ ـ قَصَّرُوا

(١) ديوانه : ٤/٦٩ ، وهو عجز بيت صدره :

وما أنا منهمُ في العيش فيهم

وهو من قصيدة يمدح بها المغيث بن علي العجلي وأولها :

فؤاد ما تسليه المدام وعمر مثل ما تهب اللئام

(٢) ديوانه : ٢/٢٨١ من قصيدة في أبي دلف وقد توعده في الحبس بالبقاء ، وأولهـــا :

أهونْ بطول الثواء والتلف والسجن والقيد يا أبا دلف

(٣) ديوانه : ٢/١٠٠ من قصيدة يمدح بها زعيم الملك أبا الحسن ويهنئه بالنيروز ، وأولها :

وفى لي من الحظ الذي كان يغدر وصح لي الدهر الذي يتغيّر

(٤) رواية الديوان : فضائل ما سنوا الفخار وسيروا .

وقولُه (١) :

مِنَ النَّفَرِ الـــذينَ إذا استُغِيثُوا
رأيتَ بهِـــمْ وَسَاعَ الأرضِ ضِيْقَا

تَرَى الأَبَ بالشهـــادةِ في بَنِيْـهِ
قَرِيبـاً وهْوَ قَدْ أمْسَى سَحِيْقَـا

وقولُه (٢) : [١١٩]

ولهـُـمْ (٣) سُيوفُ الخلفـــاءِ التي
تُعَلِّـمُ الضَّـرْبَ يَدَ الضَّارِبِ

غادُوا نُجومـاً وَوَفَتْ في ابْنِهِـمْ
شهـــادةَ الطالِـعِ لِلْغَـــارِبِ

وقولُه (٤) :

سارتْ بهِـمْ أيـامُ سُؤْدَدِهِمْ (٥)
سَـيْرَ الحديثِ بمُعْجِزِ الرُّسُلِ

---

(١) ديوانه : ٢/٣٥٥ من قصيدة كتب بها الى كمال الملك أبي المعالي ، وعرض في آخرها بغرض له ، وأولها :

الى كم حبسها تشكو المضيقا   أثِرْها ربما وجدتْ طريقا

(٢) البيتان غير موجودين في ديوانه .
(٣) كذا وردت ، ولعلها : لهم ، بدون واو ، ليستقيم الوزن .
(٤) الديوان : ٣/٢٠٩ من قصيدة يهنىء بها الوزير أبا القاسم هبة الله ابن علي بن ماكولا بالنيروز ، وأولها :

مالي شرفتُ بماء ذي الأثْل   هل كدّه الوراد من قبلي

(٥) في الديوان : أيام سؤدده .

وأتى الوزيرُ فكــــان (١) بَيِّنَـــةً

شهدتْ (٢) لهــم بسلامةِ النَّقْـــلِ

الاِخباريّات

وهي كثيرة جداً ، ومن بديع ما فيها قولُ جعفرَ بنِ إبراهيمَ (٣)

أبا جعفرٍ مـــاتَ فيكَ الجمــــالُ

فأظهـــرَ خَدُّكَ لُبْسَ الحِـــدادِ

وقـــد كان يُنْبِتُ زهرَ الربيـــعِ

فقـــد صارَ ينبتُ شَوْكَ القَتَادِ /

فهل كنتَ في المُلْكِ من عبدِ شَمْسٍ

فأخْنَى عليكَ ظُهـــورُ السَّوادِ ؟

ومن مليح ما في هذا المعنى قول الآخر :

تـــابوهُ لمّـــا التَحَى فَقُلْنـــا :

عِبْتُـــمْ وغِبْتُمْ عنِ الجَمَـــالِ

---

(١) في الأصل : (فكأن) . وما أثبتناه من الديوان ليستقيم الوزن .
(٢) في الديوان : كفلت .
(٣) هو أبو الحسن جعفر بن ابراهيم بن الحاج اللرقي . من مدينة لَرَقة ، عاش بعد الخمسمائة ، وعمر طويلاً (ترجمته في الخريدة (قسم المغرب) ٢/١٣٩ ، وفي المغرب : ٢/٢٧٧ ، وفي المطـرب : ١٧٥) والأبيات الثلاثة في الخريدة : ٢/١٤٠ ، وفي نفح الطيب : ٤/١٠٣ ، والمغرب .

هـــذا غَزَالٌ وهــــل عَجِيبٌ
تَوَلُّـــدُ المِسْكِ في الغَــــزَالِ

النحويات

ابنُ الحدَّاد من قصيدة أوَّلُها (١) :

عُجْ بالحِمَى حيثُ الغِياضُ الغِـــيْنُ (٢)
فَعَسَى تَغِنُّ لنا مَهَـــاهُ العِـــيْنُ (٣)

يقول :

لا تأْلَفُ (٤) الأحكامُ حَيْفاً عِنْدَهُ
فكأنَّهــــا الأفعـــالُ والتنوينُ

ولآخر في رجل تزوج ، فظهر أنه عِنِّـــيْن : [١٢٠]

كـــم ذكرٍ في الورَى وأنْثَى أَوْلَى من اثنـــيْنِ باثنتينِ
أَرَى الليالِي أَتَتْ بلحْنٍ إذْ جَمَعَتْ بينَ ساكنـــيْنِ

---

(١) القصيدة في نفح الطيب : ١٠١/٤ ، في مدح المعتصم بن صمادح ، وقد سبق تخريجها .

(٢-٣) رواية النفح : العين ، تعن .

(٤) في النفح : لا تلقح .

الطِـبِّيَّات

من ذلك قول الزاهي (1) :

رثى طبيبي لسَقَامي ومَنْ ... أسقَمَني هجرانُه ما رَثَى
وقالَ : هذا مرضٌ مُعْضِلٌ ... ورُبَّما أشفقْتُ أنْ يلبَثَا
وهـــذه الصفراءُ قتَّالـةٌ ... فليتـــه ذَكَّـــرَ ما أنَّثَا

وحدثني من كان معـه عند عمله هذه الأبياتَ وأنّ السبب فيه إنشاد بعض الحاضرين لابنِ المغربيِّ : /

قـــال الطبيبُ وقد تأمَّـــلَ عِلَّتي
هـــذا الفتى أودَتْ بـــه الصفراءُ

فعجبـــتُ منـه إذ أصابَ وما دَرَى
لفظـــاً ومعـــنىً ما أراد خطـــــاء

وهذا من قول الصَّابي (2) وذكرِ الطبيبَ :

فقـــال : شفاؤُه الرمـــانُ ممَّـا
تَضمَّنَه حَشَاهُ مِنَ السَّعِيـــرِ

---

(1) أبو القاسم الزاهي ، علي بن إسحاق بن خلف ، شاعر وصاف محسن ، كثير الظرف ، من شعراء اليتيمة : 1/249

(2) البيتان في اليتيمة : 2/258 ، مع أبيات أخرى .

فقلتُ لهمْ : أصابَ بغيرِ عَمْدٍ
ولكنْ ذاكَ رُمَّانُ الصُّدُورِ

وقال جعفرُ بن شرفٍ (1) :

صَنَمٌ من الكافورِ باتَ مُعَانِقِي
في حجبتَيْن : تَعَفُّفٍ وتكرُّمِ

فَكَسَرْتُ ليلةَ وصلِهِ في صدرِهِ
فَجَرَتْ بقايا أَدْمُعِي كالعَنْدَمِ

فطفِقْتُ أمسحُ مقلتيَّ بصدرِهِ
إذْ عادةُ الكافورِ إمساكُ الدَّمِ

الهندسيَّاتُ [121]

هشامُ بن أحمدَ (2) :

قد بَيَّنَتْ فيه الطبيعةُ أنَّها
ببديعِ أعمالِ المهندسِ ماهِرَهْ

(1) هو جعفر بن محمد بن شرف ، والأبيات في الخريدة (قسم المغرب) ٢/٢٣٠ ، وذكر العماد أنها تنسب كذلك لأبيه محمد ، وهي في وفيات الأعيان : ٢/٧٨ منسوبة لابن رشيق القيرواني .

(2) هو أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام ، يعرف بالوقَّشي . انظر ترجمته في الخريدة (قسم المغرب) ٢/١٩١ ، وفيها أنه : هشام بن محمد ، وانظر المطرب : ٢٢٣

عُنِيَتْ بِمَبْسَمِهِ فَخَطَّتْ فوقه
بالمسكِ قوساً من محيطِ الدائِرَهْ (١)

الفلسفيِّاتُ

مجبرُ بن محمد يمدح مولانا ، خلَّد الله ملكه :

شِعْرٌ أرقُّ من النسيمِ حواشياً
لم تَروِ حُوشِيَّ الكلامِ رُواتُه

نُظِمَتْ لشاهِنْشَاهَ منه قصائدٌ
قُصِدَتْ مدائِحُه بها وصِفَاتُه

فأتَى بديعاً في بديعٍ أطْمَعَتْ
ألفاظُه وتَمَنَّعَتْ طُرُقَاتُه

كالرُّوحِ يُدرَكُ بالحقيقةِ فِعْلُه
وتَغيبُ عنْ أهلِ البصائرِ ذاتُه

وحدثني ابن مكنسةَ ، قال : حضرت جَنَازَةَ ابن الطائي المقرىءِ ؛ فرأيت من إعظام الناس له — وهو محمولٌ على نعشه — مالم يكن له منهم في حياته ، فقلت بديهاً :

أرَى ولدَ الطائيِّ أصبحَ يومَه
يعظِّمُه الأقوامُ أكثرَ منْ أمسِ

(١) البيتان في الخريدة والمطرب .

وقد أكرموهُ في المماتِ ، تُراهمُ
يظنّون أن الجسمَ أزكى من النفْسِ ؟

عليُّ بن محمدٍ الإياديُّ (١) :

ليَهْنِكَ أنّ اللهَ أعطاكَ رُتْبَةً
من الفضلِ رُكناها التُقَى والتواضُعُ
مُضَمَّنَةً حملَ المكارمِ والعُلا
كما ضُمِّنَتْ حملَ الحياةِ الطبائعُ

ولـه :

ألقَى زِماماً إليه الدهرُ واجتمعَتْ
على فَضيلتِهِ الشُبّانُ والشِّيبُ
مَلْكٌ هو الصورةُ الأولى التي اصطُفِيَتْ
من قبلِ أنْ يلحقَ المبسوطَ تركيبُ [١٢٢]

من جيد الطريقة (٢) التي استعملها المحدثون قولُ عبد الله بن العابد من قصيدة :

---

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد الايادي التونسي (انظر وفيات الأعيان : ١١٢/١ ، ونفح الطيب : ٥٧/٤) .

(٢) في حاشية النسخة ما يأتي : (قلت : هذه الطريقة التي يشير اليها مؤلف هذه الرسائل وهو علي بن منجب بن سليمان التنوخي المعروف بابن الصيرفي قبل تصنيف ديوان رسائله التي في النثر والانشاء على عشرين مجلداً ، ونرى القاضي الفاضل يستمد منه كثيراً ، وبالجملة فهو أستاذ زمانه . وهذه - أعني الطريقة المذكورة - سماها علماء البديع بالتطريز) .

وما خصصتَ ولكنْ عَمَّ نائلُه

فاستعبد الثَّقَلَيْنِ : الجنَّ والبَشَرَا!

عَدْلٌ تَمُدُّ رواقَ الفضلِ سيرتُه

فتشملُ الموطنَيْنِ البدوَ والحَضَرَا

وتكشفُ الظُّلْمَ والإظلامَ غُرَّتُه

فتُخْجِلُ النَّيِّرَيْنِ: الشمسَ والقَمَرَا

ويستوي ذِكرُه حُسناً ومنظرُه

فيَشْغَلُ المُتعَيْنِ: السمعَ والبَصَرَا

سَرِّحْ مُنَاكَ إلى ساحاتِ أنْعُمِهِ

وضَمِّنِ الصادقَيْنِ : الخُبْرَ والخَبَرَا

هذه الخدمة مشتملة من الأدب على لُمعة ، وشاهدة بقوة في البلاغة وصَنْعَة • وقد جعل المملوك ما اعتمده من تقريرها ، وقصده من ترتيبها وتحريرها سفيراً بين مقاصده وبين النُّجح ، وسبيلاً إلى رغبة الأيام إليه في السلم والصُّلْح ؛ إذ كان السعد مضموناً للذين لاذوا برجاء مولانا وتَحَرَّموا ، والحظ محتوماً للذين تَبَسَّطوا على تأميله وتحكَّموا :

كُلُّ الورَى داعٍ وكُلُّ دعائِهم

أنْ لا يُزيلَ اللهُ ظِلَّك عنهُمُ

أغْنَى نوالُك بعضَهُمْ عن بعضِهِمْ
كيلا يُرى في الأرضِ غيرُكَ مُنْعِمُ [١٢٣]

فلذاك ألسُنُهُمْ لسانٌ واحدٌ
يُثْنِي بِمَا خَوَّلْتَ والدُّنيا فَمُ

لا زالت الأقدار بإرادة المقام الأشرف ـــ خلّد الله ملكه ـــ جارية : والأقضيةُ في خدمته متنافسة متبارية ، ما اتصلتِ الأيامُ والليالي ، وتزيَّن الدهرُ من مناقبه بفاخر اللآلي ، إن شاء الله عز وجل .

الحمد لله ربِّ العالمين ، وصلى الله على سيد المرسلين محمدٍ خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين وسلَّم تسليماً . اللهُ حسبُ المملوك ونعم الوكيلُ .

وعند عرض هذه الرسالة رضِيَ عنه ، وأعادَه إلى ديوان الإنشاء .



(٤)

رِسَالَةُ مَنَائِحِ القَرَائِحِ



رسالة

سماها منائحَ القَرائح

أولى ما تُقُرِّب به الى الله تعالى الإكثارُ من تحميده، والإقرارُ بربوبيته وتوحيده، والصلاةُ على نبيِّه محمدٍ الذي عضَدَه بتأييده، وخَصَّه من الشرف بما لا سبيلَ إلى تحديده، وعلى آله الممنُوحينَ من الفَضْل ما يعجز الوَصْفُ عن تعديده، ثم التوسُّلُ إلى ملوك كُلِّ وقتٍ بشُكْرِ نِعَمهم [١٢٤] ومواصَلَة خِدَمِهم، ونَشْر خصائصهم التي امتازوا بها عن العباد، وذكر مناقبهم التي سارت في الأقطار ونَقَّبت في البلاد، والاجتهادِ فيما تَفَقَت بشريف مقاماتهم سُوقُه، والاعتمادِ على ما ظَهَر سُموقُه في البلاغة وبُسُوقُه •

ولا خلاف أنَّ سلطانَ هـذا العصر، والمخصوصَ من الفضائل بما لا يدخُلُ تحت الحَصْر؛ مولانا الملكَ السيدَ الأجلَّ الأفضلَ، أميرَ الجيوش، سيفَ الإسلام، ناصرَ الإمام، كافلَ قضاة المسلمين، وهاديَ دعاة المؤمنين، عَضَدَ الله به الدين، وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين، وأدام قدرَتَه، وأعلى كلمته؛ سَيِّدُ من ملَكَ الأرضَ، ولم يَكْتَفِ بالدنيا دون الآخرة ولم يَرْضَ، وخيرُ من زَخَرَتْ بحارُ مَكَارِمِه الفائضة وطَمَتْ ووَهَتْ أركانُ الشِّرك بعزماته الماضية وتحَطَّمت؛ وأفْضَلُ من دَبَّر البرِيَّةَ من الأكابر العُظماءِ، واستقَرَّ الثناءُ عليه في الأرض لمَّا استقرَّ عليه في السماء، وتَمَتَّتْ بيُمْنِ نظره محاسنُ الدنيا وتكامَلَتْ، وفخَرَتْ أيامُه على

الأزمنة المتقدّمة وتطاولت ، [١٢٥] لا جرم أنّ الآفاق قد غدَتْ طامعةً باستيلائه عليها راجية وأصبحَتْ ملوكها وافدَةً إلى بابه العزيز لاجيَةً ، فعادت آمالهم متخلّصةً من يد الإخفاق ناجيةً ، وأضحَتْ أيامهم مشْرِقةً وقد كانت من قبلُ داجية ، وصارَتْ أحوالهم بمكارمه حالية نامية زاجية ، فَقَدْ زُهيت به المملكة وأظهرَتْ بهجتها وجمالها ، واختالت في ملابس فخره فسَحَبتْ على السُّحبِ أذيالَها :

ولم تكُ تصلحُ إلا له ولم يكُ يصلحُ إلا لها (١)

فيجبُ على من صفَتْ فكرَتُهُ ، وصحّت فطرَتُه ، وأمكنَهُ استنباط معنىً غامضٍ ، واستدَل على المحاسن ببرقها الوامض ، وعرَفَ موضعَ الفضيلة فيما يصنَعُهُ من تصنيف ، وعلمَ موقعَ الوسيلة به إلى كلّ مقامٍ شريف أن يُظهر كامن قوّته ، ويُعْمِلَ مطايا رويّته فيما يخدم مجلسَهُ العاليَ به مما يُطربُ مورُدُهُ ومسموعُهُ ، ويُعْجِبُ مؤَلّفُهُ ومجموعُهُ ، ويَستحسَنُ موضوعُهُ ومصنوعُهُ ، ويَذكُرُ من ذلك ما يُؤدّي إليه أَقْصَى حرصِهِ [١٢٦] وجَهْده ، ويعتمِدُ منه ما يتعيّنُ لكلّ مولىً على مملوكه وعبده ، بعد شكر الله الذي لطف بأمّةٍ جعله مالِكَها ، وأوضَحَ به إلى الخيرات مسالِكَها ، وأولى منه مِنّةً أقر بالعجز عن فَرْضِها من يحاوِلهُ ، وأسبَغَ نعمةً تطامن لها من الشكر مُتَطَاوِلُهُ ، وأحيا به مِلّةً نسخَتْ ما تقدمها من المِلَل ، وحَسَم

---

(١) البيت : لأبي العتاهية .

ديوانه : ٦١٢ ، وهو من قصيدة يمدح بها المهدي . أولها :

ألا ما لسيّدتي مالها أدلاً فأحمل إدلالها

في اعتقاد عبوديته جميع الموانع والعلل ، فالقلوب إلى الاجتهاد في طاعته مُسرِعة" مرجِفة ، والملوك في الانقياد لعظَمته لا متوقِّفة" ولا متخَلِّفة ، فأبْقَى اللهُ على الدهر بهجةَ سُلطانه ومُلكه ، وجعَلَ مَنْ كفَرَ نعمتَهُ صريعَ بَطْشِه وفتكِه ، وحكَّمَ مواضِيَهُ وعواليَهُ في إراقة دمِه وسفكِه بفَضْلِه وقُدرَتِه وعدلِه ومشيئَته .

ولذلك خدمَ المملوكُ بهذا الجزءِ الذي ألَّفَهُ وجمعَهُ ، وأودَعَهُ مُختارَ ما سمعَهُ ، وأضاف إليه ما استنبَطَهُ وابتدعَهُ مما لم يعلَمْ أحداً سبَقَهُ إلى ما عملَهُ منه وصنَعَهُ ، وقصَدَ في هذه الجُملةِ أنْ يُوجِزَ ويَخْتَصِرَ ، [١٢٧] إذ كان الواجب أن يعتمدَ على اليسيرِ ويقتصر ، لأن هيبة المقام الأعظَم تمنع ما يُستطال وإن كان يُستَطاب ، على أنَّ المثول بين يديه يُبيحُ استيفاء الحُجَّة وإنْ اتَّسعَ الخِطابُ ، واللهُ — عزَّ وجَلَّ — يهديه في خدمةِ مالكه أَقْوَمَ جَدَدٍ (١) ، ويُريه من نعمِه السابغةِ مالا يُحصيه عَدَد ، فلَهُ القُوَّةُ والحَوْلُ ، وبيده القُدرَةُ والطَّوْلُ .

في الشكر الذي يصون النعم من الانتقال

ويلزم تقديمه أمام كل مقال

إن الله تعالى جعَلَ الشكر فريضةً لا رخصة فيها ، وطريقةً لا يَضِلُّ مقتفيها ، وكان لمن حافظَ عليها وحالفها المزيدُ ، ولمن عَدَلَ عنها وخالَفَها التهديدُ والوعيدُ . قال الله — عزَّ من قائلٍ — :

---

(١) الجدد : الأرض الغليظة ، وقيل المستوية ، وفي المثل : من سلك الجدَد أمن العثار ، والصحراء جدد ، والفضاء جدد (اللسان : جدد) .

« وإذْ تأذَّن رَبُّكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إنَّ عذابي لشديد » (١) فواجبٌ أن تُقابَلَ النعمُ من الشكرِ بما يؤنِسُ وَحْشيَّها ، وتُواصَلَ من الحمد بما يعطِفُ أَبيَّها ، فإحسان مجاورتها مُقرِّبٌ لقَصيِّها ، وإجمالُ مُصاحبتها مُليِّنٌ [١٢٨] لعَصيِّها ، والتَّضَرُّعُ لموليها في حراستها يُؤَكِّدها ويُجدِّدُها ، والتوسُّلُ إلى مُسْبِغِها في إدامتها يُقيِّدها ويُخلِّدها ؛ ولازمٌ لكل ذي عقلٍ أن لا يجهل معرفةَ قدرها ، ولا يَشتغِلَ بسُكْرِها عن شُكرِها ، ولقد أحسَنَ أبو إسحاق الصَّابي في قوله :

موقعُ الشكر من النعمة موقعُ القِرَى من الضيف : إنْ وجَدَهُ لم يَرِمْ ، وإنْ فَقَدَهُ لم يُقِمْ .

وإذا عدَدْتَ نِعم اللهِ التي أضفاها ، ومِنَنَهُ التي أولاها ووالاها ، ومواهبَهُ التي منَحَها كَرَماً وتفضُّلاً ، وعوارِفَهُ التي جازى المعتَرِفَ بها رِضىً وتَقَبُّلاً ، كانت منقسمَةً إلى العموم والخُصوصِ ، ومُسْتَوْجِبَةً من الشكر ما ثبَتَ في العقول والنُّصُوص ، فالنعمةُ التي تَخُصُّ ما تعلق بالمرءِ في ذاتهِ ونفسه ، والنعمةُ التي تَعُمُّ ما كان شامِلاً لنوعه ، شائعاً في جنسِهِ . وهذا لا يكون إلا بالملوك الذين هم أولياءُ النعم ، وزعماءُ الأمم ، وقد أقدرهم الله جَلَّ وعَزَّ على ما يَعُمُّون به دواعيَ الشكر [١٢٩] ونصَبَهُمْ ــ تباركَ وتعالى ــ للأمر بالعُرْفِ والنهي عن النُّكْرِ ، ويتباينون في التَّعميرِ والتَّدميرِ ، فمنْ عَدَلَ منهم وأقسَطَ ، وأرْضَى في ذات الله وأسْخَطَ ؛ فقد أنال المُتَفيِّىء بظلِّهِ أقصى

---

(١) إبراهيم : ٧ .

أَرَبِهِ ، ووجَبَ على كلِّ مُكَلَّفٍ شُكرُهُ وشُكرُ النعمة بهِ .
ومن أبَى الحقَّ وصرَفهُ ، ودَفَع الواجِبَ وصَدَفَهُ ، فلا مجال له هاهُنا ولا مَسْرحَ ، ولاسُمُوَّ لناظرهِ في هذا الأفقِ ولامَطْمح، والإجماعُ واقعٌ من الحاضرِ بالدِّراية ومن الغَائب بصحةِ الرِّواية أنَّ سَيِّدَ ملوكِ الأرض بلا مُدافَعَةٍ ، وأشرفَ سلاطينِ العالم بغير مُمانَعَةٍ ، وأكملَ من كُلِّ من تقدم لما عُلِم بالنَّقْل ، وأفْضَلَ من كُلِّ من يأتي بمقتَضَى القياس والعَقْل مولانا الملكُ السَّيِّدُ الأَجَلُّ الأَفْضَلُ أميرُ الجيوش ، سيفُ الإسلام ، ناصرُ الإمام ، كافلُ قضاة المسلمين ، وهادي دُعاة المؤمنين ، عَضَد اللهُ به الدين ، وأمتع بطُولِ بقائه أميرَ المؤمنين ، وأدام قدرَتَهُ ، وأعلى كلمتَهُ ، الذي حَكَمَ فأنصف وعَدَل ، وسلكَ جادَّةَ الحقِّ فما نَكَبَ ولا عَدَل [١٣٠] ووضَحَتْ له طُرقُ الشُبَهِ فانحرَفَ عنها وجارَ، وقَضَى بين البريَّة فما ظلم ولا جارَ، وتَيَقَّنَ برقَ الثواب مُومِضاً فتمثَّلَهُ وشامَهُ ، وتحقَّقَ التناصُفَ بهَيْبَتهِ فما انتضَى سيفَهُ ولا شامَهُ ، ولذلك سَمَا بِفَخْرِهِ ناظِرُ الدين الحنيفِ وَقَرَّ ، وانزعَجَ بذكرِهِ مضجعُ أَوَّلِ الكُفْر فما ثَبَتَ ولا قَرَّ ، وغدا كُلُّ ملكٍ يكتفي بأيسرِ رضاه ويَقْنع ، وكُلُّ مشمولٍ بأنزرِ مواهبهِ لا يطلب ولا يقنع ، فإنْ يُسْأَلْ عطاءً يمنحِ الرَّغائبَ ويهَبْ ، وإنْ يباشِرْ هيجاءَ لم يُرَعْ لِمَا التَهَبَ من ضرامها ولم يَهبّ ، هذا إلى ماله من المناقب التي آمَنَتِ الديارَ ، وأَرْخَصَتِ الأسعارَ ، وحَسَّنَتِ الآثارَ . وأدركَ الإسلامُ بها الثار ، وانْحَسَمَتْ فيها موادُّ الكفرةِ والأعداء ، وبَرِئَتِ الأحوالُ بطبِّها من المرض والداءِ وأمِنَتِ المَطَالِبُ معها من الخَيْبَة

والإكداء ، فلا ثناءَ ينهَضُ بواجب جَزائها ، ولا تقريظ يَسْتَقِلُّ بأول أجزائهـا • [١٣١] فمن الواضح البَيِّن ، واللازم المُتَعَيِّن ، لمَعْشَي الخصوص والعموم ، وإنْ كان الشكر عليهما من المفروض المحتوم أن يَقَعَ التوفُّرُ على حق الموهبة التي عَمَّتْ وشَمِلَتْ ، ويُبالغ في ذلك طلباً للجزاء يومَ «تُوَفَّى كلُّ نفسٍ ما عَمِلَتْ»(١) فقد نَتَجَتْ هـذه المقدمة وجوبَ الإجماع عـلى حَمْد مالِكها وشُكْرِه وبعَثَتْ عـلى تعميـر المحافلِ بنَشْرِ إحسانهِ وذكره ، وقَضَتْ بأنْ يُعَطَّرَ بوصفه نَسيمُ الشَّمال والقَبُول، ودَعَتْ إلى مُوَاصلة الدُّعَاءِ له في مَظَانِّ الإجابة والقَبُول ، وفرضَتْ بذلَ الاستطاعة في ذلك توخِّياً للصواب ، وجعَلَ اعتقادَهُ أفْضَلَ ذخيرةٍ تُوَرَّثُ للذَّراري والأَعْقاب ، فأوزع اللهُ الكافَّةَ شُكْرَ النِّعمةِ على ما أصْلَح به من دُنْياهم ، وألهَمَهُمُ القيامَ بما يلزم قوماً أدركوا من السَّعادة مالم يبلُغْهُ مُناهم ، ووفَّقَهم لما يجب عليهم من فَرْض أكرم كَفيلٍ منه للشريعة ونصيرٍ ، وأنهضَهُم من الاجتهاد لما يقيم [١٣٢] عُذْرَهُمْ في العجز والتَّقْصير ، وأعانَ كُلاًّ منهم عـلى مُوَاصلتـه إلى حين المُنقلبِ والمَصير ، إنه السميعُ البصيرُ ، اللطيفُ الخَبيرُ ، وهو ـ بعزَّتِهِ ـ على ما يشاءُ قدير •

من المعاني التي استنبطها المملوك وابتدعها واستخرجَهَا فكرُهُ واخترعَهَا •

فمن أنشأ فيهـا شيئاً من أُدباءِ الوقت ، وشُعراءِ العَصْر ، فإنما انتهج قصدَ المملوكِ مُتَتَبِّعاً لدليله ، واقتفى أَثَرَهُ محتذياً على

(١) النحل : ١١١ •

تمثيله ، وكلٌّ من تعرَّض لذلك ـ وإنْ أحسَنَ وأجاد ، ورَجَح وأوفى وزاد ـ فللملُوكِ مَزِيَّةُ البِدايةِ ، وحرمةُ الهداية ، ومَاتَّةُ الابتكار ، وفضيلةٌ يأمن فيها من الدَّفعِ والإنكار .

قد وقَعَ الإجماعُ على فَضْلِ واصلِ بن عطاءٍ ، وكشفهِ في البلاغةِ كلَّ حجابٍ وغطاءٍ ، ودلَّ كلامُهُ على القدرة في الفصاحة وبُعْدِ الغَوْرِ [١٣٣] واشْتَهَرَ من أجْلِ لُثْغَتِهِ بحذفِ الراءِ من لفظهِ ، وهي حرفٌ كثير الدَّور .

ومن المحكِيِّ عنه قولُهُ ـ وذكَرَ بشَّاراً وكان يُرْمَى بالزندقة ولهذا قَتَلَهُ المهدي ـ :أما لهذا الأعمى المُكْتَنَي بأبي مُعاذٍ من يَقْتله ! واللهِ لولا أنَّ الغِيلةَ خُلُقٌ من أخلاقِ الغالية لبعثتُ إليه من يَبْعجُ بطنه على مَضْجَعهِ ! فقال : الأعمى ، ولم يَقُل : الضَّرير ، وقال : المُكْتَنِي بأبي معاذٍ ، ولم يقل : بشاراً ولا ابنَ بُرْد ، وقال : من أخلاقِ الغالية ، ولم يَقُل : المُغيريَّة (١) ولا المنصوريَّة ، وقال : لبعثت إليه ، ولم يقل : لأرسلت [إليه] ، وقال : على مَضْجَعهِ ، ولم يقل على فراشه !

ومما قيل فيه (٢) :

ويَجْعَلُ البُرَّ قَمْحاً في تَصَرُّفِهِ

وخالَفَ الرَّاء حَتَّى احتالَ للشَّعَرِ

---

(١) في الحاشية : (المغيرية ، منسوبة الى المغيرة بن سعيد ، وكان في بدء أمره شيعياً ، ثم انتحل أنه إمام ، ثم نبي ، ثم إله) .

(٢) البيتان في الوفيات : ٦/٨ ، وهما غير منسوبين هناك .

ولم يُطِق مَطَــراً والقولُ يُعْجِلُهُ

فعـــادَ بالغيث إشفاقاً من المَطَــــرِ (١)

ومن اللغز الــذي تَضَمَّن خَبِيّاً وسراً ، وأحسَنَ قائله إذْ عَمَّى فيه وَوَرَّى ، إلا أنَّ إيرادَهُ هاهنا يجعَلُ خافيهُ ظاهراً ، ومُبَرْقَعَهُ سافراً قولُ الشاعر : [١٣٤] :

ولمَّا رأيــت الشَّيبَ راءً بعـــارضي

تيقَّنْتُ أنَّ الوصــل لي منك واصِلُ

(١) في الحاشية : (كان بشار يتعصب للنار على الأرض ، ويصوب رأي إبليس في الامتناع من السجود ، فاتصل ذلك بواصل ، فتكلم فيه ، فهجا واصلاً . وكان بشار يدين بالرجعة ، ويكفر جميع الأمة ، ويصوب رأي إبليس في تقديم النار على الطين ، وذكر ذلك في شعره ، فقال :

النار مشرقة والأرض مظلمة   والنار معبودة مذ كانت النار

فلما تتابع على واصل ذلك منه قال : أما لهذا المشنف المكتني بأبي معاذ من يقتله ؟ والله ، لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لدسست إليه مــن يبعج بطنه في جوف منزله ، ثم لا يتولى ذلك إلا عقيلي أو سدوسي ، فقال : المشنَّف ، ولم يقل ابن برد ، فهو يلقب المرعث . لقوله :

رب ظبـــي مُـــرعث   فـــاتِرِ اللحـــظ والنظـــر

قـــال لـــي لـــن تنــالني   قلت إذ يظهــــر القـــدر

وقـــال :

أنا المــرعث لا أخفى عــلى أحـــد

ذرت بــي الشمــس للـــداني وللنائــي

ويقال : إنه من أمم سدوس ....) .

فَخَصَّ الراءَ لحفظِهِ المعنى الذي قَصَدَهُ وإحرازِهِ ،
وأحسَنَ التوصُّلَ بواصلٍ إلى تجنيسِهِ وإلغازِهِ .

وللرُّسْتُمي في الصاحب (١) :

نَعَمْ ! تَجَنَّبَ : لا يومَ العَطَاء كما
تَجَنَّبَ ابن عطاءٍ لُثْغَةَ الراءِ

ولما أكثَرَ الناسُ من تقريظ هذا الفَنِّ ووصفِهِ ، وادَّعى قومٌ أنَّ المُتَعرِّضَ له إنَّمَا يُخْبِر عن عجزِهِ وضَعْفِهِ ؛ اعتمد المملوكُ تأمُّلَهُ وتدبُّرَهُ ، واستنجَدَ ، فيما يُعرِبُ به ، رويَّتَهُ وتفكُّرَهُ ، فلم يَرَ أنْ يكونَ لهذه السبيل مُقْتَفياً ، ولم تَرْضَ له الخدمةُ الشريفةُ أن يُلْفَى في هذا الباب مُصَلِّياً (٢) ، فعمِلَ في مولانا شعراً لم تُجْتَنَبُ فيه الراءُ ، وإذا قرأَهُ الألثَغُ أفاد معنىً يزول في استحسانهِ المراءُ ، وكانَ في ذلك من الإعجاز أنَّ الصَّريحَ والمستعجِمَ ، والفصيحَ والمتلعثِمَ إذا أخذوا في ذكرِ أوصافِ مولانا لم يُشكِلِ اللفظ الذي يُوردونَهُ ، ولم يَسْتَبْهِم المعنى الذي يُؤَدُّونه ، ولم يُعْتَذَرْ [١٣٥] بأنَّ اللُّثْغَةَ أفسَدَتِ المُرَاد ولا حالَتْ دُونَهُ ، وتساوَتْ في روايتها الآلةُ الصحيحةُ والسقيمة ، وتماثلَتْ في تلاوتها الألسنةُ المعوجَّةُ والمستقيمةُ ، وأجْرَى المملوكُ ذِكْرَ هذه الجُملة مع محمود ابن القاضي الموفق ، إذْ كان

---

(١) ورد البيت في الوفيات : ٦/ ٩ منسوباً الى أبي محمد الخازن ، وذكر ابن خلكان أنه من جملة قصيدة يمدح بها الصاحب أبا القاسم إسماعيل ابن عباد . والرواية هناك : لفظة الراء .

(٢) الفرس المُصَلِّي : هو الفرس الذي يأتي تالياً لسابقه .

الإغرابُ في الصفاتِ الشريفةِ من مذهبهِ ، والإبداعُ فيها من بغْيتهِ وأَرَبهِ . فلمَّا رأى هذه الطَّريقة من أسلُوبهِ وشَرْطهِ ، بالَغَ في استحسانها وعمل لوقتهِ :

وذاتِ وجهـين أتَتْ بدعـةً
غايتُهَـا في الحُسْنِ لا تُبْلَـغُ

قافيــةٌ رائيَّــةٌ فيــك لا
يُعـابُ في إنشادِهَا الألثَـغُ

وشفعَهُ بأنْ قال :

يا ملكـاً فائضُ إحسانهِ في كُلِّ آفاق الدُّنَى سائرُ
وَصَنْعُكَ عنديذَهَبٌ خالصٌ نظمي له حيـث انتهى صائرُ

والذي عَمِلهُ المملوك :

من شاءَ جَمْعَ مَعَـالٍ قد خُصِصْتَ بها .
وجاوزَتْ كُـلَّ حَدٍّ لم ينلْ [......](١)

وكيف تستطيـع أنْ تحصي فضائلَهـا
وزندُكَ الغِرُّ مهما تَقْتَدِحْه [وَرِي](٢)

---

(١) مطموسة في الأصل .

(٢) مطموسة في الأصل ، ولكنها فهمت من السياق ، ومما ورد في الحاشية وهو : (ورى الزند ــ بالفتح ــ ورياً ، إذا خرجت ناره ، وفيه لغة أخرى ، وري ، يري ، بالكسر فيهما) .

ثم رأى المملوكُ أنْ لا يُخليَ النثرَ من هذا النوع الذي تتعبُ الأفكارُ في طلبه ، وأنْ يُوردَ فصلاً يتوخَّى فيه ذِكرَ الشيء على ما هو به ، فعمِلَ في وَصْفِ مالكه [١٣٦] ثبَّتَ الله قُدرتَه ، وأدامَ سُلطانَه ودولتَه (١) :

مَلِكٌ أبانَ اللهُ إعلاءَ رايته فازدانَتْ بأوصافها المحافِلُ ، وتاهَ الزمَنُ بمحاسنه فهو عن الإساءة لاهٍ رافِـل ، قد سارت بالألسنة والأفواهِ مدائحـهُ ، وصارت حُلَى المجامِـع والأندية منائحهُ ، وأصبَحَ الكافةُ من ظِلِّه في رياض أنيقةٍ ، ورامت السماءُ إحياءً للأرض فخدمَتْهُ بذاك على الحقيقة .

ولما انتهى إلى هذا الحَدِّ أملَّ خاطِرُهُ عليه من غير رَوِيَّة ، ونظم ــ عفواً ــ ما يشهدُ بصحة هذه القضيَّة :

لمّا غــدوتَ مليكَ الأرض أفضل من

جَلَّت مفــاخره [عن كــل إطراء](٢)

---

(١) حرص المؤلف في صياغة هذه القطعة على أن تكون الراء التي في كلماتها إذا انقلبت غيناً عند نطق الألثغ لها بقي الكلام متسقاً ، وكان ذا فائدة ، فتصبح العبارة عند الألثغ كالتالي :(ملك أبان الله إعلاء **غايته** ، فازدانت بأوصافها المحافل ، وتاه الزمن بمحاسنه فهو عن الاساءة لاهٍ غافل قد **ساغت** بالألسنة والأفواه مدائحه .**وصاغت** حلى المجامع والأندية منائحه ، وأصبح الكافة من ظله في **غياض** أنيقة ، **وغامت** السماء إحياء للأرض ...) .

وقد ورد في أصل النسخة فوق كل كلمة الرواية الثانية لهــا .

(٢) مابين المعكوفين مطموسة في الأصل ، وقد أكملناه من معجم الأدباء : ١٥/ ٨٠ . فالبيتان هناك لابن الصيرفي .

تغـايرت أدواتُ النُّطقِ فيك عـلى
ما يصنـع الناس من [ظـم وإنشاء](١)

ثم اقتضت فكرته ، وأوجَبَتْ خدمتُهُ أن يَجْعَلَ هذه القافية عـلى وجوه من الرَّويّ ، عمـلاً بما رآه منسوباً إلى ابن نُبَاتة والشريف الرَّضي ، لتشتركَ الحروف في حَـظٍّ مـن الشـرف وافٍ ، وتَتَبَـيَّنَ فضيلةُ مجيئها متناوبة في قوافٍ . والمنسوب إلى الشريف وابن نباتة : [١٣٧]

لا يبلـغُ الغايةَ القُصْوى بهمَّتـهِ .
إلا المُقَسَّمُ بين (٢) الخَيْلِ والإبلِ

يَطْوي حَشَاهُ إذا ما الليـلُ عانَقَهُ
عـلى وشيج من الخطِّي معتـدلِ (٣)

والتعبير الأول :

لا يبلـغُ الغايةَ القُصْوى بهمَّتـهِ
إلا المُقَسَّمُ بين الجُـرْدِ والكُومِ

يَطْوي حَشَاهُ إذا ما الليـلُ عانَقَهُ
عـلى وشيـجٍ من الخَطِّي مَحطُومِ

---

(١) ما بين المعكوفين مطموسة في الأصل ، وقد أكملناه من معجم الأدباء .
(٢) في الأصل : من ، وهو تصحيف يخل بالوزن .
(٣) لم نجد البيتين في ديوان الشريف الرضي ولا في ديوان ابن نباتة .

والثاني :

لا يبلُغُ الغايةَ القُصْوى بهمّتِهِ
إلا أخو الحَرْبِ والجُرْدُ السّلاهيب

يَطْوي حَشَاهُ إذا ما الليلُ عانَقَهُ
على وشيجٍ من الخطّي مخضوب (١)

والثالث :

لا يبلُغُ الغايةَ القُصْوى بهمّتِهِ
إلا المُقسّمُ بين السّرج والكُوْرِ

يَطْوي حَشَاهُ إذا ما الليلُ عانَقَهُ
على وشيجٍ من الخطّي مكسُورِ

والرابع :

لا يبلُغُ الغايةَ القُصْوى بهمّتِهِ
إلا المُصيخ وإنْ لم يَدْعُهُ الداعي

يَطْوي حَشَاهُ إذا ما الليلُ عانَقَهُ
على وشيجٍ من الخطّي زَعْزاعِ

والخامس :

لا يبلُغُ الغايةَ القُصْوى بهمّتِهِ
إلا المُقَسّمُ بين الجُرد والقُود

---

(١) البيتان في معجم الأدباء : ١٥/٨١ ، في ترجمة ابن الصيرفي .

يَطْوي حَشَاهُ إذا ما الليلُ عانَقَهُ

على وشيجٍ من الخطّي [......] (١)

والسادس :

لا يبلغُ الغايةَ القُصْوى بهمَّتِهِ

إلا المُقَسَّمُ بين الجُرْدِ والنُّوقِ

يَطْوي حَشَاهُ إذا ما الليلُ عانَقَهُ

على وشيجٍ من الخطّي مدقوقِ

فهذه ستة تَغَيُّرات .

والذي صنعه المملوكُ في البيتين اللذين أوردهما [١٣٨] على قافية الهمزة يستوعِبُ الرَّويُّ فيهما جميعَ حروفِ المعجم الثمانية والعشرين ، وقومٌ يجعلونها تسعة وعشرين ، فَيُضيفون إليها الحرف المركب من اللام والألف ، ولا يجوز دُخولُ المركب في البسيط ؛ وهي — على مذهبِ جماعةٍ من المحقّقين — ثمانية وعشرون حَملاً على عِدَّة منازلِ القمر ، ولذلك قالوا : إن لام التعريف إنما صارَتْ تُدْغم في نِصْفِ الحُروف فَتَظْهَرُ عند نصفِها ؛ لأنَّ نِصْفَ منازل القمر ظاهر أبداً فوق الأرض ، ونصفها خافٍ أبداً عن ظاهرِ الأرض . وقد بَيَّن المملوكُ ما عملَهُ وهو — قد تَقَدَّم ذكر الهمزة — :

---

(١) مطموسة في الأصل .

الباء :

لمّا غدَوْتَ مليك الأرض أفضلَ مَنْ
حلّتْ مفاخرُهُ في النّظمِ والخطبِ
تغايَرَتْ أدواتُ النطق فيك على
ما يصنعُ الناسُ من مستغرَبِ (١) الأدبِ

التاء :

لمّا غدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ
سَاسَ البريّةَ في الماضي وفي الآتي
تغايَرَتْ أدواتُ النّطقِ فيكَ على
ما يرفَعُ الناسُ أعقابَ المناجاةِ

الثاء :

لمّا غدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ
غدا الدعاءُ له في الأرضِ مبثوثا
تغايَرَتْ أدواتُ النّطقِ فيكعلى الـ...
... ثناءِ مكتسِياً (٢) منه وموروثا

(١) فوقها : مستحسن ، ويبدو أنه رواية ثانية .
(٢) كذا وردت ، ولعلها : مكتسباً .

الجيم :

لمّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ

جَلَّت مواهبُهُ عن مَطْلَب الراجي[١٣٩]

تغايَرَتْ أدواتُ النُّطقِ فيكَ على

وصفٍ يريكَ ظلامَ الحِنْدِسِ الداجي

الحاء :

لمّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ

سعَتْ عطاياه عما اعتِيدَ من مِنَحِ

تغايَرَتْ أدواتُ النُّطقِ فيكَ على

ما يصنَعُ الناس من وصف ومن مِدَحِ

الخاء :

لمّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ

تَطَرَّزَتْ بمعاليهِ التواريخَ

تغايَرَتْ أدواتُ النُّطقِ فيكَ على

وصفٍ به كُلُّ ما يعدوه منسوخُ

الدّال :

لمّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ

جَلَّت أياديه عن وصفٍ (١) وتعديد

(١) فوقها : شرح ، ويبدو أنها رواية ثانية .

تغـــايَرَتْ أدواتُ النّطقِ فيكَ عـــلى
شكرٍ يضاهي الأيادي غـــيرِ محدودِ

الذّال :

لمّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ
أرضى العوامـــــل إمضاءً وإنفـــاذا

تغـــايَرَتْ أدواتُ النّطقِ في مِدَحٍ
عادَتْ بها أكبـــدُ الأعداءِ أفـــلاذا

الرّاء :

لمّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ
أفْنَـــى أعاديَـــه لا زالَ منصورا

تغـــايَرَتْ أدواتُ النّطقِ فيكَ عـــلى
ما يصنَعُ الناس منظومـــاً ومنثورا

الزاي :

لمّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ
قامَتْ معـــاذير من في وصفهِ عَجزا

تغـــايَرَتْ أدواتُ النّطقِ في مِدَحٍ
ما حال من دونهـــا عِيٌّ ولا حَجَزَا

السين :

لمَّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ

أزال أطمـــاعَ باغي شأوِهِ الياسُ

تغـايرَتْ أدواتُ النُّطقِ فيكَ عـلى

وصفٍ تَنَوَّعَ في إحسانـهِ الناس[١٤٠]

الشين :

لمَّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ

ساسَ الأنـامَ فما حابَى (١) ولا حاشا

تغـايرَتْ أدواتُ النُّطقِ فيكَ عـلى

وصفٍ يواصلـهُ الإنسان ما عـاشا

الصاد :

لمَّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ

غالي الثنـاءِ بما يأتيـه مُرْتَخَصُ

تغـايرَتْ أدواتُ النُّطقِ فيكَ عـلى

وصفٍ له فيمَحَلِّ المُشْتَري حِصَصُ

الضاد :

لمَّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ

لا يبلغُ المـدحُ في استحقاقهِ غرَضا

---

(١) في الأصل : حابا ·

تغـــايَرَتْ أدواتُ النُّطقِ فيكَ عـــلى

مايصنَعُ الناسُ منــدوباً ومُفْتَـرَضـا

الطاء :

لمّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ

يبغي بأفعالـــــهِ تقوى الإلـــــه فَقَطْ

تغـــايَرَتْ أدواتُ النُّطقِ فيكَ عـــلى

ما يصنَعُ الناس منّا ليس فيه سَقَطْ

الظاء :

لمّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضَ أجمَعِهـا

بالحق إذ كـــانَ من يعــدوك محظوظا

تغـــايَرَتْ أدواتُ النُّطقِ فيكَ عـــلى

غُرٍّ المَغَـــــاني (١) بلفظٍ ليس ملفوظا

العين :

لمّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ

غـــــدا الملـــــوكُ له جُنــــــداً وأتباعا

تغـــايَرَتْ أدواتُ النُّطقِ فيكَ عـــلى

ما يصنـــــع الناسُ إعرابـاً وإبــــداعا

---

(١) كذا وردت ، ويبدو أنها المعاني .

الغين :

لمّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضَ أجمَعِهـا
وقلتَ ما لم يَنَـــلْ مَلِكٌ ولا بلغا

تغـايرَتْ أدواتُ النّطقِ فيكَ عـلى
وصفٍ تنافس في إحكامــهِ البُلَغا

الفاء :

لمّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ
أعطى ، فقال العِدا : قد زاد في الشّرَفِ

تغـايرَتْ أدواتُ النّطقِ فيكَ عـلى
صفاتِ ما حُزت من فخرٍ ومن شَرَفِ[١٤١]

القاف :

لمّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضَ أجمَعِهـا
وحزتَ ما جُزْتَ فيه كـــلَّ مخلوق

تغـايرَتْ أدواتُ النّطقِ فيكَ عـلى
وصفٍ صنيعٍ بديـعٍ غـــير ملحوق

الكاف :

لمّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ
جَلَّتْ مفـــاخرهُ لمـا غـــدا ملكا

تغـــايَرَتْ أدواتُ النُّطقِ في مِدَحٍ

وفي دعـــاءٍ مَلأْنَ الأرضَ والفلَكا

اللام :

لمَّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ

جَلَّتْ مفاخرهُ في القَول والعَمَلِ

تغـــايَرَتْ أدواتُ النُّطقِ فيكَ عـلى

وصفٍ يُقَصِّر عنـــه منتهى الأمـلِ

الميم :

لمَّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ

غـدا به العـــدلُ بين الخلق مقسومَا

تغـــايَرَتْ أدواتُ النُّطقِ فيكَ عـلى

ما يصنَـــعُ الناس منثوراً ومنظـومَا

النون :

لمَّا غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ

جَلَّـت مفـــاخره في السِّر والعَلَنِ

تغـــايَرَتْ أدواتُ النُّطقِ فيكَ عـلى

وصفٍ بليـغٍ يُحَلِّي عاطـلَ الزَّمنِ

الهاء :

لئن غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ
ركنُ الأعـــادي بماضي عزمِهِ واهِ
تغـايرَتْ أدواتُ النُّطقِ واتفقت
مـع التغايـر في ذكـرى شهنشاهِ

الواو :

لئن غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ
يزهى به الخلق فيمـا عاينوا وَرَوَوْا
تغـايرَتْ أدواتُ النُّطقِ فيكَ عـلى
ما يصنعُ الناسُ فيما أظهرُوا ونَوَوْا

الياء : [١٤٢]

لئن غَدَوْتَ مليكَ الأرضِ أفضل مَنْ
غـدا بمعروفِهِ مَيْت الرجـا حيًّا
تغـايرَتْ أدواتُ النُّطقِ فيكَ عـلى
منـاقبٍ ليس يخشى نَشْرُهـا طيًّا .

فقد جمَعَ ذلك غايةَ ماتبلغهُ عِدَّة التغيير ، وعَفْوَ ما يقتضيه هذا المَعْزَى من التبيين والتعبير ، وهو ، وإن كان بعضُه يتميَّزُ عن بعض ، فإنَّهُ عاجل اجتهاد المملوك في أداء اللازم الفرض . على أن

هذا الغرضَ المَقْصودَ كثيرُ الشَّعْبِ (١) ، والوصول إليه من العزيز العَسير الصَّعْبِ فإنْ أتى غير مُعْجِبٍ فلوعورة مَطْلبِهِ ، وإنْ أبى إلا جودةً فلسَعادةِ من خَدَمِ به .

ومن ضُرُوب التعبير التي دعَت الاستحسان فلبَّاها ، وفَخَرَ بها مُبدعها وباهى ، ما يُنْشَد مرفوعاً ومنصُوباً كقوله :

إذا طـــالَ النَّهـــار عَـلَيَّ يوماً
دعوت لـــه فقَصَّـره ريـــادُ (٢)

حـــديثٌ يَعْجَبُ الحُكَمَاءُ منـــه
ويُونِقُ حـــين يسمعـــه الفؤادُ (٣)



في ذِكْرِ خيمة الفَرَج

لمَّا خَرَجتْ أوامرُ مولانا ـ ثَبَّتَ اللهُ دولته ـ بإنشاء خيمةٍ للنظر ، وعمــلِ فازةٍ تتكفَّلُ بمصالح البدو والحضر ، امتُثِلَتْ مراسِمُه السامية في إنشائها [١٤٣] ووقعَت المُسَارَعة إلى انتهاج تخيلاته واحتذائها ، فجاءت تُوفي في الجلالة على إيوانِ كسرى ، وظلّت الأبصار في أرجائهــا الفسيحــة خاسئة حَسْرى ، إذ كانت مناسِبَةً لأمثالها من المنازل الشريفة في الاتساع ، ومجانِســةً لأنظارها من المقامات الكريمة في السُّمُوِّ والارتفاع ، وتَضَمَّنَتْ من صُوَرِ

(١) الشعب : البعد والبعيد (القاموس) .
(٢ـ٣) ذكر فوقها رواية النصب ، وهي : ريادا ، الفؤادا ..

ناطقِ الحيوان وصامته ما أحاط بالحُسْنِ واستولى على غايته ، تخالها حومةَ وغًى لما اجتمع فيها من المقانب والجيوش،أو بيداءَ لامَحِيص عنها لأنواع السِّباع والوحوش ، قد حَوَتْ آفاقُها مُتَضَادّةَ الحيوان بلا أذىً ولا ضَيْر ، فكأنَّهُ فيها سليمانُ وقد حُشِر له جنودُهُ من الجنِّ والإنس والطَّير ، وفي يوم إظهارها ونَصْبِها ، واستقرار جلوسه الأشرف الأسْنى بها ، وهَبَ الأموال الجمَّة ، وعَمَّ بالإحسان الأُمَّة ، ونشر الرأفة والرحمة ، وسامَحَ بالكبائر والعظائم ، وصفَحَ عن الجرائر والجرائم ، وأنعَمَ بما لم يُنْعِم به أحَدٌ من ملوك الدهر ، [١٤٤] واستخلص الضمائر بالدعاء له في السِّر والجَهْر ، فتضوَّعَت بالأرض (١) من الثناء عليه بأعطرِ أَرَج ، ووَقَعَ الاتفاق على تسميتها بخيمة الفَرَج ، ووَصَفَهَا الشُّعَرَاءُ وَصْفاً أجادوه وأحكموه ، وأحسنوا فيما صنعوه منه ونظموه :

فمن ذلك قول ابن الحَوَّاري :

وبَنَى للمَجْدِ فوقَ السبعةِ الأفلاكِ فازَه
لو رأى كسرى سَنَاها صَاحَ إعجاباً بها : زَه

ومن تأمَّلَ هذا الشعرَ البديعَ ، وتَدَبَّر هذا التركيب الصَّنيع ، وجَدَ فيه مالا يأبى استحسانَهُ طبعُ سامعٍ ، وعلم أنه مما لا يظفر به كلُّ طامع .

وقد استحسنوا هذه اللفظة ــ أعني: زه ــ في قول الأول ــ وهو مما يُتَغَنَّى به :

---

(١) كذا وردت .

في مثل هذا يَحْسُنُ البلوى ليس على عاشقٍ ذا عَدْوَى

وكـلٌّ من أبصرَهُ قال لي زه يافتى تَحسِنُ أن تَهْوَى

فإذا كانت مع ضعفها في الحَشْو مستجادةً مستحسنةً ، فما الظن بها وقد أتَتْ قافيةً قوية متمكِّنَةً ؟ وعلةُ فضيلة التقفية أنها أقصَى ما يحصره الوزن ، [١٤٥] وآخر ما يلقاه السَّمْع ، وبهذا احتجَّ مُفضِّل المقاطع على المطالع ؛ فإذا كانت القافيةُ مدى الشعر ، ومُنتهَى حَدِّه ، وغايةَ ما يبلغه مما لا مطلبَ من بعده ؛ فلا غَرْوَ أن تكونَ مدَحُ مولانا إذا تَؤُمِّلَتْ قوافيها مُشْتَمِلةً عـلى الألفاظ التي لا تحسُن في شيءٍ حُسْنَهَا فيها ؛ إذْ كان آخرَ ملوك الدنيا وقتاً وزماناً ، وإنْ كان أوَّلهم شرفاً ومجداً وسلطاناً :

تُسبِقوا لنا نَسْقَ الحساب مقـدماً

وأتى ــ فـذلك ــ إذ أتى متأخِّراً

ولهـذا فُضِّل البيتُ الـذي يكـون المستحسنُ في آخـر أجزائه ، على البيت الذي يَتَضَمَّنُهُ حَشْواً في تضاعيفه وأنحائه . على أنَّ من الحشو مالا تخفَى بَهْجَتُهُ ، ولا تُجْحَدُ فضيلَتُهُ .

حضر المملوك يوماً بين يدي الشيخ الأجـل أبي الحسن بن أبي أسامة فجرى ذكر الحشو في الشعر فأنشدَ لأبي الشيص (١) :

حُلِّي عِقال مطِيَّتي ــ لا عن قِلىً ــ

وامضِي فإني ــ يا أميمـةُ ــ ماضِ (٢)

(١) هو محمد بن عبد الله بن رزين الخزاعي ابن عم دعبل بن علي الخزاعي.

(٢) البيت في طبقات ابن المعتز : ٧٣ ، ومعه بيت بعده هو :

وقال : قوله : لا عن قِلًى ، فضلة لا يفتقر المعنى إليها فلهذا سُمِّيَتْ حشواً ، وقد جاءَتْ في الحُسْن على ما ترى . [١٤٦]

ولم يكن المملوك تَنَبَّهَ على ذلك من البيت وإنْ كان من حِفظِه فاعتَدَّهُ من فوائد مجلسِه ، وأضافهُ إلى ما أخَذَهُ عنه من نظائره ، وأنشده المملوكُ قولَ ابن حيّوس (١) :

وجــادَ (٢) بنفسٍ لا يجودُ بمثلها
مــع العلــم بالعُقْبى نبيٌّ مُقَــرَّب

إذ كان قوله : مع العِلم بالعُقْبَى ، من أحسن ما جاء في هذا الباب .

ولم يذكر ما جاء من الحشو : بحاشا ، وما تصرَّف منها نحو قول المتنبّي (٣) :

اثنان لا تصبو النســاء إليهمــا
ذو شيبةٍ ومخــالف الانفــاض

(١) ديوانه : ١/٤٠ .
وهو من قصيدة يمدح بها ناصر الدولة ابن حمدان ومطلعها :
لكــم أن تجوروا معـرضين وتغضبوا
وعادتكــم أن تزهــدوا حين نرغب

(٢) الديوان : وجُدْتَ .

(٣) ديوانه : ٤/٢٩٠ .
والبيت من قصيدة يمدح بها كافوراً ، ومطلع القصيدة :
كفــى بك داءً أن تـرى المـوت شـافيـاً
وحسب المنــايا أن يكُــنَّ أمــانيــا

ويَحتقِرُ (١) الدُّنيا احتقارَ مُجرِّبٍ

يَرَى كلَّ ما فيها ـ وحاشاك ـ فانيا

وقول الآخر :

مواهِبُ شَتَّى لو عَدَتني ـ وحُوشيتَ ـ

كفاني ما أحرزته مُتَسلِّفَا

وقوله :

ولو أنَّ ياجُوجَ استعانوك مُرشداً

وحُوشيتَ من إرشادهم خرقوا [.....](٢)

لأن ذلك مما أكثر الناسُ فيه ، فلا لذَّةَ في المحاضرة به .

ومن مليح الحشو قولُ نُصَيب (٣) :

فكِدتُ (٤) ـ ولم أُخلَق من الطَّير ـ أنَّني

أُعارُ جناحَي طائرٍ فأطيرُ

---

(١) الديوان : وتحتقر .

(٢) كلمة غير مقروءة في الأصل .

(٣) ديوانه : ٩١ . ومعه بيت آخر قبله هو .

أتصبر عن سعدى وأنت صبور

وأنت بحسن الصبر منك جدير

(٤) في الحاشية : (وددت) ويبدو أنها رواية ثانية . والبيت في الديوان :

وكدت ولم أخلق من الطير أن بدا

سنا بارق نحو الحجاز أطير

فقوله : ولم أُخْلَقْ من الطير ، من مستحسَنِ ما أتى من هذا النوع .

وقولُ عوف بن مُحَلِّم لعبد الله بن طاهر (١) : [١٤٧]

إنّ الثمانين ـ وبُلِّغْتَهَا ـ
قد أحوجَتْ سمعي إلى تَرجُمان

على أنّ قوله : وبُلِّغْتَهَا ، معدودٌ في الالتفات عند قوم ، وفي التتميم عند آخرين .

وقول ابن المعتزّ (٢) يَصِفُ خيلاً :

صَبَبْنَا عليها ـ ظالمين ـ سِيَاطَنا
فَطارتْ بها أيدٍ سراعٌ وأرجُلُ

فقوله : ظالمين ، من بديع الحشو .

---

(١) البيت في طبقات ابن المعتز : ١٨٧ ، وهو من قصيدة يخاطب بها عبد الله بن طاهر بن الحسين وقد أذن له بالقفول الى بلده بعد صحبة دامت أكثر من ثلاثين عاماً مع آل الحسين ومطلع القصيدة :

يابن الذي دانت له المشرقان ... وأُلبِس الأمن به المغربان

إن الثمانين و ....

والبيت في تاريخ بغداد : ٩/٤٨٦ ، وفي فوات الوفيات : ٣/١٦٤ .

(٢) ديوانه : ٢/٣٦٤ وهو من قصيدة مطلعها :

أهاجك ـ أم لا ؟ ـ بالدويرة منزل
يجد هبوب الريح فيه ويهزل

وقول مهيار (١) :

وكم – ثَمَّ – من مُسْترزقٍ حَلَفَتْ له
لُهاكَ – وَبَرَّتْ – أنَّهُ لا يُخَيَّبُ

فقوله : وبَرَّتْ ، لَفْظَةٌ يتمُّ المعنى دونها إلا أنَّهُ تَبَرَّعَ بها ، فتضاعَفَ المدح بسَبَبِها .

وقوله (٢) :

لَوَ انَّ الورى أهلي لكنْتُ وأنتَ لي
أَقومُ بهم مستظهراً وأَمْو [نُ] (٣)

فإحسانه بقوله : مستظهراً ، مما لا يستطيع أحَدٌ جحدَهُ ، ولا يَسُدُّ غيره مَسَدَّه .

وقوله (٤) :

---

(١) ديوانه : ١/١٤٥ .
وهو من قصيدة يمدح بها الوزير عميد الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم ، ومطلعها :

عزفْتُ فما أدري الفتى كيف يرغَبُ
وعفتُ فما أشكو القذى كيف يُشْرَبُ

(٢) ديوانه : ٤/١٦٤ ، وهو من قصيدة كتب بها الى حضرة ناصر الدين أبي القاسم بن مكرم .
(٣) النون ساقطة في الأصل والتكملة من الديوان .
(٤) ديوانه : ١/١٣٢ ، من قصيدة يمدح بها كمال الملك ، ويهنئه بالنيروز ، ومطلعها :

لكِ الغرامُ وللواشي بكِ التَّعَبُ
وكلُّ عَذْلٍ إذا جَدَّ الهَوَى لعِبُ

عِزّي بنفسي ولكــــن زادني شــرفاً

أني إليكـــــم إذا باهلْــتُ أتسِبُ

فأبدع بقوله : إذا باهلتُ ، لأنها أفضل ما ورد مع النسب .

وقول ابن أبي الشَّخْباء :

يُصَرِّفُ الأمرَ في الآفـــاق خاتمُه

ويصبح الــدهرُ طوعاً وهو خادِمُه [١٤٨]

فقوله طوعاً ، ممّا تَطَوَّع به فأغْرَبَ ، وأتى منه بما أعجَبَ به وأطْرَب . ونظائرُه كثيرة .

ومن مليح ما قيــل في الخيمةِ المنصورةِ قول ابن زيــدُ الأنصاري (١) :

أخيمــةٌ ما نَصبْتَ اليومَ أم فلكُ

ويقظـــةٌ ما نراهُ منك أو (٢) حُلُـمُ

ما كان يخطرُ في الأفكـــار قبلكَ أنْ

تسمو عُلُوّاً على أُفقِ السُّهَا الخِيَمْ

حتى أتيتَ بهـــا شَمَّاءَ شاهقــةً

في مارنِ الدَّهرِ من تيــهٍ بها شَمَمُ

(١) هو حسن بن زيد الأنصاري ، مــن شعراء الخريدة (قســم مصر) ٢/٦٨ ــ ٦٩ ، والأبيات جميعها هناك إلا البيت السادس .

(٢) في الخريدة : أم .

إنَّ الدليلَ على تكوينها فلكاً
أَنِ احتوَتْكَ وأنت الناسُ كلُّهُمُ

والطيرُ قد لزِمت فيها مواضِعَها
لمّا تحقّقْنَ منها أنّها حَرَمُ

تغدو القَماريُّ والبازيُّ يحفَظُها
كأنّما بينهم في جَوِّها رَخَمُ

كأنها جَنَّةٌ فالقاطنون بها
لا يستطيل على أعمارهم هَرَمُ

إنْ أنبتَتْ أرضُها زهراً فلا عَجَبٌ
وقد هَمَتْ فوقها من كَفِّكَ الدِّيَمُ

وقول الآخر (١) :

عزّتْ على الشعراءِ مِدْحَةُ خيمةٍ
فوقَ النجوم أساسُها أشطانُ

لمّا مَثَلْتُ بها ظننتُ بأنّها
دارُ الخلود أباحها رضوانُ

مِمّا عارَضَ المملوكُ فيه من سبقه ، وبعثه على إيراده رضى من استجادَهُ واستوفقه .

---

(١) ورد في الحاشية أنه محمد بن حيدرة الحسيني .

قد بالغ الناسُ في استحسان قول ابن سورين فيما كَتَبَ به عن الإمام الحاكم بأمر الله عليه السلام الى عامل القدس في إخراب قمامة وهو :

صِرْ إلى قمامة ، فاجْعَلْ طُولها عَرْضاً ، وسماءها أرضاً .

[١٤٩] واتفق للملوك لما سَمِعَ هذا الفصل أن استحسنَهُ ، واستجاده على حَسَبِ ما أمكنَهُ ، فلم يقنع موردُه بما وصَفَهُ به وقرَّظَهُ ، فاعتَمَدَ في تكثير المدح ما أثقل السَّمْعَ وبهَظَهُ ، فقال الملوك :

لو قال صِرْ إلى قمامَة فأزِلْ باطلها ، واجْعَلْ عاليها سافلها .

أو قال : فَعَفِّها بالمَحْوِ والطَّمس واجْعَلها حَصيداً لم تَغْنَ بالأمْسِ ، لكان أشرف لترصيعِهِ اللفظَ بالقرآن ، وترتيبهِ المعنى في أعلى طبقاتِ البيان .

فقال راوي فَصْل ابن سورين : فَضيلةُ هذا الفصلِ قِلَّةُ حُرُوفِهِ ، وفرطُ إيجازِهِ ، وإنَّ من تَحَدَّي به عَلِمَ حقيقةَ تَعَذُّرِهِ وإعجازه .

فقال الملوك : أنا أذْكُرُ هذا المعنى بلفظٍ أصنعَ(١) وأقْصَرَ ، ومعنىً أجْمَعَ وأحْصَرَ ، فَطُولِبَ أنْ يُوَفِّي الضمان ، وقيل له : من تَقَضْ مان ، فقال مالا موضع فيه لحذفٍ ولا سبيل إلى تحقيقهِ بحركةٍ ولا حَرْفٍ ، مع استيفاءِ المعنَى ، وأنَّ أحداً لا يجد فيه طعناً . وهو :

---

(١) في الأصل : اصنع .

صِرْ إلى قمامة ، فعجّل لها القيامة • [١٥٠]

فَفُضِّلَ هذا الفصلُ على الأول أضعافاً ، وبُولغ في وصفِهِ إلى أنْ تفادى المملوكُ وتعافى ؛ وعِلَّةُ ذلك أن هذه الأيام الشريفة التي فَخَرَتْ بمالكها على غيرها من العُصُور ، وخرجَتْ فَضَائلُها عن المَحدود المَحْصُور ، قدفاضَتْ أنوارها على كُلِّ عَالمٍ ومُتَعَلِّمٍ ، وسَرَى شعاعُ سَعْدها إلى كلِّ ناطقٍ ومتكلِّم ، ولمَّا اتَّفَق كونُ هذا الفصل في التعفية على مُتَعَبَّدِ أهل الشرك ، وتدمير ما يصنعونَهُ فيه من الضَّلال والإفك ؛ اختصَرَهُ مملـوك مولانا كما اختصرت مَشْرَفِيتُهُ أعمارَهُم وآجالَهُم ، وضَيَّق فيه عـلى مقتفيه كما ضيقَتْ هيبتُهُ منفسحَهُمْ ومجالَهُم ، عملاً بالتهذيبات المالكية [عـلى ما اقتضتهُ الشيمة الفاضلة] (١) ، وتأدباً بالتثقيفات الأفضلية بحسب ما وصلَتْ إليه آلتهُ القابلة ، واللهُ يمدُّ ظلَّها فهو أفضل موجبات هذه الـدنيا وأسباب وجودها ، ومُوزِعُ الكافَّة شُكْرَ النعمَةِ فيما غمرهم من كرمها الفائضِ وجُودها ، بفضلهِ وقدرتهِ وطَوله ومشيئته •

فَصْــلٌ

من نادر ما جاء في بابه
وأقوى دليل على إبداع قائله وإغرابه

قال أبو عبـــد الله التميمي اللغـــوي المعروف بالقزَّاز (٢)

---

(١) الزيادة في حاشية النسخة •

(٢) هو محمد بن جعفر النحوي اللغوي المعروف بالقزاز القيرواني ، كأن في خدمة ابن المعز العُبيدي صاحب مصر ، وصنف له كتباً (انظر وفيات الأعيان : ٤/٣٧٤) •

لبعض تلاميذه :

أحاجيك عيـــادٌ كزينـــب في الورى
ولـــم تَئِوتَ إلا من صديقٍ وصاحب

فأجابه :

سأكتـــم حتى ما تُحِسُّ مـــدامعي
بما انهلَّ منها من دموعي السَّواكب

فكان تصحيف : عياد كزينب ، بعد عكسِهِ : سرُّك ذائع ، وقال الآخر : سأكتمُ ، فأجاب على الظاهر إجابةً حَسَنَةً ، وتصحيف : سأكتمُ ، بعد عكسِهِ : منك أُتيت ، وفيه مقابلة لقوله :

ولم تَئِوتَ إلا من صَديقٍ وصَاحبِ

والمملوك يقول : معجز هذه الحكاية أنَّ المجيب ذَكَرَ كلمةً كلٌّ من مستقيمها وتصحيفِ معكوسِهَا جوابٌ لما حُوجي به .

وتسمية هذا النوع المُحَاجَاة لدلالة الحِجى عليه .

وعلى ذكر التصحيف فمن بديعِهِ : تَصَحَت فضيَّعت ، وهو تصحيف صعب . وقولهـم فيما يُصَحَّفُ بعد عكسه : أُذْناه جرح يسيل .

وهذا : ليس يحرجه أبداً . [١٥٢]

فصـــول

تَشْتمل على ضُروبٍ أبدَعَ البُلَغاءُ فيها وأحْسَنوا . وتَنَوَّعوا في أصْنَافِها وتفنَّنُوا في خُدَعِ البيان وتَمْويه الفصاحة

حكى حسن بن محمد البَسَّامي قال : رأيتُ علي بن با منصور الديلمي (١) ، وكان من مفاخر الديار ، وله شعرٌ يدلُّ على غَزارةِ أدبهِ ، وحُسْنِ طريقتهِ في النظم ومَذْهبهِ كقوله :

ترى في ابيضاض الكأسِ حُمْرة خَدِّه
فَتَحسبُها مَلأى ولا شَيءَ في الكأسِ

قال البَسَّامي : وكانت رؤيتي إياه بحمْصَ جالساً على بعض الدكاكين ، وكان أَعْوَرَ ، فاستثقلْتُ شخصَهُ ، وقيل لي : إنه شاعرٌ فأردتُ العبثَ به فقلتُ : أيها الشاعر ، عمِلْتَ في عَوَرِكَ هذا شيئاً ؟ ، وانتظرت أنْ ينقطعَ ويخجلَ ، فقال : نعم ، وأنشدني :

لستُ آسَى لفقــدِ إنسان عيــني
وجميــعُ الجمــالِ في مُعْتَاضِهِ

---

(١) في وفيات الأعيان : ٣/٢٤٧ : علي بن منصور الديلمي أبو الحسن ، أو أبو منصور الديلمي ، وكان أبوه من جند سيف الدولة بن حمدان ، وكان شاعراً مجيداً خليعاً .

وحبيـــبي من مُقْلتي أخــــذ الخا
ل وأعطـــى سوادَها من بياضــه

فاقْشَعَرَّ بَدَني منــهُ ، وعلمتُ أنّهُ من الصيد الـــذي لا يحِلُّ أكلُهُ !

وحُكي عنه أنه تعشَّق صبياً أعورَ فقال فيه : [١٥٣]

له عينٌ أصابَتْ كلَّ عينٍ وعينٌ قد أصابَتْها العيونُ (١)

قال بعضُ الفُضَلاء : أظنُّهُ قال هذا الشِّعرَ لمّا اعْتَنَّ معناه في نفسه ، ثم طلَبَ أعور يَعشقه ليجعَلَهُ مَعرِضاً لقوله ، فقد هوَّن بفصاحته المستكرهَ ، وحَسَّن ببلاغته المستقبَح .

ومن أحسن ما جاء في ذلك ما ذكرَهُ التميمي في سيرة الحَجّاج من أنَّ عبد الملك بنَ مروان أمر بعمل بابٍ في بيت المقدس يُكْتَبُ عليه اسمُه ، فسأله . الحَجّاج أنْ يأذَنَ له في عَمَل باب أيضاً ، فأذن له ، واتّفَق أنْ وقَعَتْ صاعقةٌ احترَقَ فيها بابُ عبد الملك ، وسلـــم بـــاب الحجـــاج ، فعظـــم ذلك عـلى عبـد الملك فكتبَ الحجاجُ إليه : بلغني أنَّ ناراً نزلَتْ من السَّماء فأحرقَتْ بابِ أمير المؤمنين ، ولم تحرق بابَ الحجاج ، وما مَثَلُنا في ذلك إلا كمَثَلِ ابنَيْ آدم إذْ قَرَّبا قُرْباناً فتُقُبِّل من أحــدهما ولم يُتَقَبَّلْ من الآخر ! فَسُرِّي عنه لمّا وقَفَ على الكتاب .

وكان طاهرُ بن الحسين وهو في قتالِ المخلوع [١٥٤] قد جعَلَ دراهمَ للصَّدقة في كُمِّهِ ، ونَسِيَها ، فأسْبَلَهُ ، فتبدَّدت الدراهم

---

(١) البيت في وفيات الأعيان : ٣/٢٤٧ .

ـ وهو لا يعلم ـ فلمّا ذكرها تَطَيَّر من ذلك ، فأنشده أحدُ الشعراء :

هذا تَبَدُّدُ جمعِهِمْ لا غيرُهُ
وذهابُها عنكم ذهابَ الغَمِّ

شيءٌ يكون الهَمُّ نصفَ (١) حروفهِ
لا خَيْرَ في إمساكهِ في الكُمِّ !

وذكَرَ المملوكُ بالبيت الثاني قولَ محمد بن أبي سعيد ، أحد المحدثين :

أَلا رُبَّ شيءٍ فيه من أَحْرُفِ اسمِهِ
نواهٍ لنا عنهُ وزجرٌ وإنذارُ

فَتِنَّا بدينارٍ وهِمْنا بدرهمٍ
وآخِرُ ذا هَمٌّ ، وآخِرُ ذا نارُ

وكان خالد بن يزيدَ بنِ مزْيَد تَقَلَّد المَوْصِلَ في أيام المأمون ، فلمّا دَخَلها مَرَّ بأول دَرْبٍ منها اندَقَّ اللّواء ، فاغْتَمَّ لذلك ، وعَظُم عليه ، فقال مروان بن محمد المعروف بأبي الشمقمق بديهاً (١) :

(١) في الأصل : نصفُ .

القصة والأبيات في طبقات ابن المعتز : ١٢٩ ، ورواية الأبيات هناك :

مَا كانَ مُنْدَقُّ اللـــــواءِ لريبـةٍ

تُخْشَى ، ولا صرفٍ يكون مُعَجَّــلا

لكنَّ هـــــذا الرمـحَ ضَعَّفَ متنَهُ

صِغَرُ الولايـة فاستَقَلَّ المَوْصِلا !

فكتَبَ صاحبُ البريـد بخبرِه إلى المأمون ، فزادَهُ المأمون ديار ربيعة ، وكتَبَ إليه : هذا لتضعيف المَوْصِل مَتْنَ لوائك ، فأعْطَى خالـد أبا الشمقمَقِ عَشْرة آلافٍ منهـم وشخَصَ إلى ديار ربيعة . [١٥٥]

فقوةُ البَراعَة حكمَتْ بالاقتدار على مَدْح ما عادَتُه أنْ يُذَمَّ . وجودَةُ العبـارة ختمَتْ باستحسان ذمِّ ما عادتُه أنْ يُمْدَح ، كما قال عبد الله بن التوأم يذُمُّ النخلةَ التي طاب جناها ، وزاد نفعُها وتناهَى : إنها صَعْبَةُ المُرْتقى ، مَهُولة المُجْتَنَى ، بعيدة المَهْوى ، حسنة المس ، قليلة الظل .

وكما حُكِيَ عن سَهْل بن هرون من أنه عمِدَ كتاباً يمـدح فيه البخلَ ، ويَذُمُّ الجود ، لِيُرِيَ بلاغَتَهُ ، وطولَ لسانِه ،

←

مـاكـان مُنـدَقَّ اللــواءِ لــريبةٍ

تُخشى ولا سـببٍ يكـون مُـزَيّلا

لكـــن رأى صـغر الـولاية فانثنى

مُتَقَصّداً لـمـا استقـلَّ الـموصلا

وأهداه إلى الحسن بن سهل (١) . إلا أن الحسن وقّع عليه : لقد مدحت ما ذمّه الله ، وحسّنت ما قبّحه الله ، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معناك ، وقد جعلنا ثوابك عليه قبول قولك فيه . ولم يعطه شيئاً .

وقد اعتمد جماعة من البلغاء مدح الشيء وذمّه إظهاراً لاقتدارهم ، وإبانة عن محلّهم ومقدارهم ، وعملاً بقول القائل :

ما من شيء إلا وله وجهان، فالمادح يذكر أحسنهما ، والذام يذكر أقبحهما . [١٥٦]

وقد رُوي عن عيسى ــ عليه السلام ــ أنه مرّ هو وأصحابه على كلب ميّت فقال بعضهم : ما أنتن ريحه ، فقال عيسى ــ عليه السلام ــ : ما أشدّ بياض أسنانه . فسلّم لعائبه ما ادّعاه من مساوئه ، وذكر من محاسنه ما لم ينازعه فيه .

والمملوك يقول : إنّ من أبدع الكلام قول الحكيم: لا عشت ليوم أمدح فيه ما ذممته ، ولا أذمّ فيه ما مدحته ؛ ذلك يوم ظفر الهوى بالرأي .

---

(١) في البخلاء للجاحظ : ٩ ، رسالة لسهل بن هارون في الاحتجاج للبخل ، ولكنه كتبها لمحمد بن زياد والي بني عمه من آل زياد ، ولكن المحقق ذكر أن النصوص في ذلك مضطربة ، وأن ابن النديم ذكر أنها كُتبت للحسن بن سهل ، وقد رجح المحقق أن تكون هذه الرسالة واحدة أخرى غير التي جاءت في البخلاء (انظر البخلاء : ٢٧٠) .

ومما يُلْحَقُ بهذا الباب

أنْ يأتي ذمٌّ لا تكون المبالغة فيه إلا باللفظ الذي يكون مدحاً لغيره، كقوله:

شاهين موسى وإنْ أَرْضَتْكَ عِفَّتُهُ
أبَرُّ منه وأتْقَى بازُ عِمرانِ

وبازُ مالانَ لا تنجو طريدتُهُ
ولو أتَتْ بأمانٍ من سليمانِ

فالعِفَّةُ والتُّقَى مبالغةٌ في ذمِّ الجوارح، وهما من أفضل ما يُمْدَحُ به غيرُها.

في تناوب الأعضاء

وهو مما يدلُّ على تجويد الشاعر وقوَّةِ تَصَرُّفِهِ، [١٥٧] ومَضاءِ خاطرِهِ وقلَّةِ تَوَقُّفِهِ، ومن أحسن ما جاءَ في ذلك قولُ أبي الطَّيب (١):

وجَحْفَلٍ (٢) سَتَرَ العيونَ غُبَارُهُ
فكأنَّما يُبْصِرْنَ بالآذانِ

---

(١) ديوانه: ٤/١٧٦.

من قصيدته المشهورة في مدح سيف الدولة:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أولٌ وهي المحل الثاني

(٢) في الديوان: في جحفلٍ.

وقوله (١) :

كأنَّ الهـــامَ في الهَيْجَا عيـــونٌ
وقــد طُبِعَتْ سُيُوفُكَ من رُقَادِ

وحكى ابن رشيقٍ قال: جَلستُ يوماً إلى ابن حديدة الشاعر وأنا سكرانُ ، فسألني عن حال المكان الذي خرجتُ منه ، فَوَصَفْتُهُ ، وأفْضَى بي الحديثُ إلى ذكر غـُــلامٍ كان ساقياً ، فقلــتُ في درجِ الكلام (٢) :

فشربتهــا من راحتَيْـ ـهِ كأنها من جَنَّتَيْهِ

وقلت : أَجِزْ ، فقال :

وشَمَمْتُ وردَةَ خَـــدِّه نظراً ونَرْجسَ مُقْلَتَيْهِ

فقلتُ : أحسَنْتَ ، وجَوَّدتَ شَمَّكَ بالنظــر ، كسماعِ أبي الطيب بالبصرِ حيث يقول (٣) :

---

(١) ديوانه : ١/٣٦٠ ، من قصيدة يمدح بها علي بن ابراهيم التنوخي . وأولهـــا :

أُحادٌ أم سداسٌ في أُحــادِ لُيَيْلَتُنَا المنوطَةُ بالتَّنادِ

(٢) القصة والشعر في ديوان ابن رشيق : ٢٢٥ ، وفي بدائع البدائه : ١٢٠ ، ويرد اسم ابن حديدة : آبا حديدة ، ولعله أبو العباس بن حديدة القيرواني الذي أورد له ابن ظافر الأزدي شعراً في بدائعه ، انظر : ١٢٦

(٣) ديوانه : ١/١٦٨ ، من قصيدة يمدح بها أبا الفضل محمد بن العميد . مطلعها :

بادِ هـــواك صَبَرْتَ أم لــــم تصبرا
وبُكَاك إن لــم يَجْرِ دَمْعُكَ أو جَرَى

خلفَتْ صفاتُكَ في العيونِ كلامَهُ

كالخط يملأ مِسْمَعَيْ من أبْصَرا

وهذا ـ وإنْ لم يكن من هذا الباب من كلِّ جهة ـ فهو من أولَى ما أُورِد معه .

وكذلك قولُ مهيار (١) :

خانَ بكاءُ العَيْنِ أجفانَهُ

فَناحَ ، والنَّوحُ بكاءُ الفَمِ [١٥٨]

لأنَّ النَّوحَ والبكاءَ ليسا عضوين :

ولابن رشيق في جوابِ كتاب (٢) :

أسمعْتَ عيني ما اشتهَتْ بلسان هاتيك اليَرَاعَةْ

وقولُ الشريف الرَّضِي (٣) :

عَزَّني أنْ أرى الدِّيارَ بعيني (٤)

فَلَعَلِّي أرى الديارَ بِسَمْعي

(١) ديوانه : ٣١٣/٤ ، وهو من قصيدة يمدح بها عميد الرؤساء أبا طالب ابن أيوب ، ويهنئه بالمهرجان ، ومطلعها :

عمي صباحاً بعدنا واسلمي يادار صفراء على الأنعم

(٢) لم نجد البيت في ديوانه .

(٣) ديوانه ٦٥٨/١ ، من قصيدة قالها عند دخول الحجيج الى مدينة السلام ، وأولها :
عارضاً لي ركب الحجاز أسائلـ ـه : متى عهده بسكان سلع ؟

(٤) في الديوان : فاتني أن أرى الديار بطرفي

وكان المملوك يوماً مع صديق له وهما سائران في الطريق ، فلقيهما ضرير ، فلمّا سَمِعَ وَقْعَ حوافر الدّوابّ ؛ جَعَل يتوقّفُ ويتحسّسُ ، وأخذ يتنصّتُ ويتجسّسُ ، فقال المملوك لرفيقه : تأمّلْ هذا الضّرير كيف يَتَبَصَّرُ بسَمْعِه ولم يكُنْ شيء من هذا الباب حينئذ على ذكره ، فاستجادَ العبارة ، واستَحْسَنَ الاستعارة .

ولأبي الطّيّب (١) :

خيرُ أعضائنا الرؤوسُ ولكن فَضَلَتْهَا لقصدِكَ الأقدامُ

والحسنِ بنِ عبد الصمد :

تُعطي وسمْعك بالملام مشنَّفُ
فكأنّ راحتَكَ الكريمةَ تَسْمَعُ

ولابن حَيّوس (٢) :

قوافٍ هي الخمر الحَلالُ وكأسُها
لساني ولكن بالمسامع تُشْرَبُ [١٥٩]

---

(١) ديوانه : ٤/٩٩ ، وهو من قصيدة يمدح بها علي بن أحمد المري الخراساني ، ومطلعها :

لا افتخارٌ إلا لمن لا يُضَامُ مُدْرِكٍ أو محاربٍ لا ينامُ

(٢) ديوانه : ١/٤١ ، وهو من قصيدة يمدح بها ناصر الدولة ابن حمدان ، ومطلعها :

لكم أن تجوروا مُعرضين وتغضبوا
وعادتكم أن تَزْهدوا حين نَرْغَبُ

وقد أجادَ ابن القُمِّي وزاد بقوله :

ولي سَنَةٌ لـم أدرِ ما سِنَةُ الكرَى
كأنَّ جفوني مَسْمعي والكرى العَذْلُ

ونظائره كثيرة .

قد قَدَّمَ المملوك في صَدْرِ هـذا الجزء اعتـذارَهُ في ذكر القليل وإيرادِهِ ، واحتجاجَهُ عـلى تَوَخّي اليسير واعتمادِهِ ، لما خُصَّ به المقامُ الأعظم ــ ثَبَّتَ اللهُ سلطانَهُ ــ من المهابة التي تحجز عن الإطالة ، وتمنـع من دواعي السآمة والملالة ، ولولا ذلك لتوسَّعَ فيما يجمَعُهُ ، واستكثر مما يصنعهُ ، تَقَرُّباً إلى مالكِهِ باجتهاده ، وحرصاً على تَطَلُّب الحظِّ وارتياده ، والله تعالى يقضي له بارتضاء خِدَمِهِ وإن كانت مختَصَرةً لطيفة ، ويجعـلُ السُّعودَ ــ أبداً ــ مُحْدِقَةً بمجلِسِ مالكِهِ مطيفةً ، ويوزِعُهُ شُكْرَ النعمة فيما نالَهُ من إحسانِه وشَمِلَهُ ، ويبلِّغُهُ في الخدمةِ الشريفة بغيَتَهُ ورجاءَهُ وأمَلَهُ ، بمنّه وطَوله وقدرته وحوله إن شاء الله عز وجل . [١٦٠]

(٥)

رِسَالةُ مُنَاجَاةِ شَهْرِ رَمَضَانَ



مُناجاة شَهْر رَمَضان (١)

أيامُ المواسم مُكَرَّمَةٌ مُفَضَّلَةٌ ، وأوقاتها مرفوعةٌ أعمالُها مُتَقَبَّلَةٌ ، بدليل فضل شهر رمضان عند منْ عَلِمه وعرفه ، وحصول الإجماع على ما شَرَّفَ الله تعالى به يوم عَرَفة ؛ فالصائمُ إذا نادى لَبَّاهُ اللهُ ــ سبحانه ــ وأجابه ، والمؤمنُ إذا ناجَى حَرَّم اللهُ رَدَّهُ ومنع حجابَهُ ، لأنه كَتَبَ على نفسه قبولَ ما كانَ له ــ جلَّ وعلا ــ فيه رضى ، وجعلَ فاعِلَ ذلك لا يخاف مخالفاً فيه ولا معترِضاً .

ولمَّا أهَلَّ شهرُ رمضان على المقام العالي المالكي السيديّ الأجلي الأفضلي الجيوشيّ ، سيف الإسلام ، ناصرِ الإمام ، كافلِ قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين ، عضد الله به الدين ، وأمتع بطول بقائه أميرَ المؤمنين ، وأدام الله قدرتَه ، وأعلى كلمتَه ، مؤذناً باتساع قدرةٍ تخدمها الأفلاك ، ومُبَشِّراً بانفساح مُدَّةٍ تخضع لها الأملاك ، وكانت الحضرةُ العالية المالكة ــ ثَبَّتَ الله دولتها ، ونَصَرَ ألويتها ــ مخصوصةً بالتوَفُّرِ [١٦١] على الخير والبر ، حَرِيصة على الطاعات في الجهر والسِّر ، متحقِّقَةً أنها الأفعالُ

---

(١) في الحاشية : (سنة تسع وخمس مئة) وهو فيما يبدو تاريخ كتابة الرسالة .

التي يُتَقَرَّبُ بها إلى الله تعالى ويُتَوَصَّلُ،والذرائع التي يُتَحرَّمُ بها عنده ويُتَوسَّلُ ، والدَّواعي إلى الثواب الجزيـــل في العاجلة والعُقْبى ، والمساعي التي من لزمها كان الله حِزْباً وللشيطان حَرْباً ، وقد عَلِمَتْ ــ خلَّد اللهُ مُلكها ، وأدام في أعداء الدين فتكَها ــ أنَّ المجتهدين في الأدعية اثنان : إمَّا سالكٌ في ابتهالـه مسلكَ الطالب الرَّاغب ، أو مُعَدِّدٌ في مُنَاجاته ما لله عنده من المنائح والمواهب ، ولا خلافَ أنَّ من عَدَّد الإنعامَ أفضلُ ممَّن طلبَهُ ، ومن اعترفَ بالإحسان آشرفُ ممَّن رامَهُ وخطَبَهُ ، وأنه لا حُجَّة لها على الله ــ عزَّ وجَلَّ ــ لأنه استخلَفَها عـلى البسيطَة لما كانَتْ أفضلَ الخلق ، وارتضاها لتدبير الخليقة لما هي عليه من العَمَل بالعدل ، والحُكْم بالحق ، وانتضاها مُحَامِيةً عن دينه الحنيف وتوحيده ، وشَرَّف اعترافها عن عدول الجاحد ومَحيده ، فأولى ما ناجَتْهُ به وصفُ نِعمــه التي لا تُحْصَى بعَدَدٍ ، وشرحُ مِنَحِهِ التي يلزَمُهَا ذكرها دون [١٦٢] كُلِّ أحد ، لأنها محظورةٌ على كافَّة أهل الأرض ؛ والناطقين فيها ، ومُحَرَّمَةٌ أنْ يتفَوَّه بها بشرٌ إلا أنْ يكونَ إيرادُهَا من شريف فيها . فلذلك خَدَمَ الملوك بهذه المناجاة التي عَظُم بها القَدْرُ عند الله تعالى والجاه ، وجعلها مشتمِلَةً على تَعْديد النِّعمة ، واستمطار الكرم والرحمة ، واللهُ تعالى يمدُّ عليه ظل مالكه ، ويُنْهِضُه بخدمته ، ويُديمُ على الدنيا والدين عزَّ سُلطَانه ، وبَهْجَةَ دولتــه ، بِفَضْلِه ، وطولِه ، وحولِه ، وقُدْرَتِه .

وهذا ابتداء المناجاة

ربِّ ! قد آتيتَني من الملك .

اللهم إنك قد فَضَّلتني عـلى بَرِيَّتِكَ ، ونصبتَني لتدبير خليقتك ، وارتَضَيْتَني محامياً عن كلمة توحيدك ، وعرَّضتني بذلك لمُضاعفتك النعمةَ عندي ومزيدك ، وخَصَصْتَني بما لم يَنَلْهُ ملِك" في قديم الإسلام ولا حديثه ، وجعلتني ممن يَتَّفِقُ كلُّ ناطقٍ في وصفه ــ جلَّ قولُه ــ وحديثه ، وعصمتني أنْ أجْحَدَ نِعَمَكَ [١٦٣] وأكفُرَهَا ، وألْهَمْتَني أنْ أهَبَ الجرائم وأغفِرَهَا ، ما لم يكُنْ ذلك حائلاً عن إقامة الحُدود ، أو حاجزاً عن الانتقام من أهل الشقاق والمُرُود .

اللَّهُمَّ إنك قـد حفِظْتَ بي من الـدين القَيِّم ما أضاعَهُ مُلُوكُ الوَقْتِ ، وجعلْتَ ذلك قاضياً لي بالمَحَبَّة وحاكماً عليهم بالمَقْتِ ، وحَبَوْتَني من الكافَّة بصفاءِ الضمائر وخُلُوصِها ، وساوَيْتَ بين سرائرهم في عُموم مشايعتي وخُصُوصها .

اللَّهُمَّ إنه قد أشْرَفَ هذا الشَّهرُ الشريف الذي فَضَّلْتَهُ على جميع الشهور ، ومَيَّزْتَهُ في مُتَقَادَمِ الأزْمِنَةِ والدهور ، وعَظَّمتَهُ بما أنْزَلْتَهُ في ذكرِهِ وَوَصْفِهِ ؛ فقلتَ في كتابك الـذي لا يأتيه الباطـلُ من بين يديه ولا من خَلْفِهِ : « شَهْرُ رَمَضَانَ الذي أُنْزِلَ فيهِ القُرآنُ هُدًى للنَّاسِ وبَيِّنَاتٍ من الهُدَى والفُرقان »(١) .

وجعلتَ فيه ليلة القَدْر التي لم تَزَلْ أعمالُ مَنْ أحياها إليك صاعِـدة ، والمخصوصة بنزول القرآن إلى سماءِ الـدُّنيا فيها جملةً واحدةً .

---

(١) سورة البقرة : ١٨٥

اللهم [١٦٤] فأعِنّي على صيامِهِ وقُنُوتهِ ، وأَنْهِضْني بما يَجِبُ له في أحيانِ ذلك ومَوَاقيتِهِ ، ووفّقْني لما يرضيك من عَمَلِ نهارهِ وليلهِ ، وأَذْهِبْ عني رِجْزَ الشَّيطان الذي يجلبُ على المؤمنِ برَجْلِهِ وخيلِهِ ، واجعل نَصِيبي من ثَوَابِهِ كمنزلتي من اصطفائك ، وحَظّي من أجرِهِ أجزلَ حَظٍّ مَنَنْتَ به على عَبيدك وأوليائك .

اللَّهُمَّ إنك أعلمُ بمصالحي منّي ، وإنَّ أَيْسَرَ جزءٍ من إحسانك يتجاوزُ غاية التَّمَنّي ، فبِحُرْمَةِ ما تعلَمُهُ من باطني وسَريرتي ، وما تَطَّلِعُ عليه من صِحَّةِ عقيدتي وطهارة نِيَّتي ، وما ألهَمْتَني إياه من بَثِّ العَدْل في الرعية ، والعَمَل بمرضاتك في هذه البَرِيَّة ، إلا مَدَدْتَ في عُمْري وأَصْحَبْتني التأييدَ في جَميع أمري ، وجَمَعْتَ لي الحُسْنَيَيْنِ في القولِ والعَمَل ، وبلّغْتَني في طاعتك غاية المطلوبِ والأَمَل .

اللَّهُمَّ واقْضِ لي أنْ يكونَ هذا الشرعُ الشريفُ محروسَ النظام بي ، واجْعَلْ حمايتَهُ في عَقِبي كما كانت من قَبْلُ من أبي . [١٦٥]

اللَّهُمَّ وامدُدْني من الحُظُوظ الملكوتيَّة والسُّعودِ اللاهوتيَّةِ بما أَمْدَدْتَ به أنبياءَكَ الذين حَكَمْتَ بعِزَّتِهِم ، وحَتَمْتَ بقُوَّتهم ، وقضيتَ بانتشارِ دَعْوتهم ، وتأذَّنْتَ بظُهُورهم وإعلاءِ كلمتهم .

اللَّهُمَّ وألِنْ في طاعتي القلوبَ القاسية ، ومَكِّنْ قواعِدَ

مملكتي لتكونَ راسخةً راسية ، واجْعَلْ الألسنةَ بصالح الأدعية التي لا غافلةً ولا ناسية .

اللَّهُمَّ وأعِنِّي على ما استَرْعَيْتني ووَفِّقْني فيما استَصْلَحْتَني له وارْتَضَيْتَني ، وأيِّدني برُوحٍ منك لتصلحَ شؤوني ، ويَصحَّ تدبيري ، وأرشدني إلى ما يَحْظَى لديك عند مآلي إليك ومصيري ، يا مَنْ لا يَرُدُّ من أخْلَصَ في دعائِه ، ولا يحرمُ من وَثِقَ بعَطَائه ، ولا يُخَيِّب منْ استمسَكَ بالعُروة الوُثقى من تأميله ورجائه . إنّك اللَّطيف الخَبير، وأنت على كلِّ شيءٍ قدير.

« وآخر دعواهم أنِ الحمد لله رب العالمين » (١) وصَلَّى الله على سَيِّد المرسلينَ ، محمدٍ خاتَمِ النبيين وعلى آله الطاهرين وسَلَّم تسليماً ، « وقالوا : حسبُنَا الله ونعم الوكيل » (٢) . [١٦٦]

---

(١) سورة يونس : ١٠ .

(٢) سورة آل عمران : ١٧٣ .



(٦)

رسالة عقائل الفضائل



رِسَالَةٌ سمّاها

عَقَائل الفَضَائل

أفضلُ الكَلام أصدَقُهُ وأَنْفَعُه ، وأشرَفُ البيانِ أسبَقُهُ إلى الفَهْم وأسرَعُهُ ؛ ولقد حُكِيَ عن المأمون أنّه قال : أُرِيتُ في المنامِ رَجُلاً على الهيئَة التي يُوصَفُ الحكماءُ بها ، خُيِّلَ إليَّ أنّهُ أرسطاليس ، فتقدَّمتُ إليه ، وسَلَّمتُ عليه ، وقلتُ له : أيُّها الحكيمُ . ما خير الكلام ؟ فقال : ما يستقيم في الرأي ، قلت : ثم ماذا ؟ فقال : ما يدُلُّ قليلُهُ على كثيرهِ ، قلت : ثم ماذا ؟ فقال : مالا تُخشَى عاقبتُه ، قلت : ثم ماذا ؟ فقال : لا ثُمَّ !

فإذا كان غاية الوصف الذي ختَم به مقالَهُ أنْ يكون المتكلِّمُ كفافاً لا عليه ولا له ، فالكلام الذي يُوجب أجراً أوفى رُتبةً وأعلى ، والمقالُ الذي يُذْهِبُ وِزْراً أسنى قيمةً وأغلى ، وذلك لا يوجد إلا في تعظيمِ الله وحمدهِ ، ومُواصلةِ شُكرهِ الذي به استنجازُ وعدهِ . والصلاةُ على سَيِّدُ المُرْسَلين محمدٍ نَبيِّه وعبدهِ ، وعلى أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍ ، أوّلِ من آمن به وتَمَسَّكَ بعهده ، وعلى الأئمة من ذُرِّيَّتهِ ، العاملِ كلٌّ منهم في سياسة الأمة بغاية [١٦٧] جُهدِهِ ، ثم الثناءُ على كلِّ ملكٍ وقَعَ الاتفاقُ على فَضلْهِ ، وتساوَتْ رعاياه في إنصافهِ وعدلهِ ، وحـــاز الشكرَ بلسانِ الإجماع ، وألقت شيمَتُهُ التنافسَ بين الأبصار والأسماع .

ولمّا كان مولانا الملكُ أفْضَلَ ملوك هذه الدّار ، وأعْدَلَ من أُعِينَ بمساعدة الأقدار ، وأشرفَ من خَدَمَهُ التوفيقُ في الإيراد والإصدار ، ومن أَبَى في أحْكَام الأمَّةِ سوى مساواتها ، ومَلَكَ القلوبَ فكان أحَقَّ بها من سُوَيداواتها ، وأولَى من النِّعَمِ ما أوفى على السُّؤْل والأرب ، وبَنَى للعَجَم من الشَّرفِ مثلَ ما بناهُ رسولُ الله للعرب ، ولم يَرْضَ عند الله تعالى بدون المنزلة العُظمى والدرجة العليا ، فاشتَرَى الدارَ الآخرةَ بحُسْنِ سيرته وأفعاله في هذه الدار الدنيا .

كان أوفى ما استعملهُ الناطقُ ، وأولى ما استكثر من الإخبار به الصادقَ ، أنْ يُوردَ من خصائصه وصفاته ، ويذكُرَ من أفعاله وحسناته ما يَتَوَخَّى فيه قولَ الحق والصواب ، وينالَ به عند الله [١٦٨] جزيلَ الأجر والثواب . وحين عزَمَ المملوك على ذلك رأى أنَّ الكلامَ يَشْرُفُ بمَنْ يُنْسَبُ إليه ويُعْزَى، وجلالةُ الموصوفِ تُكْسِبُ الواصِفَ افتخاراً وعِزّاً ، وقد قيل : إنَّ القولَ يُعظِّمه قائلُه ، ولو قَلَّت عقائلُه ، فكيف إذا جَمَعَ المَعْنَيَيْنِ ، ولم يَكْتَفِ بإحدى الحُسْنَيَيْنِ ؟! وقد وُصِفَ مولانا الملكُ من الأئمة الخلفاءِ ــ صلواتُ الله عليهم ــ بمالا يحصيهِ عددٌ ، ونالَ من ذلك ما لَمْ يَنَلْهُ قبلَهُ أحدٌ . والمملوكُ يقتصر من هذا الباب على فُصُولٍ من جملةِ ما أنشأهُ عن الحَضْرة الطاهِرة الآمِريَّةِ ــ صلَّى الله عليها ــ مما ثَبَتَ في السِّجلات . وصَدَرَ إلى الأعمالِ والجهات ، فتَتَوَّجَ فروقَ المَنابر ، وبَيَّنَ عن الشرفِ الذي ورِثَهُ مولانا الملكُ كابراً عن كابر ، واستوطأ مِهاداً من قَلْبِ كلِّ سامع ، وتَضَوَّع أَرَجُ ذِكْرِهِ في المحافلِ والمجامع . فهو

ـ ثَبَّتَ اللهُ سلطانَهُ ـ مُسْتَقِرٌّ في دار مملكتِهِ السعيدة ، وأحاديثُ فضلِهِ تجولُ في البلادِ القَصِيَّةِ والأماكنِ البعيدة .

فَصْل ، [١٦٩]

اتفق في أسجاعِه اللفظُ والخَطُّ دون المعنى

ولقد انتضى اللهُ عَزَّ وجَلَّ لإعزازِ الدين ، وارتضى لتدبير الدنيا من يُضاعِفُ جزاءَهُ يوم الدِّين ؛ الملك السَّيد الأجلّ الأفضل ، أمير الجيوش ، سيف الإسلام ، ناصر الإمام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادي دعاةِ المؤمنين ، الذي استظهَرَت المملكةُ بعزماتِهِ على كلِّ مُخَالفٍ ومُعَادٍ ، وأبَتْ مفاخِرُه كلَّ مُكَرَّرٍ من الصفات ومُعَادٍ ، وحفِظَ معاقِدَ المِلَّةِ من أن تَخْتَلَّ أو تُحَلَّ ، وصان محظورات الشريعة من أن تُبَاح أو تُحَلَّ ؛ وساسَ أمورَ الكافَّة ببأسه الشديد ورأيِهِ الصَّليبِ ، وصرَفَ عاليَ هِمَّتِهِ إلى إعزاز التوحيد وإذلال الصَّليب ، وأمضى في حياطة الإيمان مُرْهفاً ماضيَ الغِرارِ ، وأسْهَرَ جفنَهُ في مصالح الأُمَّةِ فما يَطْعم من الكَرَى غير الغِرار ، فالإجماعُ واقعٌ على أنَّهُ أشرفُ من رفَعَ للمجد علماً وراية ، والاتِّفاقُ حاصلٌ في كونِهِ أفْضَلَ من وقف على الخيرات نظره ورأيه، ولهذا نجح قَصْدُ راجيهِ وسائله ، وأصبح لديه [١٧٠] تأميلُ مؤمّلهِ من أعظم وسائلهِ ، فلا زالَ بابُ اعتزامِهِ في فَلِّ الخطوبِ غيرَ مُرْتَجٍ ، وزندُ عطائه غَيْرَ كابٍ بِعانٍ ولا مُرْتَجٍّ .

فَصْلٌ

فتدبيره أبرز الدولة الفاطمية في أجمل المعارض ، وجعل آيات مجدها متلوة بلسان المخالف والمعارض ؛ لأنه شيد مبانيها باصطفاء الأنجاد ، وحمى الدين وقد قعد الملوك عن النصرة له والإنجاد ، وانتصب لصالح الأمة يستمد أسبابها ويجتلبها ، واجتهد في منافع الكافة يستدر أخلافها ويحتلبها ؛ فالأفهام متواطئة على أن هدايته أرشدت الألباب الحائرة ، والأحوال ناطقة بأن معدلته أذهبت الأحكام الجائرة . فالله يخلد نظره ما تتابع ليلة ويوم ؛ ويشيد مجده ما تعاقب على الأجفان يقظة ونوم •

فَصْلٌ

إن الله عضد الخلافة منه بكفيل تكفلت بحياطة الملة صرائمه ، وخليل تجردت لإيالة الإسلام صوارمه ؛ [١٧١] وحفيظ وضحت مفاخره وضوح ضياء الشمس ، وحسيب اجتمع له فضيلتا كرم الأصل وشرف النفس ، ومليك أوجبت خلاله تشوف الغد ، وقضت بتلهف الأمس ؛ ولذلك آتاه الله من الخصائص التي فاضل بها عظماء الأرض طرا ، وحباه بالمآثر التي طال بها ملوك العصر شيما كريمة وأفعالا غرا •

فصل

وكيفَ يبلغُ الحمدُ مدى هِمَمِه، أو يؤدّي القولُ فَحْوَى شِيَمِه، وقد بَدَّد جموعَ الضّلال ذُبَابُ (١) قواضبِه القاضية، وشَرَّد أسودَ الأقيال تغالُبُ أسنّتِه الضارية، وأورد دماءَ الأعداء حوائِمُ سهامِه الظّامية، واستنطَقَ عَصْرُهُ مُفتخراً على الأيام الخالية، بأيّامه الحالية، فبكفالته اغتباطُ الدولةِ وابتهاجُها، وإلى مكارمِه معرجُ الآمال ومعاجُهَا، وبتدبيراتِه الميمونةِ ظَهَرَ برهــانُ الدولة الآمِرِيّةِ وثَبَتَ احتجاجُهَا، ولا خلافَ أنَّ أعطافَ مَجْدهِ لائقةٌ بها مَلابسُ التَّعظيم، وأنَّ ملوكَ الأرضِ قد أَقَرَّتْ له بفضيلَةِ التّقديم، وأنّهُ قد حاز تالِدَ [١٧٢] الفخرِ وطارِفَهُ، فلمْ يَحْتَجْ قديمُهُ إلى حَديثٍ، ولم يَفْتَقِرْ حديثُهُ إلى قديم.

فصل

مما كُتب به عندَ مقامِه بالفَرما (٢) لتقرير أمر الجهاد وتدبيره، والعمل بما يؤدّي إلى هلاك العدو وتدميره

وأميرُ المؤمنين يقولُ مُخْبراً، ويوردُ مُقْتَصِداً مقتصِراً.

---

(١) ذباب السيف: حدُّه، أو طرفه.

(٢) قال ياقوت: مدينة على الساحل من ناحية مصر ... بين العريش والفسطاط ... وبينها وبين بحر القلزم المتصل بمصر أربعة أيام. انظر معجم البلدان: ٤/٢٥٥ ـ ٢٥٦.

إنَّ المِنَّةَ به أكبر من أنْ يُوَفَّى حَقَّها باعتدادٍ ، وأعظَمُ من أنْ يُؤَدَّى فرضُهَا بمبَالَغَةٍ في الشكر واجتهادٍ ، وأسْنَى من أنْ يُحيطَ بها وصفٌ أو شرحٌ ، وأعلى منْ أنْ يناهضها تقريظٌ أو مَدْحٌ ؛ إلا أنَّ البُلْغَةَ من أوصافِ مفاخِرِه والتَّمْعَةَ من فضائلِه الباهرة ومآثره ، أنَّه مَلِكٌ يُؤَمِّن الخائفَ ، ويَقْهر الحائِفَ ، ويبالغُ في شُكْرِ العطاءِ والجُودِ ، ولا يَتَعَدَّى الحَدَّ في إقامة الحُدود ، فحلالُ الدماء مطلول بشِفَارِ مشرفيَّتِه ، وحرامُهَا مَصُونٌ بدينِه الخالص وتَقِيَّتِه ، يعمَلُ بما يقضي بجذَلِ الإسلام وابتهاجِه ، [١٧٣] ويَضْمنُ الطُمَأنينة والسكونَ في حركتِه وانزعاجِه ، وينهَضُ لنُصْرةِ الدين وقد صاحَبَتْهُ الميامِنُ والسعودُ ، ويفارق وطأتَهُ فراق السيفِ غِمدَهُ يُجَلِّي ظُلَمَ الحوادث ويَعودُ ، ولذاك أعمَلَ ركابَهُ لتجهيز العساكر المُؤَيَّدة ، والأساطيل المُظَفَّرة ، واستسهل البُعد عن مقرِّ أمير المؤمنين في جَنْبِ ما يرجوهُ من إبادة أعدائِه الكفرة ، لأن علمَهُمْ بنُهوضه جيشٌ ينفُذُ من الرُّعبِ ، ولأنَّ بُعْدَهُ الآن مُؤْذِنٌ — بمشيئةِ الله — بدوامِ الدُّنُوِّ والقُرب ، فكمْ استخرجَتْ عزمتُهُ الدعةَ من النَّصب ، وكم استنتجتْ هِمَّته الراحةَ من التَّعب، فلا زالت أقطار المملكة محصَّنةً بقواضي قواضبه، والخطوبُ مخاطبةً عن حوزتها بألسنةِ كتائبه .

فإذا كان هذا جزءاً من ثناء أمير المؤمنين ، ويسيراً ممَّا تداولَهُ الخُلَفاءُ على مُتَقَادِمِ السنين ؛ فأين يقع منهُ اجتهاد مماليكه في إحسان ذِكرِه ؟ وكيف يطمع أحدٌ منهم بواجب حَمْد الله على تمليكه عليهم وشكرِهِ ؟

عُـذراً إليه فإننا من عجزِنَا وقُصورِنا عن مدحهِ نستغفرُ[١٧٤]

وهذه الفصولُ أنموذج في وصفِ مناقبهِ كافٍ ، وسبيلٌ إلى نشرِ فضائله غيرُ عافٍ ولا خافٍ ، والمملوك يقف عند هذا الحَدّ ، ويقنَعُ بما أورده مما قد أمِنَ فيه من الرّدّ ، ويشفَع ذلك من المُلَحِ بما يسنح ، ويُتبِعُهُ بما يميلُ القلبُ إلى مثلهِ ويجنح ، وهو وإنْ أورد منه ما نزرَ وقَلّ ، فقَدْ نَبَّه به على نظائره ودَلّ ، والله يُعينه من الخدمَةِ الشريفة على ما تضمرُهُ نفسُهُ وتنويه ، ويقضي له من الحظّ بما يَكسِبُه جزءاً من إشادةٍ وتنويه ، بجُودِهِ ، ومجدِه ، وكرمِهِ وفضلهِ .

من فضائل المُلوك التي ذُكِرتْ إيماءً لكثرتها واتساع فُنُونها ، ولأن التخفيفَ والاختصارَ من شروط هذه الخدمة وقوانينها .

وذلك نوعٌ إذا استُشِفّتْ ضُروبه ، وتنوّعتْ أساليبُهُ ؛ كان سَهْمُ مولانا الملكِ منها السَّهمَ المُعَلّى ، وألفِيَ كلُّ مدحٍ في حَقّهِ مُستَنزَراً مُستَقَلاً ، ولو لم يكُنْ له من المناقب التي فضلَ بها وفاقَ ، وملأَ ذِكْرُها ووصفُها الآفاقَ ، إلا أنه قَوّم الزمَان لمّا [١٧٥] مال وانحرف ، وفعَلَ في تعديله ما أقَرّ به الجاحدُ واعترَف ، فوَفّقَ بين سَنَةِ الشمس وسَنَةِ القمر ، وأبانَ عن صحة الفكر ودقة النظر ؛ وكانت مسافةُ بُعدهما مُنافِرةً للعادة ، ومُدةُ تفاوتهما ثلاثَ سنين وهي إلى الزيادة ، فَدبّر ذلك على حسب سيرتهِ العادلة ، وسُنّتهِ الحسنة ، وجَعَل مقدارَ هذا التبايُنِ

مأموناً فيهما إلى مائة سنة ، وأمَرَ ـ أعلى اللهُ أمرَه ـ بما أُنْشِيء في هذا المَعنى مما تولَّى ـ خَلَّد اللهُ ملكَهُ ـ تهذيبَهُ ، وقَصَد إيصالَهُ إلى الأفهام وتقريبَهُ ، وقُرِيء على جميعِ منابر المملكة ، فعلم الكافةُ ما فيه من عموم النفع وشمول البركة ، وذلك مما عجز عنه الوزراءُ الذين هـذا الفَنُّ صناعتهم ، والتصرفُ في الكتابةِ عُمدتهم وبضاعَتُهم ، فما يتنافسون إلا في طِلابها ، ولا يتوسَّلُون إلى الرئاسة إلا بهـا • وهو ـ ثَبَّتَ اللهُ دولتَـه ـ (١) فهي أيسر حسناتهِ ، وأقلُّ آلاته وأدواتهِ ، وفضيلَتُهُ فيها فضلةٌ على ما هو أعلَى منها وأشرَفُ ، وعلومُهُ شاهِدَةٌ أنه أنفذ من مُدَرِّسيها وأعرَفُ • [١٧٦]

ولقد حكى الزعيم أبو العلاء [ثقة الملك] (٢) صاعدُ بن مُفَرِّج أنَّ أماثل مُتَوَلِّي الدواوين اجتمعوا عند بعض الوزراء (٣) في سنة نيفٍ وثلاثين ، وتفاوضوا في نقـل السنةِ الخَرَاجية إلى الهِلاليَّة ، وقصدوا ما رفع اللبْس وأزاله ، ووسَّعُوا القولَ رغبةً في إيضاح المعنى له ، فقال : ما أُوثرُ أن يجريَ هذا في أيامي ولا نظري ، فوالله ما وصَلَ إلى فهمي ، ولا عَلِق بتصوُّري ، وهذا يكون على يد غيري ، ويُخَبَّأُ لمن يأتي بعدي • فأمسَكُوا عنه ، وخرجوا من عنده وبقي ذلك مهملاً إلى سنة خمس مائة لأن الله تعالى ذَخَرَ الفضيلةَ فيه لمولانا الملك الذي أسبَغَ النِّعم العَميمة ، وأولى المِنَحَ الجسيمة ، ولم يَكْتَفِ بالإحسان إلى كافَّـة البَرِيَّة حتى لاءَم بـين السَّنَةِ الشمسية والسنة القمرية •

---

(١) كذا وردت ، ولا تخلو من اضطراب كما هو ملاحظ •

(٢) زيادة من الحاشية ، وثقة الملك هذا هو صاحب ديوان الجيش . وعنه أخذ المؤلف صناعة الترسل (انظر تاريخ : ٢/٨٧) •

(٣) في الحاشية : (هذا الوزير أبو القاسم ، علي بن أحمد الجرجائي) •

فالله تعالى يُديمُ بهجةَ الدنيا بامتداد ظِلِّه ، ويلهمَ أهلها ما يستوجبون به سُبُوغَ عدله ، ويجعلُ القلوبَ على طاعته مُتَّفِقة ، كما تألَّفَتْ عنده الفضائلُ التي غَدَتْ في الناس مُفترِقةً .

لا غروَ إنْ كان فيه الفَضْلُ مجتمعاً
والفضلُ مُفترِق في [سائرِ الأممِ] (١)

[١٧٧]فأحرُفُ الخَطِّ يحوي الطِرسُ جُملتَها
وقد تَفَرَّعَ منها سائر الكَلِمِ

ولا زالَتْ الأمَّةُ في شُكرهِ قاضيةَ دَيْن ، وإحسانُهُ مُتَجَدِّداً أبداً على الجَديدين . فأما إرشادُهُ للمستخدمين ، وإيفاؤه على ملوك الأرض المتأخرين والمتقَدِّمين ؛ فيكفي من ذلك ما شاع واشتهرَ ، ويُقْنِعُ منه ما بَهَرَ مُذ ظَهَرَ ، ولا خلافَ أنه يَهدي الحكّام في المشكلات إذا نزلَتْ ، ويُشجِّعُهُمْ في القضاء إذا ضَعُفَت القُوَى وانخزلت ، ويرسُم للكُتّاب ما يعتمدونَهُ في المستبهمات إذا عَرَتْ ، ويُوضحُ لهم طُرُقَ المعالي إذا صَعُبَتْ وتَوَعَّرتْ ؛ فأدامَ اللهُ ظِلَّهُ على هذا الخَلْق ، وأجابَ فيه دُعاءَ أهلِ الغَرْب والشرق ، بكرمِهِ وفَضْلِهِ وجُودهِ ، ومَجْدِهِ .

يُحكى أنَّ الصاحبَ أنشَدَ عَضُدَ الدولة فَنَّا خُسْرو قصيدتَهُ المعروفة بالّلاكنية لكثرة ما كرَّر فيها « لكنْ » وأولها (٢) :

(١) مطموسة في الأصل ، ولعلها كما أثبتنا .
(٢) ديوانه : ١٩١ ، ولا يوجد في الديوان من القصيدة اللاكنية إلا هذه الأبيات الثلاثة ، وقد قالها يحيى عضد الدولة عندما ورد الشاعر إليه بهمذان .

أُشَبِّبُ لكنْ بالمعالي أُشَبِّبُ
وأنسِبُ لكن بالمفاخِرِ أنسِبُ

وَلي صَبْوةٌ لكن إلى حَضْرة العُلا
وبي ظَمَأٌ لكن من العِزِّ أَشْرَبُ

[١٧٨] فلمَّا انتهى إلى قوله :

ضَمَمْتَ على أبناءِ تغلِبَ تَأْيَهَا (١)
فتغلِبُ ـ ماكَرَّ الجديدان ـ تُغْلَبُ

قال عَضُد الدولة : يكفي اللهُ كراهية لقوله : تُغْلَبُ !
والصاحبُ لم يتيقَّظْ لهذا النقد مع أنه لا يَصِحُّ في هذه اللفظة إلا بتغييرين : ضمة التاء ، وفتح اللام ، وإنما ذكَرَ أحدَهُما .

وقد سَلِم ابن حَيُّوس مما لزم الصاحب ، لمَّا كانَ مادحاً لبني تغلب ، وغير محتاج إلى بناءِ الفعل لِمَا لم يُسَمَّ فاعلُهُ في قوله (٢) :

إذا البيضُ كلَّتْ يوم حَرْبٍ فإنَّها
مَواضٍ قواضٍ أنَّ تَغْلِبَ تَغْلِبُ

---

(١) في الأصل : تأها وهو تصحيف ، والتصحيح من الديوان .
(٢) ديوانه : ١ : ٣٦ وهو من قصيدته التي يمدح بها ناصر الدولة بن حمدان . وأولها :

لكم أنْ تجوروا معرضين وتغضبوا
وعادتكم أن تزهدوا حين نرغَبُ

ومولانا ؛ فَقَدْ صانَ اللهُ مواقِفَهُ المعظمــــة ، ومقاماتِه المُكَرَّمةَ عن أنْ تكون الخِدَمُ بها إلا مُنَقَّحة ، والمِدَحُ لها إلا مُهذَّبة مُصَحَّحة ، وحماها ممّا لم يَزَلْ سامِعُوه ينتقدونَهُ فيحتاجُ قائلوه إلى الاعتذار عنه بما يتأوَّلُونه .

كان أبو المناقِب (١) الشاعر قــد خَدَمَ المقام العاليَ المالكيَّ الأفْضَليَّ ــ ثَبَّتَ اللهُ سلطانَهُ ــ بِعِيديَّةٍ أولها :

تُهَنِّيك ، كلاّ ! بل يُهَنَّى بك الدَّهْرُ

فقيل له : إنَّ لفظة « كلاّ » ها هنا غير مُسْتَحسنة ، فوافَقَ على ذلك وغَيَّرها فقال : [١٧٩]

تُهَنِّيك والأَوْلى نُهَنِّي بك الدهر

وهذا دليــلٌ على أنَّ الأقــدار بخدمــةِ مولانا مُتَطَوِّعة ، والأفكارَ إلى مايُرتَضى غرضُهُ بعالِي مجلسهِ مُتَوَثِّبة مُتَسَرِّعة .

ويُروَى أنَّ سيفَ الدولةِ عليَّ بن حمدان قال لابن خالويه : لم يأتِ على تصريف : رَحِمَ ، فهو راحِمٌ ، ورَحِيمٌ ، ورَحْمَانٌ ؛ إلا قولُهم : سَلِمَ فهو سالم ، وسليمٌ ، وسلمانُ . ونَدِمَ فهو نادِمٌ ، ونديمٌ ، وندمانٌ . فقال ابن خالويه : أعرفُ رابعاً في نسب الأمير ، قال : وما هو؟ قال : حَمِدَ فهو حامدٌ ، وحميدٌ ، وحمدانُ .

---

(١) لعله حظي الدولة أبو المناقب عبد الباقي وهو من شعراء الخريدة ، ومن معاصري ابن حيوس ، ومن شعراء القصر . قال عنه العماد : وهو ممن يذكر لاشتهاره لا لجودة أشعاره . انظر الخريدة (شعراء مصر) ٢/٥٢ ــ ٥٣ .

وهذه الروايةُ وإنْ شَهِدَتْ بفضيلةِ سيفِ الدولة وأدبِهِ ، فقد أعْرَبَتْ عن إغفالهِ تَقَصّي النظرِ في نَسَبِهِ .

وقد تَقَدَّم من وصف مولانا ما يدلُّ على معجزاتهِ ، وعُلِمَ معه أنَّ الاستدراكَ لا مجال له في معلوماته ، ولو أُودِعَ هذا البابُ ذكرَ خصائصه لأتى من توسيع القول وبسطهِ ما يقضي بتوَفُّرِ حَظِّ الإطناب وتضاعُفِ قسطهِ .

يقال : إنَّ رجلاً سأل شَرَفَ الدولةِ مسلمَ بنَ قريش حاجةً ، وسار في موكبهِ إلى أنْ وَصَل إلى حضرتهِ ، فقال له : [١٨٠] أيُّها الأمير لا تنسَ حَاجَتي، فقال له شرف الدولة : إذا قضيتُها نسيتُها !

وهذا من الأجوبة الدَّالة على شرفِ القَدْرِ ، واستيجاب الصدر ، وهو جُلُّ البيت الثاني من قولِ ابن (١) قابوس عُمَرَ بنَ مسلم في يحيى بنِ خالدٍ البرمكيِّ :

رأيتُ يحيى أَتَمَّ اللهُ نعمَتَهُ
عليه يأتي الذي لم يأتِهِ أحَدُ

ينسى الذي كان من معروفهِ أبداً
إلى الرجال ، ولا ينسى الذي يَعِدُ

ومن أَعْلى رُتَبِ البلاغةِ نَثْرُ المنظوم ونظمُ المنثور ، وقَلَّ من يجيد فيهما إلا من أعانَتْهُ دُرْبَتُهُ ،وساعَدَهُ طبعُهُ وفطرَتُهُ .

(١) في الوفيات : ٦/٢٥٥ ، أبو قابوس الحميري ، والبيتان هناك .

وقد كان أبو سَعْدٍ عليٌّ بن خَلَفٍ صَنَّفَ لبهاءِ الدولة أبي نَصْر بنِ عَضُد الدولة كتاباً في حَلِّ المنظوم ، ولَقَّبَهُ بالمنثورِ البهائي (١) واعتمد فيه على الحماسَةِ ، للإِلْفِ لها ، والأُنس بها ، كما فَعَل أبو علي الفَارِسِيُّ في كتاب الإيضاح (٢) الذي عَمِلَهُ لأبيه عَضُدِ الدولةِ فَنَّا خسروا ، فإنه استشهد في باب « كان » بقول أبي تمام (٣) :

من كـــان مرعى عزمِهِ وهمومِـــهِ
روضُ (٤) الأمـــاني لم يزلْ مهزولا

قـال علي بن عيسى الربعي : قال لي أبو علي مَرَّاتٍ : [١٨١] ما أفرِّقُ بين شِعر الطائي والبحتري ، وبين حَجَرَيْنِ مُلْتَقَيَيْنِ في الطريق أَتَجَنَّبُ أنْ أَعْثُرَ بهما فأعدِل ! ثم اعتذر إليَّ من هذا البيتِ الذي ذكرَهُ في الإيضاح ، فقال : يا أبا الحسن ، لا تَظُنَّنَّ أني تغَيَّرَ رأيي في الطائي ، أو ناقضتُ لذكري هذا البيت ، وإنما

(١) ذكر هذا الكتاب حاجي خليفة في كشف الظنون : ١/٦٩٢ لكنه قال : « ونثرها – أي الحماسة – أبو سعد (أبو سعيد علي بن محمد الكاتب المتوفى سنة أربع عشرة وسبع مائة ، وسماه المنثور البهائي لأنه نثر لبهاء الدولة بن بويه » . ويبدو أن حاجي خليفة قد وهم في تاريخ الوفاة الذي ذكره .

(٢) الايضاح : ١/١٠٢ .

(٣) ديوانه : ٣/٦٧ ، وهو من قصيدة يمدح بها نوح بن عمرو السكسكي ، ومطلعها :

يوم الفراق لقد خلِقْتَ طويلا   لم تُبْقِ لي جَلَدأ ولا معقولا

(٤) في الديوان بالرفع فقط ، والمخطوط يورده بروايتي الرفع والنصب ، فقد علق فوق الكلمة بلفظ « معاً » .

جَرَى في مجلس الأمـــير فعمِلْتُـــهُ لأنَّهُ من حفظـــهِ لا أني جَعَلْتُه شاهداً (١) !

ولَعَمري إنَّ أبا تمامٍ وغيرَهُ من المُحْدَثين لا يُسْتَشْهَدُ بأشعارهم في النحو ولا اللغة ؛ لأن الشواهدَ على ذلك إما لجاهليٍّ ، وإمّا لمُخَضْرَمٍ (٢) : بفتح الراء وكسرِها . قال الأخفش : يقال : ماءٌ خِضرِمٌ إذا تناهَى في الكثرةِ والسَّعة،فمِنْهُ سُمِّيَ الرَّجُلُ الــذي شهِــدَ الجاهليةَ والإسلامَ مُخَضرِماً ؛ كأنَّهُ استوفَى الأمرين .

قال : ويقال : أذُنٌ مُخَضْرَمَةٌ ، إذا كانَتْ مقطوعــةً ، فكأنه قُطِـع عن الجاهلية إلى الإسلام .

وإمّا لإسلامي كرُؤْبَةَ ، وذي الرُّمة ، وجريرٍ ، والفرزدق .

على أنَّ ابن جني قال في شَرْح منهوكة أبي نُواس (٣) :

وبلدةٍ فيها زَوَرْ .

قال بعض أهل علم العَرَبِ : لولا ما كان أبو نُواسٍ [١٨٣] يخلط به شِعرَهُ من الخَلاعَةِ لاحتُجَّ به في كتــاب الله ـــ عَزَّ وجَلَّ ـــ ، وفي حديث رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم .

(١) انظر الوفيات : ٢/ ٨١ ، وهناك خبر يؤيد هذا ويدعمه .

(٢) علق فوقها : معاً ، أي بالفتح والكسر .

(٣) ديوانه : ٤٣٨ ، وهو صدر مطلع قصيدة في مديح الفضل بن الربيع ، وتمام البيت .

صَعْرَاءَ تخطى في صَعَرْ

رجَعَ المملوكِ إلى حَلِّ المنظوم :

فمن فصول المنثور البهائي المُقَدَّم ذِكرُه :

ومتى استنهضْتَنَا لخَطْبٍ ، أوِ استنجدْتَنا في حربٍ ، أنجدكَ منا رجالٌ بأيديهم آجالٌ ، إذا أبدى [1] البأسُ ناجذَيْهِ طاروا جماعاتٍ ووُحْدَاناً إليه ، وإنْ صَرَّحَ الشَّرُّ لهم ، وهو عُريانُ ، عَدَوا عليه عَدْوَةَ الليث وهو غضبانُ ، يرونَ بالقتلِ حياةً ، وفي الشرِّ نجاةً ، لا يَصُدُّون عن الحَرْب الزَّبُون فِراراً ، ولا يزدادون عليها إلا إصراراً ، ولا تَبْلى بسالتُهم وإن صُلُّوا بها أطواراً ، إذا أحْلَبَتْ[2] عليهم العدو المُبَاسِلُ [3] اقتسمته الأسِنَّةُ والسلاسِلُ ، وإنْ سَمَا لهم الجاهِلُ المُتطاوِلُ ، فما العُمْرُ منه بباقٍ ولا المدى مُتَطاولٌ .

وهذا الفَصل جُلُّ أوائل الحماسة :

فأما نظمُ المنثور فلم يَرَ المملوكُ تصنيفاً فيه إلا الحاتمية . وهو يُمَثِّله بشيءٍ مما حاضَرَ بهِ ، واتَّفَقَ له .

---

(١) في الأصل : أبدا ، وهو تصحيف .

(٢) أحلبت : أعانت ، وأصله الاعانة في الحلب خاصة ، ثم استمرت في الاعانات كلها .

(٣) المباسل : من البسالة ، وأجراه على لفظ العدو لا على معناه ، وهو يشير بهذه العبارة الى قول جعفر بن عُلْبَةَ الحارثي :

أَلَهْفَى بقُرَّى سحبلٍ حين أَحْلَبَتْ
علينا الولايا والعدو المباسلُ

انظر شرح الحماسة للمرزوقي : ١/٤٤ ــ ٤٥ .

قال يوماً لأميةَ بنِ عبد العزيز المعروفِ بأبي الصلتِ [١٨٣] في مذاكرةٍ بينهما : ما أحسنَ قولَهُم : الأماني أحلامُ المُسْتَيْقِظ ، فوافَقَ على استحسانهِ ، ونَظَمَهُ فقال (١) :

كم ضَيَّعَتْ منك المُنَى حاصِلاً
كانَ من الواجبِ أن يُحفظَا

فإنْ (٢) تعلَّلْتَ بأطْمَاعِهَا
فإنَّما تحلُمُ مُستيقِظَا

من الشِّعر المُسْتَحْسَن قولُ سيفِ الدولةِ صدقةَ بنِ مزيد يصف ناقةً :

وحُطَّا رحالَ الميسِ عنها فإنَّهَا
أُنيخَتْ هلالاً بعد ما ثُوِّرتْ بدرا

ويُحكى أنَّهُ لم يَقُلْ قَطُّ إلا هذا البيت ، واقتصارُهُ عليه دليلٌ على أنَّهُ لم يستكرِهْ طبعَهُ ولا تعسَّفَ فِكرَهُ .

وهذه قضية قد اتَّفَقَتْ لجماعة من الفُضلاءِ في أنَّهم يقولونَ البيتَ المُفْرَدَ ، ولا يعمَلُون له ثانياً . فمنهم (٣) وقد رَقِيَ المنبرَ يومَ عيدٍ فأُرْتِجَ عليهِ ، فنزل وهو يقول :

---

(١) ديوانه : ١١٨ ، وبين البيتين بيت ثالث هو :

فالفظ بها عنك فمن حق ما   يخفي صواب الرأي أن يلفظا

(٢) الديوان : وإن .

(٣) في الحاشية : (أظنه ثابت قطنة) . والبيت في ديوانه : ٣٥ ، وانظر الشعر والشعراء : ٦٣٠ ، وفي وفيات الأعيان : ٦/٣٠٨ .

فإلا أكُنْ فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جَدَّ الوغى لخطيبُ

فقيلَ له : لو قلْتَ هذا على المنبر كنتَ أخطبَ الناس !

ومنهـم هشام بن عبد الملك ، فإنه كان يكثِرُ التمثّلَ ببيتٍ قالَه ، ولم يقُلْ غيره ، وهو (١) :

إذا أنت لم تَعْصِ الهَوَى قادكَ الهوى
إلى بعضِ ما فيه عليك مقالُ

ومنهـم إبراهيم بن موسى بنِ جعفرَ في قولهِ لذي الرئاستين مُعَزّياً بابنهِ العَبّاسِ (٢) : [١٨٤]

خيرٌ من العَبّاس أَجْرُكَ بعدَهُ
واللّهُ خيرٌ منك للعَبّاسِ

ومنهم عَمرو بنُ مسعدةَ ــ وَوَقّعَ به ــ :

أعزِزْ عليَّ بأمرٍ أنت طالِبُهُ
لم يمكِنِ النُّجْحُ فيه وانقضى أَمَدُهْ

وقال ابن عَبْدوس في كتاب : الوزراءِ والكُتّاب (٣) إنه لم يقل قَطُّ غيرَهُ .

---

(١) البيت في فوات الوفيات : ٤/٢٣٩ .

(٢) وفيات الأعيان : ٤/٤٣ .

(٣) لم يرد البيت أو الخبر في كتاب الوزراء والكتاب لابن عبدوس الجهشياري .

ومنهم إبراهيمُ بن العَبَّاس الصُّولي في قوله (١) :

أَناةٌ فإنْ لم تُغْنِ أَعْقَبَ بعـدها
وعيداً،فإنْ لم يُغْنِ أَغْنَتْ صَوارِمُه

ولم يقل أولاً ولا ثانياً .

وقد قيـل : إنه بدأ به عـلى أنه كلامٌ منثور ، فجاءَ موزوناً ، فأقَرَّهُ على ما هو به .

ولا يعلَمُ الملوك شِعراً في مكاتبةٍ سلطانية إلا هذا البيت .

ومما مُدِحَ الفضل بنُ يحيى به مفرداً (٢) :

ما لقِينَا من جُودِ فَضْـلِ بن يحيى
يترُكُ الناسَ كُلَّهـم شعـراءَ

فاستُجيدَ هـذا البيتُ ، وعِيبَ بأنـه مُفْرد ، فقـال أبو العذافر (٣) :

---

(١) ديوانه : ١٧٩ (في مجموع الطرائف الأدبية للميمني) وانظر القصة في الوفيات : ١/٤٤ ، وفي معجم الأدباء : ١/١٦٤ .

(٢) البيت في الوفيات : ٤/٣٥ غير منسوب ، وكذا في الوزراء والكتاب : ١٩٥ . وهـو في فوات الوفيات : ٤/٢٠٥ منسوب لنصيب الأصغر مولى المهدي .

(٣) اسمه : ورد بن سعد العمّي ، وانظر عنه : (معجم الشعراء للمرزباني : ٥١٢ ، والموشح : ٤٣٩ ، والورقة لابن جـراح : ٣) ، والبيت في الوزراء والكتاب : ١٩٥ ، والوفيات : ٤/٣٦ .

عَلَّم المُفْحَمين أن ينطقوا (١) الأشـ ...

... عـــارَ منّا والباخلينَ السَّخَاءَ

ويُروى أنَّ ابنَ دارة (٢) واصَلَ هجاء رَجُلٍ من العَرب فلقيهَ المَهْجُوُّ يوماً وَحْدَهُ ، فقتلَهُ ، وقال (٣) :

محا السيفُ ما قال ابنُ دارةَ أجْمَعَا [١٨٥] .

ومنهم الشريف البياضي ، وكتَبَهُ على مروحَةٍ (٤) :

وا رحمتَا ليَ أنْ حَلَلْتُ بمجلس

ان لَحَّنوا فيـــه يكـــون كسادي

وهذا من أحسن ما هُجي به غِناء» .

ولبعضِ شُعراء المجلس العالي (٥) ـ ثَبَّتَ الله سلطانَهُ ـ في ملك غانةَ ، لمّا وَصَلَ مصر يريد الحج ، وقد شاهد أهْلُ مملكةِ مولانا ما نالَهُ من الحِبَاءِ الذي سَهَّل حجَّهُ ، والعطاءِ المُوضح له سبيلَ مرادِهِ ونَهْجَهُ :

---

(١) في الحاشية : (أظنها ينظموا) وكذا في وفيات الأعيان ، وفي الوزراء والكتاب .

(٢) هو سالم بن مسافع وهو شاعر مخضرم .

(٣) الأغاني : ٢١/٢٧١ ـ ٢٧٢ ، وورد البيت كذلك منسوباً للكميت ابن معروف الفقعسي ، وتمامه :

فلا تكثروا فيه الضجاج فإنه محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

(٤) وفيات الأعيان : ٥/١٩٩ .

(٥) في الحاشية : (مجبر بن محمد الصقلي) .

كـــذا يجيبُ دُعَاءَ اللهِ من عَرَفَه

من غَانةٍ غايةِ الـــدُّنيا إلى عَرَفَه

ولمّا اجتمع الملوكُ به طالبَهُ بعمـلٍ ثانٍ فذكَرَ قصورَ قدرتهِ عنه .

مما أهمَلَهُ المُتقدمون وتركوه ، فتيقّظَ له أدباء هذا الوقت واستدركوه

تَضَمَّنَ كتابُ البلاغتـين للعسكري نقداً عـلى الفرزدقِ وابنِ هَرْمَة ، وهو :

قال الفرزدق (١) :

وإنك إذْ تهجُـو تميمـاً وترتشي

سرابيلَ (٢) قيسٍ أو سُحُوقَ العمائم

كَمُهْرِيقِ مـاءٍ بالفَـلاةِ وغَرّهُ

سرابٌ أذاعتْهُ (٣) ريـاحُ السَّمائِم

وقال ابن هَرْمة (٤) :

وإنّي وتركي نَـدَى الأكرمِـينَ

وقَدْحي بكفّيَّ (٥) زنـداً شَحَاحا

---

(١) ديوانه : ٨٥٦/٢ ، وانظر الصناعتين : ١٥١

(٢) في الديوان : تبابين .

(٣) في الديوان : آثارته .

(٤) ديوانه : ٨١ ، والصناعتين : ١٥١

(٥) في الديوان : بكفيّ .

كتاركــــةٍ بيضَها بالعـــــراء
ومُلْبِسَةٍ بيضَ أخــرى جَنَاحَا

والمنتَقَدُ أنَّ ثانيَ بيت الفرزدق يَصْلُح ثانياً لبيت ابن هرمة ؛ [١٨٦] وثانيَ بيت ابن هرمة يصلح ثانياً لبيتِ الفرزدق . ولم يَزَلْ إصلاحُ ذلك مهملاً إلى أنْ فاوَضَ المملوكُ بعضَ الأُدباءِ فيه ؛ فقال : ينبغي أن يكونَ قولُ الفرزدق :

وإنك إذ تهجـــو تميمـــاً وترتشي
سرابيــلَ قيسٍ أو سُحُوق العمائِم

كورقاءَ تُعَرْي للسَّفَاهةِ بيضَهَا
وتستُرُ بيضاً غَـــــيرَهُ بالقوادمِ

وقولُ ابن هَرْمة :

وإني وتَركي نَــدَى الأكرمِـــينَ
وقَــدحي بكفّيَ زنـــداً شَحَاحَا

كمثلِ الــذي يُهريقُ السقاءَ (١)
إذا ما الســـرابُ لعينَيْهِ لاحَــا

---

(١) كذا في الأصل ، وواضح أن صدر البيت مختل الوزن ، كما أن الخبر الذي أورده صاحب الصناعتين لا يخلو من اضطراب أيضاً ، فقد جعل ثاني بيت الفرزدق — وهو من الطويل — ثانياً لبيت ابن هرمة ، وهو من المتقارب .... انظر الصناعتين : ١٥١ .

وهذا مما قَنَع المتقدمون بانتقادِه ، وأهملوا إصلاحَه وتقويمَ مُنآدِه ، حتى هَذَّبَه أدباء هذه الأيام الزاهرة ، وحَرَّرَه أنشاءُ هذه المملكة القاهرة ، وذلك لما فاضَ عليهم من أنوار مالكها فاسترشدوا به في طرق الصناعة ومسالكها •

ذكر الشريفُ المُرتضَى في كتابِ : طيف الخيال (١) قولَ البحتري :

هجرتْنا يقظَى ، وكادَتْ على عا
دتِها (٢) ، في الصدودِ تهجُرُ وَسْنَى

وحكى كلامَ الآمدي عليه ، وتغليطَه للبحتري مع حسن رأيِه فيه ، ووافَقَه الشريف على ما ذهَبَ إليه ، مما مضمونُه أنَّ يقظَى وَوَسنَى حالان من ضميرها ، [١٨٧] وأنها لا تكون مواصلة في وسنها ، حتى يقول : كادت تهجر في هذه الحال !

وهذا البيت صحيح المعنى ، وهو من إحسان البحتري ، وذلك أنَّ يقظى جمعُ يقظان ، وهو حال من ضميرِ المتكلمين، لا من ضميرها ، ووَسْنَى جَمْع وسنان (٣) ، وهو مفعول تهجر ، وتقريبه :

---

(١) طيف الخيال : ٣٩ ـ ٤٠ ، وانظر ديوان البحتري : ٢١٤٣/٤ ، من قصيدة يمدح بها ابن الفياض ، وأولها :

ما تنقَضي لُبانةٌ عند لبنى والمُعَنّى بالغانيات مُعَنَّى

(٢) في الديوان : عاداتها ، وفي الطيف : مذهبها •

(٣) في الحاشية : (فإن فعلى يأتي جمعاً لما كان ضرباً من آفة أو داء ، مثل :جريح وجرحى ، وكليم وكلمى • وقالوا : زمِنٌ وزمنى ، وضمِنٌ وضمنى ، وقد تتعاقب : فَعْلَى وفَعَالى ، لقولهم : أسير وأسرى وأُسارى) •

هَجَرَتْنَا في حَالِ يَقْظَتِنا ، وكادتْ تَهْجُرُ قوماً ذوي وَسَنٍ .

فالتأويل الأول يجعل البيت من إساءات البحتري ومعايبه .

والتأويل الثاني يجعله من حسناته وغرائبه .

من النقد

سمع المملوك من ينشدُ (١) :

لا تُعلِمَنَّ مُؤالِفاً ومخالِفاً (٢)
حالَيْكَ في السَّراءِ والضَّراءِ
فلِرَحْمَةِ المُتَوَجّعِينَ مضاضَةٌ (٣)
في القَلْبِ مثلُ شماتةِ الأعداءِ

فقال :

يتوجّهُ النقد في البيتِ الأول لكونهِ أجرَى المؤالِفَ مَجْرى المخالِف في النهي عن إعلام حَالَيْهِ ، وإنما الواجبُ أنْ يعلما حالَهُ في السَّرَّاءِ ؛ لما في ذلك من مَسَرَّةِ المؤالِفِ ، وغيظِ المُخَالف ، وأن لا يَعلماها في الضَّرَّاءِ إشفاقاً من حُزْنِ المؤالف ،

---

(١) فوات الوفيات : ٣/ ٣٤٠
والبيتان لمحمد بن الحسين بن عبد الله بن الشبل البغدادي ، المتوفى سنة ٤٧٣ هـ .

(٢ـ٣) رواية الفوات :

لا تظهرن لعاذلٍ أو عاذرٍ ....
فلرحمة المتوجعين حرارة ....

وشماتةِ المخالف . والوجه أن يكونَ البيت :

لا تُعْلِمَنَّ مؤالِفاً ومخالفاً   بنوازِلِ البأساء والضَّراءِ

[١٨٨] والدليل على ذلك تعليله إياهُ في البيتِ الثاني .

كان المملوك يوماً مع إخوانٍ له ، وهم يتذاكرون أشياءَ من الأدب ، فأنشد بعضُهم قولَ ابنِ سعيدٍ الحلبيِّ (١) :

إذا أخَذَ المرآةَ ينظُرُ وجْهَهُ

حسِبْتَهُمَا (٢) شمسينِ بينَهُما بَدْرُ

فأنشد آخَرُ في التشبيهِ بالمرآة :

والنجمُ وجهٌ مقبِلٌ   والبدرُ مرآةٌ صدِيَّةٌ

فقال المملوك : هذا البيتُ مما جمع تشبيهين بغير أداة ، وفيه نقدٌ لا يُدْرَكُ لمجرد الأدب ، وذلك أنَّ هذا التشبيهَ لا يكونُ إلا في وقتٍ مخصوصٍ ، وهو إذا صار القمرُ بدراً في الثور ، وكان ذاهباً إلى مُقَارِبة الثُّرَيَّا ، أو منصرفاً عنها ، لأنَّ النجمَ — على مَذْهبِ العربِ — الثُّريَّا . ألا تراهُ شَبَّهَهَا بالوَجْهِ ، ثم ذلك لا يكون والشمس في الثور ، إذْ كانت الثُّريَّا من كواكبه ، وكلُّ كوكبٍ لا يَظْهَرُ إذا كانت الشمس في بُرجِهِ ؛ لأنه يكون تحتَ شُعاعها .

---

(١) ابن سنان الخفاجي ، والبيت في ديوانه : ٥٢ ، ومعه بيت آخر .

(٢) في الديوان : ظننتهما .

ومن مليحِ ما قيل في المرآة :

قوراء تَحْويــكَ وتحتويهــا

حــاملة أشْخـاص حامليهــا

أعجِبْ بها ! تُرِيك ما تُرِيهـا

مُظْهِرَةً منك بهــا شبيهــا [١٨٩]

والحُسْنُ والقُبْحُ جميعاً فيها !

وعلى ذِكْرِ التشبيهِ ، فقد أحسَنَ بعض الشاميِّين في قولهِ ـ وكتَبَ به إلى صَديق له يدعُوهُ على عُجَّةٍ ـ :

وعنــدي عُجَّةٌ تَزْهَى بِحُسْنٍ

تناهَى فاستمــالَتْ كــلَّ نفسِ

ولم أر قبــلَ صائغِهــا حكيمــاً

يصوغُ منَ الكواكِبِ عَيْنَ شمسِ

ومن مليحِ اللغز فيها قولُ الآخر (١) في أبياتٍ :

حُروفُها تُقرأ مَقْلُوبَةً :

ومرادُه : اسمُها ، لا قَلبُ حروفها .

وهذا يدخلُ في باب المحاضرة بقول الصقلِّي :

(١) في الحاشية : (مجبر الصقلي) .

قد جاءَ بالنَّسْرينِ يَمْسَحُ خَدَّهُ ويَشُوفُهُ (1)

زَهْرٌ أَلَذُّ بِقُرْبِهِ ويَسُرُّني تَصْحِيفُهُ

ومرادُه أنَّ [هذه الكلمة التي هي] (2) يَسُرُّني ، تصحيفُ نسرين .

وقولُه أيضاً في كرسي :

وا وَحْشَتا لمفارقٍ قد كان عَيشي أنسُهُ

فاعذرْ أخاكَ فإنَّهُ شيءٌ يَسُرُّكَ عَكْسُهُ

ومرادُهُ : عكسُ يَسُرُّك .

ومن فضلاءِ الشاميين السابقُ المعرّيُّ (3) ، وله رسالةٌ وسَمَها بتحيَّةِ الندمان . قال :

ولهذا اللقَبِ معنيانِ : أحَدُهُما ، رَضيعُ المُدامةِ ، والآخرُ ، فعلانُ ، من الندامة .

فمن محاسنِها قولُه :

صِرْتُ إلى حلبَ ، والزمنُ مَوْشِي الجلبَابِ ، مُقتَبِلُ الشباب ، [190] قد تَمَّ عِذَارُهُ ، ونَمَّ بمحاسنِ وَجْهِهِ آذاره .

---

(1) في الحاشية : (يشوفه : يجلوه) .

(2) الزيادة من الحاشية .

(3) هو محمد بن الخضر بن الحسن بن القاسم من شعراء القرن الخامس . وانظر ترجمته في : (فوات الوفيات : 3/345 ، والوافي بالوفيات : 3/39 ، والخريدة (قسم شعراء الشام) 2/125 ، والمحمدون من الشعراء : 310) .

وذكر المملوك بهذا الفَصلِ قولَ محمدٍ القيرواني ّ ــ وقد كتبَ إجابةً لمن سأل عمَّا آلَ إليه حالُ الجدب ــ :

وأما ما انعَجَم عليك من حالِ حَوْلِنا فَقَدْ بَرِىء ــ بحمدِ الله ــ عليلُ بُرانا ، وأثرَى فقير ثرانا ، بطَالِع وَسْمِيٍّ دنا فأسَفَّ ، وتابع وَلِيٍّ وكَفَ فما كفَّ ثرثارا قطرُهُ ، محجوباً شمسُهُ وبَدْرُهُ ، حَتَّى إذا ركِبَ بالطامِّ ، وخِيفَ منه انحطامُ الأَطام ، مُزِّق عن الرَّقعاءِ (١) صحيحُ إهَابِها ، واختُزِنَ دُرُّ البِرِّ في أصدافِ تُرابها .

وللمملوكِ رسالةٌ في مُضَاهاة هذهِ الإجابة منها :

وأما استقراؤك حال سَنَتِنا التي وَصَفْتَها بالمُجْدِبَة وهي المُجْدِيَة ، ووسَمْتَها بالمهلِكَةِ وهي المُحْيِية ؛ فقد كانَت البلادُ مُغْبَرَّةً مقشعِرَّةً فيها ، وجاء ــ من كرم الله ــ ما يُذْهِبُ عنها الشدائدَ وينفيها ، فأتَتْ جيوشُ النعم متوافرةً مقتحمة ، ودنَتْ ضروبُ المِنَحِ مكاثرةً مزدحمةً . فتأمَّلِ الألطافَ كيفَ تستبقُ ولا يُخَافُ من فَوْتِها ، وانظُرْ إلى أثرِ رحمةِ الله كيف يُحيي الأرضَ بعد موتِها وذلك أنَّ السحابَ [١٩١] أنجمَ ثم أثْجَم ، والغيثَ ارتَفَع ثم اندفَعَ ، بهطلٍ لا يُخْشى ضيمُهُ ، في يومٍ ستارتُهُ غيمُهُ ، تخال مُزْنَهُ للشَّمسِ عاشقاً ، وتظُنُّهُ بها مُغْرَماً ولها وامِقاً ، فكلَّمَا جعلَتْ تحتجِبُ ظلَّ لعدمِها يبكي وينتحِبُ ، فعاد نسيمُ وقتِنَا عليلاً مريضاً ، وغدا أديمُ أرضِنا صحيحاً أريضاً ، قد أحيا انهلالُ القَطْرِ بجرعاتها مَوَاتاً ، واستُحْفِظَتْ من الحبِّ سراً فوشَتْ به نباتاً .

---

(١) الرقعاء : من الشاء ما في جنبها بياض ، والمرأة لا عجيزة لها (القاموس)

رجع المملوك إلى تحية الندمان .

فمن فصولها :

ولقد نَشِطتُ يوماً للنزهَةِ في جماعةٍ من الغرباء وَطَناً وقَطِناً ، فَمَرَّ لنا يومٌ خَنِثُ الشمائل، غَنِجُ الضُّحى والأصائل. فلمَّا قَبَضَ المغيبُ روحَ الشمس ، وصارَتْ من الظلام في رمس ، حَثَثْنا الصغير بالكبير ، وَحِدنا عن شُربِ القليل إلى الكثير .

والمملوك يقول : إن قولــه : وطَناً وقَطِناً ، من تركيب قول البديع : فما أجرنا حزناً حتى هبطنا بطنا .

وقد أحسن البحتري في قوله (١) :

جُلْنَ في يابس التراب فما رِمْـ ...

... ـنَ طعاناً حَتَّى وطِئْنَ الطينـا

فأمَّا وصفُه الشمسَ في مغيبها ، وما استعارَهُ لها عند غُروبها ؛ فهُوَ ممَّا أغربَ وأبدَعَ فيه ، وأتى بإحسانٍ [١٩٢] لا يَقْدِرُ الحاسِدُ يَكْتُمُهُ ولا يُخْفيه .

وقد أحسن الآخرُ في وَصْفِها عند أُفُولها بقولِه :

فجليَتْ عروسُ الشمس في الاصفرار ، وأخَذَ الليل يُدَنِّس ثوبَ النَّهار .

---

(١) ديوانه : ٢١٦٧ ، وهو من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الصامتي ومطلعها :

هم أَلى رائحون أم غادونا ... عن فراقٍ ممسونَ أمْ مصبحونا

وذكرُهُ هاهنا تدنيس الثّوب مع جلاءِ العَروس من المعاني التي تبتهِجُ بها القلوب ، وتنشرحُ لها النفوس .



في محاسن أهل الوقت

فمن ذلك : قولُ قاسم (١) بن علي مُعارضةً لأبي عُبادةَ البُحْتري .

قال البحتري من قَصيدةٍ أولُها (٢) :

بات نديماً لي حَتّى الصَّبَاحْ
أغْيَدُ مجدولُ مكانِ الوِشاحْ

مشبّهاً للثغر :

كأنما يَبْسِمُ (٣) عن لؤلؤٍ
مُنَظَّمٍ أوْ بَرَدٍ أوْ أقاحْ

وقال القاسِم بن علي (٤) [الحريري] :

(١) هو القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات .

(٢) ديوانه : ٤٣٥ ، وهي قصيدة يمدح بها أبا نوحٍ عيسى بن ابراهيم .

(٣) في الديوان : يضحك .

(٤) مقامات الحريري ، المقامة الحلوانية : ١/٥١ ، ويقارن الحريري هناك بين بيت البحتري المذكور وبين بيتيه ، ويفضلهما .

نفسي الفـــداءُ لثغرٍ راقَ مَبْسِمُهُ

وزانَــهُ شنــبٌ ناهيك من شَنَــبِ

يَفْتَرُّ عن لؤلؤٍ رَطْــبٍ وعن بَرَدٍ

وعن أقـــاحٍ وعن طَلْعٍ وعن حَبَبِ

فالبحتري شَبَّهَ الثغــر بثلاثةٍ ، والقاسمُ شَبَّهَهُ بخمسةٍ وهذا أكثرُ ما يمكن في بيتٍ .

وإذا اسْتُحسِنَ قولُ الوأواء (١) :

وأسبَلَتْ (٢) لؤلؤاً من نرجِسٍ فسَقَتْ

ورداً وعضَّتْ عـــلى العُنَّاب بالبَرَدِ

[١٩٣] وفيه خَمْسَةُ تشبيهــات بخمسة مُشَبَّهــات فأنْ تُسْتَحسنَ هذه العِدَّةُ لِمُشَبَّهٍ واحدٍ أَجْدرُ .

والقاسِمُ هذا باهرُ الفَضْلِ ، فائِقُ الطَّبْعِ ، غزيرُ الأدبِ ، كثيرُ المُلَــحِ فمِمَّا أعرَبَ فيه عن براعتِهِ ، وأبانَ عن بديــعِ صناعتِهِ ، أنَّهُ يمدَحُ الشيءَ فيُحْسِنُ في مدحِهِ ، ثم يَذُمُّهُ فيكشِفُ عن قُبْحِهِ ، كقولِهِ يمدَحُ الدينار (٣) :

---

(١) هو أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني المشهور بالوأواء الدمشقي ، والبيت في ديوانه : ٨٤

(٢) في الديوان : وأمطرت .

(٣) أورد الحريري هذه الأبيات والتي تليها في مقامته التي سماها بالمقامة الدينارية : ١/٦٩ ــ ٧٠

أكرِمْ به أصْفَرَ رَاقَتْ صُفْرَتُهُ
وَحُبِّبَتْ إلى الأنــــام غُرَّتُه
كـــم آمِرٍ به استَتَبَّتْ إمرَتُـــه
وجيشٍ هَـــمٍّ هَزَمَتْـــهُ كَرَّتُه
وَحَقٍّ مولى أَبْدَعَتْـــهُ فِطْرتُـــه
لولا التُّقَى لَقُلْتُ : جَلَّتْ قدرتُه !

وقولُهُ يَذُمُّه (١) :

تَبّاً لــــه من خَـــادعٍ مُمَـــاذِقِ
أصْفَرَ ذي وجهـــين كالمُنَـــافقِ
وحُبُّـــهُ عنـــدَ ذوي الحقـــائق
يـــدعو إلى ارتكـــابِ سُخطِ الخالق
وشَـــرُّ ما فيـــه من الخَـــلائقِ [١٩٤]
أنْ ليس يُغْـــني عنـــك في المضائق
إلا إذا فَـــرَّ فِـــرارَ الآبِـــقِ
واهـــاً لِمَنْ تقـــذفه (٢) من حالِقِ
ومن إذا ناجَـــاهُ نَجْوى الوامِقِ
قـــالَ لـــه قولَ المُحِقِّ الصَّادِقِ
لا رَأْيَ في وَصْلِكَ لي ، ففارِقِ

(١) المصدر السابق : ٧٣ ــ ٧٤

(٢) في المقامات : يقذفه ، وفي الحاشية : (واها ، تعجب واستعطاف) .

وقد جَعَل هذا الشعرَ على وجهِ اللغز ، وهو كثيرُ الاستعمالِ بهذه الطريقة . ومن مليحها ما صَنَعَهُ على لسان السَّروجي وَوَلدِه وقاضٍ تَقَدَّما إليه ، فالذي نَسَبَهُ إلى السَّرُوجي (١) :

أيَّدَ الله القاضي ، إنه كانت لي مملوكةٌ رشيقةُ القَدِّ ، أسيلةُ الخَدِّ ، صبورةٌ(٢) على الكَدِّ ، تَخُبُّ أحياناً كالنهد، وترقدُ أطواراً في المهد . ذاتُ كفٍّ ببَنَان ، وفمٍ بلا أسنان ، مطبوعةٌ على المنفعة ، مطواعةٌ في الضِّيق والسَّعةِ ، وطالما خدمتْك فَحَسُنَتْ ، ولربَّمَا جَنَتْ عليك فآلَمَتْ ومَلْملت ، وإنَّ هـــذا الفتى استخدمنيها لغرض . فأخدمْتُهُ إياها بلا عِوضٍ ، على أنْ يجتنيَ نفعَهَا ، ولا يُكَلِّفَهَا إلا وُسْعَهَا ، فأولـج فيها متاعَهُ ، وأطـــال بها استمتاعه؛ [١٩٥] ثم أعادها وقد أفضاها، وبذل عنها قيمةً لا أرضاها .

والذي نَسَبَهُ إلى الوَلَد :

أما الشيخ فأصدَقُ من القطا ، وأمَّا الإفضاءُ فَفَرَطَ عن خطا ، وقد رهنتُه على أرْشٍ ما أوهنته مملوكاً لي متناسِبَ الطرفين منتسباً إلى القين ، نقياً من الدَّرَنِ والشَّيْنِ ، يقارِنُ محلُّه سوادَ العينِ ، يُفْذِّي الإنسان ، ويتحامى اللسان ، إنْ سُوِّد جَادَ ، وإنْ (٣) وَسَمَ أجـاد ، وإذا زُوِّدَ وَهَبَ الزَّاد ، ومتى استُزِيد زاد ،

---

(١) المقامات ١/: ١٥٠ المقامة المَعَرِّيَّةِ .

(٢) في المقـامات : صبور ، وهـو الصحيح ، لأن وزن فعول يستوي فيه المذكر والمؤنث .

(٣) في المقامات : أو وَسم .

لا يستقِرُ بمغنى ، وقلَّمَا يَنْكِحُ إلا مَثْنى ، يسخو بموجُوده ، ويسمو عند جُودهِ ، وينقاد مع قرينته ، وإنْ لم تكُنْ من طينَتِهِ .

والذي نَسَبَهُ إلى القاضي :

إما أنْ تبينا ، وإلا فَبينا !

فقال الولد :

أعارني إبرةً لأَرْفَأَ أطـماراً عفاهَا البِلَى وسَوَّدَهَا

فانخرمَتْ في يدِي على خطأٍ منّيَ لمَّا جَذَبْتُ مِقْوَدَهَا

فاعتاق ميلي رهناً لديه وما هيك بهـا سُبَّةً تزوَّدها

فالعينُ مَرْهى لرهنِهِ ويدي تقصُرُ عن أنْ تَفُكَّ مِرْوَدَهَا

وقال الشيخ (١) :

أقسَمْتُ بالمشعَرِ الحَرامِ ومن

ضَمَّ من الناسكين خيفُ منى

لو ساعفتني الأيامُ لم ترَني

مُرتهِناً مِيلَهُ الذي رَهَنَا

ولا تصَدَّيتُ أَبْتَغِي بدلاً

من إبْرةٍ غَالَهَا ولا ثمنا [١٩٦]

(١) هذه الأبيات والتي قبلها ذكرها الحريري في مقامته المعرية : ١/١٥٤ ـ ١٥٧ مع زيادة في الأبيات هناك .

لكنَّ قَوْسَ الخُطوبِ ترشقُني
بمُصْمِيَاتٍ من ها هُنَا وهُنَا

وخُبْرُ حالي كَخُبْرِ حالته
ضُراً وبُؤساً وغُربةً وضَنَا

قد عَدَلَ الدهرُ بيننا فأنا
نَظيرُهُ في الشَّقاءِ وهو أنا

لا هو يَسْتطيعُ فَكَّ مِرْوَدِهِ
لمَّا غَدَا في يَدَيَّ مُرْتَهَنَا

ولا مجالي لضيقِ ذات يَدِي
فيه اتِّسَاعٌ للعَفْوِ حين جَنَى

فهذه قِصَّتي وقِصَّتُهُ
فانظُرْ إلينا وبيننا ولنا !

وقال في وصفِ كَرَمِ الخُلُق (١) :

أنا (٢) أُرَاعي الجارَ ولو جارَ ، وأبذلُ الوصالَ لمن صَالَ ، وأسْتَقِلُّ الجزيلَ للنَّزيلِ ، وأَغْمُرُ الزَّميلَ بالجميلِ ، وأودِعُ مَعَارِفي عَوَارِفي ، وأُولي مُرَافِقِي مَرَافِقي ؛

(١) المقامات ، المقامة الدمياطية : ١/٨٠

(٢) في المقامات : أرعى .

وأُلينُ مَقَالي للقالي ، وأُديم تَسْآلي عن السَّالي ، وأقنَعُ من الجزَاءِ ، بأقلِّ الأجزاءِ ، ولا أتظلَّمُ حين أُظْلَمُ ، ولا أنْقَمُ ولو لدغَني الأرقَمُ .

وقال في عكسِ ذلك :

أنا لا آتي غيرَ المُوَاتي ، ولا أُصَافي من يأبَى إنصافي ، ولا أُوَاخي من يُلْغي الأَواخي ، ولا أُمالي من يُخَيِّبُ آمالي ، ولا أُدَاري من جَهِلَ مقداري ، ولا أبذُلُ وِدادي لأضدادي ، ولا أَدَعُ إبعادي للأعادي ، وإلا فَلِمَ أَعَلُّكَ (١) وتُعِلُّني ؟ وأُقِلُّكَ وتستَقِلُّني ؟ [١٩٧] وأجرَحُ (٢) لك وتجرحُني ؟ ومتى أصحَبَ (٣) ودٌ بعسفٍ ؟ وأيُّ حُرٌّ رضِيَ بخُطَّةِ خَسْفٍ ؟

قد كِلْتُ لِلخِلِّ كما كالَ لي
على وفاءِ الكَيْلِ أو بَخْسِهِ

ولستُ بالموجِبِ حَقّاً لمن
لا يُوجِبُ الحقَّ على نفسِهِ

ومن مليح شِعرِهِ قولُه (٤) :

لقد أصبحْتُ موقوداً (٥) بأوجاعٍ وأَوْجَالِ

---

(١) هكذا في الأصل ، وفي المقامات : أُعِلُّكَ .

(٢) في الحاشية : (أجرح : اكتسب) .

(٣) هكذا في الأصل . وفي المقامات : أُصْحِبَ .

(٤) المقامات ، المقامة البرقعيدية : ١/١٣٤ ـ ١٣٦ .

(٥) في المقامات : موقوذاً .

وخُــوَّانٍ من الإخــوا ... ن قـــالٍ لي لإقـــلالي
فكمْ (١)أخطِرُ في بـــالٍ ... ولا أَخْطُرُ في بـــالِ
فسحـــرابيَ أحْــرَى بي ... وأسمالـــيَ أَسْـــمى لي
فَهَـــلْ حُرٌّ يَرَى تخفيــــف أثقـــالي بمثقـــالِ

وقوله (٢) :

إني امـرؤٌ أُبْــدِعَ بي ... بعــد الوَجَــا والتَّعَبِ
فَـزَفْرَتي في صَعَــدٍ ... وعَبْـرتي في صَبَــبِ (٣)
وأنتـمُ مُنْتَجَــعُ الــــراجي(٤) ومَرْمَى الطَّلَبِ
لُهَاكُـمُ مُنْهَــلَّةٌ ... ولا انهــلالَ السُّحُبِ
وجــارُكُمْ في حَــرَمٍ ... وَوَفْرُكُمْ في حَــرَبِ
ما لاذَ مُرْتــاعٌ بِكُـمْ ... فخـــافَ نــابَ النُّوَبِ
ولا استَــدَرَّ آمِــلٌ ... حِبَاءكُـمْ فمــا حُبِي !

[١٩٨] فأما قوله :

فـــزفرتي في صَعَـــدٍ ... وعَبْـــرتي في صَبَـــبِ

فمن المعاني التي تصَرَّف فيها الشُّعَراء وتفنَّنُوا ، وتوسَّعُوا

---

(١) في المقامات : وكم .
(٢) المقامات ، المقامة المكية : ٢/٥١
(٣) نسب هذا البيت للمعتمد بن عباد ، وهو في ديوانه : ٣ وفي المختار من شعر شعراء الأندلس : ١١٤
(٤) في المقامات : الرجي

توسعاً أجادوا فيه وأحسنوا ، فمن ذلك قول ابن أبي سعيد (١) :

شَتَّان في الحالين (٢) ما بينَنَا　　وبيننا في المنظرين اشتباه

يا عجباً من حُرُقَاتِ الهَوَى　　تصعدُ نيراناً وتجري مياه (٣)

وهذا أصنَعُ من بيت القاسم بن علي ، لأن القاسم جَعَلَ الزفْرَةَ غير العَبْرة ، فهذا في ارتفاعٍ والتهابٍ ، وهذه في انحدارٍ وانصبابٍ ، وابن أبي سعيدٍ جعلهُمَا شيئاً واحداً إذا صَعد كان ناراً ، وإذا جَرَى كانَ ماءً ، فالنارُ علةُ الماء ؛ لأن صُعودها يُجْرِيه .

وقد عكسَهُ الآخر في قوله :

ولم أرَ مثلَ الدَّمْعِ ماءً إذا جَرَى

تلهَّبُ منهُ في الأصابعِ نارُ (٤)

فجَعَلَ الماءَ علة النارِ ، وأنَّ جَرَيانه سببٌ لتَلَهُّبِهَا .

وقد أحسنَ الصاحبُ غايةَ الإحسان في قوله :

---

(١) ابن شرف القيرواني ، والبيتان في المطرب من أشعار أهل المغرب : ٦٩

(٢) في المطرب : شتان في النطقين

(٣) في الحاشية : (عبد المحسن الصوري :

حُرَقُ الهوى زفراتهن بكاء　　فشرارُ تلك النار هذا الماء

وقال : . . . . الكلام مطموس ..)

(٤) أورد في الحاشية أبياتاً لابن رشيق ، فقال : (ابن رشيق :

دعه وإجراء الدموع فإنما　　تجري مياه الشوق من نيرانه

وله :

رأيت الماء يطفىء كل نار　　ونار الشوق تشعلها الدموع

وله : .. الكلام مطموس لم يقرأ ..)

لا تحسبَنَّ دموعي البيضَ غيرَ دمي
وإنما نَفَسي نارٌ تَصَعَّدُ [...] (1)

ولابن عَبَّاد أحدِ سلاطين الأندلس :

نارٌ وماءٌ صميمُ القلبِ أصلُهما
متى حَوَى القلبُ نيراناً وطو[فانا] (2)

ضِدّانِ ألّفَ هذا الدهرُ (3) بينهما
لقد تلَوَّنَ فيَّ الدهرُ ألوا[نا] (4)

[199] وأما قولُ القاسم :

وجاركُمْ في حَرَمٍ ووفركم في حَرَبِ

فمعنى متداول أيضاً . ومن مليح ما قيل فيه :

لك العَرَضُ المُبَاحُ لمن بَغَاهُ
من العافين والعِرْضُ المَصُونُ

وجارُكَ ضِدُّ مالِكَ منذُ أمَّا
محلّتَكَ ، ذا يُعِزُّ ، وذا يُهِينُ

---

(1) طمس في الأصل ، ولم نجد البيت في ديوان الصاحب

(2،4) في الأصل طمس لم يقرأ ، والتكملة من ديوان المعتمد : 166 ، والبيتان أيضاً في المختار من شعر شعراء الأندلس : 120

(3) في الديوان : صرف الدهر ، وكذا في المختار

وعلى ذكر قاسمٍ ، فللقاضي الرشيد محمد بن قاسم ـ وكتبَ به إلى صديق له كانَتْ جاريته تزور دارَهُ، فجاءت على عادتها ، وسألها أهلُه أن تُقيم عندهم ـ فاستزار مولاها بقوله :

سيدةُ الرُّومِ رامَ عِترتُهـــا [1]
مُقامَهـــا عندهـــم إلى العَتَمَـــهْ

فَكُنْ صـــلاةَ العشاءِ زائرَنـــا
والنونُ للجَمْـعِ ليس للعَظَمَـــهْ

ولقد ملَّح ابن قاسمٍ وتظرَّف ، كما تنوَّع قاسمٌ وتَصَرَّف .

الغَزَّالي [2] :

حَلَّتْ عقـــاربُ صدغـــهِ في خَدِّهِ
قمـــراً فجـــلَّ بهـا عن التشبيهِ

قد كنتُ أعهَدُهُ يَحُـلُّ ببُرجِهَـا
فمن العجائبِ : كيف حلَّتْ فيـهِ ؟ !

ولما أنشد المملوكُ هذين البيتينِ ابن مِكْنسَةَ عَمِل بديهاً [3]:

---

(١) في الأصل : أسرتها ، ثم شطبت ، وكتب فوقها : عترتها

(٢) هو الامام أبو حامد الغزالي .
والبيتان في الوفيات : ٢١٨/٤ . والخريدة قسم (شعراء مصر) ٢٠٧/٢

(٣) الأبيات في الخريدة (شعراء مصر) ٢٠٧/٢

قلتُ ــ إذْ دَرْقَنَ (١) الدلا	لُ علـى خَــدِّه الشَّعَرْ

هــذه آيــةٌ بهــا	ظَهَرَ الحُسْنُ واشتَهَـرْ

ما رُئِيْ قبـلَ صُدْغِـه (٢)

عَقْـرَبٌ حَلَّـتِ القَمَـرْ [٢٠٠]

وعلى ذِكْرِ القمر والعقربِ فقد أحسَنَ ابن المغربي في قوله ــ وقد لسَبَتِ العقربُ جاريةً كان يهواها ــ :

كـم تَسْتَحِمُّ العـينُ فيك بمائهـا

حتَّى كأنَّ بهـا جُنونَ المَـذهب

إنْ كان نَالَكِ مؤلـمٌ من عَقْرَبٍ

فالبـدرُ مُمْتَحَنٌ ببرج العَقْرب

وبرجُ العقرب: هبوط القمر . وقد جاء في الحديث أن رسول الله ــ صلى الله عليـه وسلم ــ نهى عن السَّفَرِ إذا كـان القَمَـرُ في بُرج العَقْرب .

ولمحمود بن القاضي المُوَفَّق :

لامَ العـواذلُ مُغْرَمـاً	في حُبِّ مُلْهِيَةٍ وقَيْنَهْ

وَلَوَ انَّهُنَّ رَأَيْنَ تـأ	ثيرَ الغرامِ به وَقَيْنَهْ

---

(١) في الخريدة : إذ عقرب

(٢) في الخريدة : ما رئي قط قبل ذا

وهـــذا تجنيسٌ لفظي خطيٌّ تركيبي ، فأما الخطُّ واللفظُ فواضحان ، وأما التركيب فالكلمتان في عدته متساويتان ، وذلك أنّ الواوَ في الأولى عاطفة ، وهي في الثانية من أصل الكلمة ، والنونَ في الأولى من أصل الكلمة ، وفي الثانية ضمير جماعة المؤنث ، فأما الهاء فهي في الأولى تاءُ التأنيثِ المبدلةُ هاءً في الخطِّ والوقف ، وفي الثانية ضميرُ المفعول الذي هو المغرم .

وهو يُكثِرُ من استعمال هـذه الطريقـة ، وهي من أحسنِ ضروبِ التجنيس ، فمن ذلك قولُه : [٢٠١]

وقـــدْ كان رأيُك ركني الـــذي

عليـه اعتمـــادِي وهـَا قـَدْ وَهـَى

ومن هذه الأبيات :

ترى الشمسَ يسمو بهـــا أَوْجُهَـا

إذا قابَلَـتْ منهـــمُ أَوْجُهَـــا

والمملوكُ يختم هذا الجزءَ ببعض ما لهذا المملوكِ محمودٍ من الخِدَم الشريفة،تَحَرِّياً للصدق الذي لايشوبُه إفك،وعملاً بقول الله ــ عز من قائل ــ : « خِتامُه مسك »(١) فمن ذلك قولُه من قصيدة :

لي مُهجـــةٌ جفنـــاك قــد فتناهـا

وبغى العـــدوُّ أذاتَـهـــا فتَنَاهَى

(١) سورة المطففين : ٢٦

ما كــــان أفتاهــــا بوصلي رحمـــةً

فمن ِ الـــذي بقطيعـــتي أَفتَاهَا ؟

آهاً لمـــا صَنَـع الهوى بـــل واها

فيــه تَلَــذُّ نفوسُنَا بلواهــا

ندِيَّةُ الأردانِ يفعــم نَشْرُهــا

فكأنّــهُ أوصــافُ شاهنشاهــا

هادي الدُّعَاةِ الأفضلُ الملكُ الـذي

فَخَرَ الزمــانُ بما أتـــاهُ وتاهــا

قــد كان عُدم العـــدل أقنطَ أنفُساً

فَجَعَلْتَهَا تَقْوَى عـــلى تقواهــا

وقولُه من قصيدةٍ أخرى :

إنّي لأشكر بَدْرَ الخِدْرِ حينَ بَدَا

وقـــدْ تقـــاربَ حيَّانَا فحَيَّانــا

يُرضي الهَوَى والتُّقَى والعاذلاتِ فما

ينفكُّ يجمَــــعُ إحْصَانَاً وإحسانا

إن طــالما أوضَعَتْ في الغَيِّ راحلــتي

فقــد حَمَانيهِ وَصْفُ الأفضلِ الآنا

سيفُ الإمامِ الذي فَخْرُ الملوكِ بأنْ
غَدَتْ تعفّرُ في ناديــهِ تيجـانا [٢٠٢]

يَقْرِي العيونَ جمالاً والعُفاةَ جَدًى
مِلءَ الأمـانيِّ والجانـينَ غُفرانا

أغليتَ قيمةَ هـذا النظـم فارتفعَتْ
وكان كَـسْلاً عـلى الأذهانِ إذْ هَانَا

فما يجورُ زمـانٌ أنت مالِـكُـهُ
ولا يُرَوِّعنا ما دُمْـتَ تَرْعَانا

قد أورد المملوك في رسالتهِ ومُخْتَصرِه ما يدُلُّ على عَجْزِه عن مُفْترط الخدمـةِ الشريفة وحَصَرِه ، ولا غَرْوَ أن يكونَ اجتهادُهُ متأخِّراً عما يَلزمُ ويجِبُ ، إذ كانَ المقام الأعظَمُ ممَّا يخفِقُ كلُّ قلبٍ لمهابتهِ ويجِبُ ، والله ــ سبحانه ــ يحرس عليه رأيَ مالكهِ وسلطانهِ ، ويُقرِّبُهُ من خـدمتهِ فيما يليق بمساكنِ مثله وأوطانه ، بجوده السابغ وإحسانه ، وفضله الغـامر وامتنانه ، إن شاء الله عَزَّ وجلَّ . [٢٠٣]



(٧)

رسالة التدلي على التسلي



رِسالَةٌ

سَمَّاها التَّدَلِّي عَلى التَّسَلِّي

من دلائل تَفَرُّد الله بتدبير بَرِيَّتِه، وشَواهد جَرْي الأمور على إرادته ومَشيئته، وحُجَج وَحْدَانيَّتِه التي مَنْ جَحَدها أبانَ جَهْلاً وعَنَتاً، وبراهين ما أخْبَرَ به في قوله: «لو كانَ فيهِمَا آلهةٌ إلا اللهُ لفَسَدَتَا» (١) أنَّهُ سبحانَهُ يُحْمَدُ على ما يَسْلُبُهُ كَمَا يُحْمَدُ عَلى ما يَهَبُهُ، ويُشْكَرُ عَلى مَا يُزْعِجُ وَيَضُرُّ كَمَا يُشْكَرُ عَلى مَا يُبْهِجُ وَيَسُرُّ، فَجِيءَ القُلُوبَ ما يُحدثُ فيها انصداعاً، وَدَهِمَ العُقُولَ ما يكادُ يُطَيِّرها شَعَاعاً، لم يَلْفِتْهَا الجزَعُ عن حَمْدِه - جَلَّ وعزَّ وعَلا - ولم يَمْنَعْهَا الوَلَهُ من الرِّضى بقضائه، وإنْ تحمَّلَتْ منه باهِظاً مُثْقِلاً. فالحمد لله الذي لا يُحْمَدُ عَلى المكروهِ سواهُ، ولا يخرجُ شيءٌ من مصنوعاته عن الشهادة له بأنَّهُ إلهٌ، وصلَّى الله على سَيِّدنا محمدٍ نبيِّه الذي حباه الشرفَ الباهرَ، وآتاهُ الفضائلَ الجمَّةَ والمفاخرَ، وأحسَنَ العزاءَ لأُمَّتِه في قوله: «لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ واليومَ الآخِرَ» (٢). وعلى أخيه وابن عَمِّه أميرِ المؤمنين عليِّ بن أبي طالب الذي تَوَلَّى

(١) سورة الأنبياء : ٢٢

(٢) سورة الأحزاب : ٢١

[٢٠٤] من رسولِ اللهِ ــ صلى الله عليه ــ ما أبان به عن حُسنِ صَبرِه ، واعتزل أمورَ الدنيا جانباً إلى أن واراه ــ عليه السلامُ ــ في قبره ، مع ما تداخَلَ النفوسَ يومئذٍ من الحسرات ، وفُجِعَتْ به من الطوارق المُستَنْكَرات ، حَتَّى غدا ذوو الجَلَدِ في قبضةِ الهَلَعِ مُوثَقين أُسارَى ، وظَلُّوا كما قال الله ــ عزَّ من قائل ــ : « وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى » (١) وعلى آلهما الأئمةِ الأبرار ، الذين اهتُضِموا حيث حَلُّوا من الأرض وكانوا ، وظُلِموا فما وَهَنُوا لما أصابهم في سَبِيلِ اللهِ وما ضَعُفُوا وما استكانوا ، إلى أن استَثْمَرُوا من الصَّبْرِ استعادَةَ حَقِّهم ، وضَيَّقوا على أعدائهم مسالِكَ طُرقِهم ، وسَلَّم عليهم أجمعين تسليماً ، وزادهم تشريفاً وتكريماً وتعظيماً .

وإنَّ من حكمةِ الله ــ تعالى ــ وقُدرتهِ ، وخَفِيِّ علمِه في تدبير خليقتهِ ، أن جعل أهل الدنيا فيها متفاضلين ، وعند فراقها متساوين متماثلين ، إذا نَزَل بهم حَدَثُ الموت لم يَتَمَيَّزْ فيه قويٌّ من ضعيف ، وإذا تَجَرَّعوا كأسَهُ لم يَخْتَصَّ بِمُرِّ مذاقها مَشْرُوفٌ دون شريف ، وذلك يقينٌ لا مجال للشكِّ فيه ، وحق لا يَطُورُ الباطل بناحية من نواحيه ، [٢٠٥] وقد أَخْلَدَتِ النفوسُ إلى صِحَّتِه وركَنَتْ ، واطمأنَّتِ القلوبُ إلى حقيقته وسكَنَتْ ، لأنه أمرٌ حَتْمٌ قد عُلِمَ بالفطرة ، وغامضٌ من غَوامض الحكمة ، وسِرٌّ من أسرار القدرة ، وفي الصَّبْرِ على أَلَمِه المُوجعِ ، وتركِ الجَزَعِ الذي هو غير نافعٍ ولا مُنْجِع ، إيضاحٌ للتذلُّلِ والخشوع ، وإظهارٌ للتَّضَرُّعِ والخُضُوع ، وإبانةٌ عن الإخباتِ

---

(١) سورة الحج : ٢

لله ـ جَلَّ وعَزَّ ـ فيما شاءَهُ ، ودلالةٌ على رضى المخلوقِ بحكمِ خالقِه فيما سَرَّهُ وساءَهُ ، وذلك مُوصِلٌ إلى السَّلوةِ بأقوَى الأسبابِ وداعٍ إلى نيلِها مع إحراز الأجر الجزيل والثواب . ومن أبَى في الرُّزءِ إلا الأسى كانَ بُكَاهُ مُنتهى جُهدهِ . وما أحسَنَ قولَ الحسَنِ البَصْري : (الحمدُ للهِ الذي كلَّفَنَا ما لو كلَّفَنَا غَيْرَهُ لصِرنا فيه إلى معصيَتِهِ ، وآجَرَنا على مالا بُدَّ لنا منه) .

يقول : كَلَّفَنَا الصَّبْرَ ، وأكلَفَنا الجَزَع ، لم يُمكنّا أن نُقيم عليه وأَجَرَنا على الصَّبْرِ ولا بُدَّ من الرُّجوعِ إليه .

ثم إنَّ التأَسِّيَ يُسَهِّلُ المصاعب ، ويُهَوِّنُ المصائب ، فللهِ ابنُ دريدٍ في قوله (١) :

وفي خُطُوبِ النَّاسِ للناس أُسَى

[٢٠٦] وإنْ كانت الخنساءُ قد غَلَبَتْ على هذا الباب في المشهور من قولها (٢) :

ولولا (٣) كَثْرَةُ الباكين حولي
على إخوانهم لقَتَلتُ نفسي

---

(١) هو عجز بيت من المقصورة ، ورواية البيت بكامله
هيهات مهما يُستَعَرْ مسترجَعٌ وفي خطوب الدهر للناس أسى
انظر ديوانه : ١٣٤

(٢) ديوانها : ١٥٢ ـ ١٥٣

(٣) في الديوان : فلولا

وما يبكـون مثـلَ أخي ولكـنْ

أُعَـزِّي النفسَ عنـه بالتأسِّي

وقد جَعَلَتِ العُذْرَ في تركها قَتْلَ نفسِها كثرةَ الباكين حولها . وأين هذا من قول الآخر :

ولقـد هممْتُ بقَتْلِ نفسي بعـدَهُ

أسفـاً عليـه فخِفْـتُ ألا نلتقي

فذكر أن عِلَّةَ ما هَمَّ به من قَتْلِ نفسِه الأسفُ على مَنْ فَقَدَه ، على أنَّ ذلك في قوة قولِ الخَنْساء . وإن علةَ الامتناعِ ما جاءَ في الحديث من أن قاتلَ نفسِه في النار . وقد وَثِقَ بحُصُولِ من فَقَدَهُ في الجَنَّة ، وطمعَ بها إذا لحقَهُ غيرَ قاتلٍ نفسَهُ . وهذا العُذرُ أَشْرَفُ من عُذرِ الخنساءِ ؛ لأنه للمخافةِ من عَدَمِ اللقاءِ في المآل ، وعُذرُ الخنساءِ إنما هو للتأسِّي .

فأما قولُ ابن الرومي (١) مناقضاً لهـذا الباب ، وذاكراً أنَّ التأسِّيَ غيرُ مُخَفِّفٍ للمُصَاب :

وما راحةُ المَرْزُوءِ في رُزْءِ غـيرِه

أيحمـلُ عنـه بعض ما يتحمَّـلُ

وضربٌ من الظلـمِ الخفيِّ مكانُهُ

تُعَزِّيك بالمرزُوءِ حـين تأمَّـلُ

---

(١) ديوانه (اختيار سيد كيلاني) ٤٥٧

لأنَّكَ يأسُوكَ الـــذي هو كَلْمُــهُ
بــلا سَبَبٍ لو أنَّ رأيك يعــدِلُ (١)

وقوله (٢) :

ومُعَـــزٍّ عن الشبـــاب مُؤَسٍّ
بمشيبِ اللِّـــداتِ والأصحـابِ (٣)

قلت ــ لمـا انتحى يَعُـــدُّ أُسَاهُ
من مصـــابٍ شَبَابُــهُ فَمُصَابِ [٢٠٧]

ليس تأسو كُلُـومُ غـيري كُلُومي
ما بـــه مـا بـهِ ، ومـا بيَ ما بي

وقولُ الآخر :

رأيـتُ التأسِّيَ ممـــا يَهِيـــجُ
عـــلى المـــرءِ ساكنَ أوصابـــهِ

وما نـــالَ ذُو أُسْوَةٍ سَلْـــوةً
ولكِـــنْ أتَى الحُــزْنُ من بابـــه

---

(١) في الديوان : بلا جرم لو آن جورك يعدل .

(٢) ديوانه (ط . حسين نصار) ٣٣٥ ، من أبيات يندب فيها شبابه وأولها :

يا شبابي وأين منّي شبابي ؟ آذنتني حبالُه بانقضاب

(٣) في الديوان ، والأتراب

تَذَكَّـــرَ في مثـــلهِ أو رآهُ
فَأَذْكَـــرَهُ ما بـــهِ ما بـــهِ

فذاكَ من تمويـهِ الفصيحِ وخُدَعِهِ ، وتَصَرُّفِ البليـغ وتَنَوُّعِهِ ، وإلا فالأولُ هو الصحيـحُ الذي جـاءَ في الكتابِ والسُّنَّةِ . قال الله ــ تعالى ــ : « قَدْ كَانَتْ لَكُـمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إبراهيمَ والذين مَعَهُ »(١)وقال : «لَقَدْ كانَ لكم فيهم أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » (٢) .

ولولا أنَّ الاجتمـــاعَ يُخَفِّفُ كلَّ ما ينوءُ ، والاشتراكَ يُهَوِّنُ صَعْبَ ما يَسُوء ، لما قال الله تعالى : « وَلَنْ ينفعَكُمْ اليومَ إذْ ظلمتُـمْ أنكُمْ في العـذابِ مُشْتَرِكون » (٣) لأنه نَفَى عنهم الانتفاعَ بالاشتراك في العَذَاب تغليظاً عليهم لما قدَّموه من الظُّلمِ .

وقـــال رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم : (تأسَّوا في مصائبكم بي) .

وذلك في كلامِ البُلَغَاءِ ، ونَظْمِ الشُّعَراءِ أكثر من أنْ يُحاطَ به .

معلوم أن مالكنا الملك السيدّ الأجل الأفضل ، ونعوته والدعاء

---

(١) الممتحنة : ٤

(٢) الممتحنة : ٦

(٣) الزخرف : ٣٩

له [.........] (١) سَيِّدُ مُلُوكِ الزَّمن ، ومن فاز بجزيلِ [٢٠٨] ثَوَابِ اللهِ في حَالَتَيْ المَسَرَّةِ والحَزَنِ . أمَّا المَسَرَّةُ ؛ فلأنَّهُ يشمل بها جميع عَبيده ورَعيَّته ، ويستخلِصُ دعاءَ كلٍّ منهم بكريم فِعْلِه وجميل نيَّته ، وأمَّا في الحَزَن ؛ فإنَّهُ يَستَعْمِلُ حُسْنَ الصَّبْرِ في الأُمورِ التي لا حيلة في دَفعها ، وَيَدُلُّ بذلك على استحقاقه ما خَصَّهُ اللهُ بهِ من إعلاءِ المنزلةِ عندَهُ وَرَفْعِها ، لا يُرى في العَظَائمِ إلا صابراً مُسْتَرجعاً . ولا يَنْفَكُّ وَجْهُهُ إلا مُسْفِراً وإنْ كانَ مُتَوَجِّعاً مُتَفَجِّعاً ، إذا نازَلَهُ هَمٌّ لقيَهُ مِن الرِّضَى والتسليم بالجيشِ اللَّجِبِ المَجْرِ ، وإذا سَمَا إليه خَطْبٌ عَرَفَ شَرَفَ ما ينالُهُ في الصَّبْرِ عليه من جزيل الأَجْرِ ، على أنَّ مَحلَّهُ أَعْلى وأعظَمُ من أنْ يكونَ من الأقدارِ إلا مخدُوماً ، ومكانَهُ من اللهِ ــ جلَّ وعَزَّ ــ يكادُ يجعله من الأمور الحَتْميَّةِ مُوَقَّى مَعْصُوما . ولمَّا طَرق ــ خَلَّدَ الله ملكَهُ ــ بالحادثِ الجَلَلِ ، ودَهِمَ بالرُّزْءِ الذي لولاهُ لَرُمِيَ عَرْشُ المملكةِ بالثلل ، من وفاة أخيهِ من جهة نسبتهِ ، وَوَلدِه لكفالته إيَّاهُ وتربيتهِ :

ومن كان يَسْتَعْفي الإلهَ إذا اشتكى
من الأجر في الشكوى وإن عَظُم الأجر

الأجَلّ المُظَفَّر ، سيف الإمام ، جلال الإسلام ، شرف الأنام ، ناصر الدين ، خليل أمير المؤمنين ، الذي حَلَّت وفاتُهُ من كلِّ عين عَقْدَ وكائها ، وأَجْرَى فَقْدُه سواد النواظر [٢٠٩] في نجيع

(١) في الأصل بياض بمقدار كلمة .

بكائها . وبَعَث القضاءُ فيه بأجْوَرِ حُكْمِه ، وأنْكَرِ فعلِه ، وشوهِد من يومِهِ الأنْكَدِ الشنيعِ ما لم تتمخَّضِ المَنُونُ بمثلِه :

ما إنْ سَمِعْنَا بطَوْدٍ قَبْلَهُ طَفِقَتْ
أناملٌ تتهادَاهُ ورَاحَاتُ

تنافسَتْ أَعْيُنُ الباكِينَ حين بَكَوْا
كأنَّمَا أعْيُنُ الباكِينَ ضَرَّاتُ

ولقد عَفَّتْ منيَّتُهُ سبيلَ التماسُكِ والجَلَدِ ، وأتَتْ غبطَتُهُ بما لم يَجْرِ في الخاطِرِ ولا جالَ في الخَلَدِ ، لأنَّهُ ـ قَدَّس اللهُ روحَه ـ صار إلى رَحْمةِ اللهِ ورضوانهِ ، وانتقَلَ إلى جوارِهِ وسُكْنَى جنانِهِ ، وهو في ريعانِ عُمرِهِ وأوَّلِهِ ، وشَرخِ شبابِهِ ومستقبلِهِ ، مع حُسْنِ تركيبِهِ وبِنيتِهِ ، والحكماء في خدمتِهِ وتدبيرِ صِحَّتِهِ :

بنفسيَ مولى أسْلَمَتْهُ عَبِيدُهُ
ومرتحِلٌ لم ينتظِرْ أنْ يُوَدَّعَا

لقد راضَهُ الموتُ الكريهُ مذاقُهُ
ولو لم يُرَضْ لم يَرْضَ بالأرضِ مَضْجَعَا

ولا اتَّخَذَ الغَبْراءَ دارَ إقامةٍ
وقد كانَ مَثْواهُ من النَّجمِ أرفَعَا

فلستَ ترى إلا مختنقاً بِعَبْرته ، مُتَنَفِّساً عن نار حَسْرته ، عادماً لسُكُونه وَصَبْره ، باكياً على انقطاع أمله ، وانفصام ظَهره :

والناسُ مأْتَمُهُمْ عليهِ واحِدٌ
في كُلِّ دارٍ رَنَّةٌ وزَفيرُ

فما يغتبطُ بدُنْياهُ مَنْ تأمَّلَ هذا الحَيْن ، ولا يأمن فيظَ (1) النفسِ [٢١٠] إلا من طمِعَ بالصَّبر وأينَ وأينَ ؟

وكلُّ أسى لا تذهبُ النَّفْسُ بعدَهُ
فما هُوَ إلا من قَبيلِ التَّصَنُّعِ

ولئن مَضَى إلى جوار اللهِ الكريم ، وانتقلَ إلى ما أُعِدَّ لهُ من النَّعيم المُقيم ؛ فللكَافَّة من مالكها ـ ثبَّتَ الله دولَتَهُ ـ مَنْ دوامُ ظِلِّه مُسَلٍّ عن كلِّ مُوَلٍّ ، وبقاؤُهُ مُحْسِنٌ الخَلَفَ عن كلِّ من مَضَى وسَلَفَ :

لم يَستحقَّ الدهرُ كونَكُمَا معاً
فيه فَعَوَّضَ قاطِناً بِمُوَدِّعِ

واللهَ يجعَلُ كلَّ الأعمار زيادَةً في مُدَّته وعُمْره ، ويجيب فيه ما يرفَعُهُ الحريصُ في سرِّه وجَهْره . بكرمه ، وطَوْله ، وقُدْرَته وفَضْله .

---

(1) الفيظ : الموت

ولمّا كانَتْ خِدْمةُ مجلسِهِ العالي ـ ثَبَّتَ اللهُ سلطانَهُ ـ فرْضاً على عَبيد مملكتِهِ ، وحَقّاً لاعُذرَ في التَّخَلُّفِ عن تأديتِهِ ، وقد صَنَعَ شُعَرَاءُ المقامِ الأشرف ـ ضاعفَ اللهُ سعودَهُ ، ونَصَرَ أحزابَهُ وجنودَهُ ـ في هذا البابِ ما أرْبَوْا فيه على من سَبَقَهُمْ ، وآيَسُوا غيرهم من أنْ يلحقَهُمْ ؛ بادرَ المملوكُ بهذه الخدمة ، وأنشأ ما يأتي ذِكْرُهُ في هذه الحادِثَةِ المُلِمَّةِ على ما هو عليه من الحالِ التي ضَلَّت معها العقول ، وحَجَزَتِ الأحزانُ فيها بين القائلِ والمَقُول .

والذي صَنَعَهُ المملوك : [٢١١]

إن كان الدَّهْرُ قد فَجِيءَ بفادِحِ المُصيبةِ ، ورَمَى بسهامه المُصْمِيةِ المُصيبَةِ ، وبالَغَ في الفجيعةِ الفظيعةِ ، وسَعَى بين الأرواحِ والأجسامِ بالفِراقِ والقطيعة ، وطرقَ من المُصَاب بالأَجَلِّ المُظَفَّرِ ـ كرَّمَ اللهُ مثواهُ ـ بما مَنَعَ الطَّرْفَ وسَنَهُ ، وفَتَّحَ من الصَّبْرِ مُسْتَحسَنَهُ ؛ فما حَكَّمَ مُداهُ إلا في مفاصِلِهِ ، ولا مكَّنَ ظُبَاهُ إلا من مقاتِلِه ، ولا سَطَا إلا على قَمَرِهِ المُنيرِ فأخْفَاهُ ، ولا عَدَا إلا على رَوْنَقِهِ المُونِقِ فَطَمَسَهُ وعَفَّاهُ :

إنْ خَانَ فيه الدهرُ عندي إنما
في نقصِهِ وعلى محاسنِهِ سَعَى

في كلِّ يومٍ عَثْرةٌ من صرفِهِ
لا تُسْتَقَالُ بأنْ يُقَالَ لها : لَعَا

فيا لله ! ما أعجَبَ فِعْلَهُ ، وأبينَ جَهْلَهُ ، وأقبَحَ إساءتَهُ إلى نفسِهِ ، وأشنَعَ سَوادَ يومِهِ بَعْدَ بياضِ أمسِهِ :

يومٌ أظَلَّ بغمَّةٍ لا يشتفي   فيها الهُدَى وبغمَّةٍ لا تنجلي

وأعجَبُ من ذلك انطلاقُ الأيدي بعده ـ شرَّف الله ضريحَهُ ـ بتحقيق خَبَرِ فَقْدِه ، والإقدام على التَّعزية عنهُ وقد عُدِمت العقول من بعده ، فوا لهفَاهُ على مُضيِّه وذهابِه ! ووا أسَفَاهُ على ما فَعَلَهُ الدهرُ ، ودهَى به ! ووا حَسْرَتاهُ ! ما أمَرَّ العيشَ لما مَرَّ ! ووا حربَاهُ ! لقد أساءَ القدَرُ فيه بعد ما سَرَّ : [٢١٢]

لئن حَسُنَتْ فيه المراثي وذِكْرُها
لقد حَسُنَتْ ـ من قبلُ ـ فيه المدائحُ

ولله مطيع بن إياسٍ في قوله (١) :

يا أهْلِ ، بَكُّوا لقلبيَ القَرِحِ
وللدُّموعِ الهَوامِلِ السُّفُحِ
يا خَيْرَ من يَحْسُنُ البكاءُ له الـ ...
... يومَ وإنْ كانَ أمسِ للمِدَحِ

ومعَ هذه الحال فلَيْسَ إلا التسليمُ والرِّضى ، والتَّقبُّلُ لما حكَمَ اللهُ به وقَضَى ، والتَّصبُّرُ وإنْ كانَ عن لا تجِدُ النفوسُ منه عوضاً . على أنَّ النعمة بالمقَام الأعظمِ المالكي ـ ثبَّتَ

---

(١) البيتان في الأغاني (ط الثقافة) ١٣/٢٩٠ ، وهما من أبيات في رثاء يحيى بن زياد ، وانظر شرح الحماسة للمرزوقي : ٨٥١ ، وفي وفيات الأعيان : ٤/٩٠ البيت الثاني فقط .

اللهُ سلطانَهُ ـ قد ألانَتْ قلوباً على الدَّهرِ قاسية ، والموهِبَةَ في امتداد ظِلِّهِ قد غدَتْ مُصْلِحَةً لهذا الكَلْمِ آسِيَةً :

صَبَرْنَا على حُكْمِ الزمانِ الذي سَطَا
علـى أنَّهُ لولاكَ لـم يُمْكِنِ الصَّبْرُ
عَرَانَا بِبُؤْسَى لا يُماثِلُهَـــا الأسَى
وإنَّكَ نُعْمَى لا يقـومُ بهَـا الشكرُ
فأوجَبَتِ الأولى المـــلامَ فَلَمْ يُلَمْ
وأنَّى له لَوْمٌ وأنتَ لـه عُـــذْرُ !

فالحمد لله الذي جعَلَ المقَـامَ المالكيَّ الأفضليَّ مُسْتَقيِاً للدِّماء ، مُجَدِّداً ملابسَ النَّعماءِ ، مُسْتَقِرَّةً به الرَّأْفةُ في الأرضِ كما استقرَّتْ الأدعيةُ في السَّماءِ ، وضاعَفَ اللهُ للأمَّة بتخليد مُلكه ضُروبَ المِنَنِ ، وجَعَلهُ من حوادثِ الدَّهْرِ في أمْنَــعِ المعاقِـلِ وأحْصَنِ الجُنَنِ . بِمَنِّهِ ، وطَوْلِـهِ ، وقُدْرَتِهِ ، وحَوْلهِ .

[٢١٣] والملوكُ يَتْبعُ ذلك بلُمْعةٍ من أحْسَنِ ما يَرْويهِ المتأخرين في بابِ التعازي نظماً ونثراً . على أنَّ منها ما يُلْهِبُ في الضُّلوعِ ناراً ، ثم يَسْتَخْرِجُها من العُيونِ أدمعاً غِزاراً :

يا عجبــاً من حُرَقَـــاتِ الجَوَى
تَصْعَدُ نيراناً وتَجْري ميـــاه (١) !

---

(١) البيت لابن شرف القيرواني ، وقد ورد مع بيت آخر قبل صفحات ، وسبق تخريجه ، وكان برواية : حرقات الهوى .

والناسُ ـ وإنْ رغّبوا في التسلّي ، وحثّوا على حُسْنِ التّعزّي ؛ عالمون أنّ في إفاضة الكئيبِ لدمعتهِ ما يُذْهِبُ من لوعتهِ ، وفي إرسالهِ لعبرتهِ ما يُعينُهُ على سَلْوَتهِ .

يُروَى عن سليمانَ بنِ عبد الملك أنه قال ـ عند مَوْتِ ابنه أيّوب ـ لعمرَ بن عبد العزيز ورجاءِ بن حَيْوَةَ : إني لأَجِدُ في كبدِي جَمْرةً لا تُطْفِئها إلا عَبْرَةٌ ، فقال عمر : اذكُرِ اللهَ يا أمير المؤمنين ، وعليك بالصّبر . فنظر إلى رجاءِ بن حَيْوَةَ ـ كالمُسْتريحِ إلى مَشُورتهِ ـ فقال رجاءٌ : أفِضْها يا أمير المؤمنين فما بذاك من بأسٍ ؛ فقد دمَعَتْ عَيْنا رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ على ابنهِ إبراهيمَ ، وقال : تَدْمَعُ العينُ ، ويحزَنُ القلبُ ، ولا نقول ما يُسْخِطُ الرّبّ ، وإنا عليك يا إبراهيمُ لَمَحْزُونُون . فأرسل سليمانُ عينَهُ فبَكَى حتّى قَضَى أَرَباً ، ثم أقبَلَ عليهما ، فقال : لو لم أَنْزِفْ هذه العبرةَ لانْصَدَعَتْ كَبدي . ثم لم يَبْكِ بعدَهَا ، لكنّهُ لمّا دفَنَهُ ، وحثا عليه التّرابَ [٢١٤] قال: يا غلامُ ، دابّتي ، ثم التَفَتَ إلى قبرهِ ، فقال متمثّلاً(١) :

وَقَفْتُ علــى قبرٍ مُقيمٍ بقَفْرَةٍ
مناخٌ (٢) قليــلٌ من حبيبٍ مُفَارقِ

فمن مليحِ هذا الباب قولُ الشّريف الرّضي (٣) :

(١) القصة والبيت في كتاب التعازي والمراثي : ١٤٤ ـ ١٤٦

(٢) في التعازي : متاع قليل ...

(٣) ديوانه : ٢/٢٠٢ ، وهما من قصيدة يرثي فيها الصاحب أبا القاسم إسماعيل بن عباد ، ومطلعها :

أكذا المنونُ تقنطرُ الأبطالا ... أكذا الزمانُ يضعضِعُ الأجبالا

خَبَرٌ تَمَخَّضَ بالأَجِنَّةِ ذِكْرُهُ
قتلَ النفوسَ (١) وأسلف البلبا [لا] (٢)

الشكُّ أبرد للحشَى في مثلهِ
يا ليتَ شكّي دام (٣) فيه وطا [لا] (٤)

ينظر إلى هذا المَعْنى قول مهيار (٥) :

كم قد تَعَلَّلَتِ المُنَى بك تارةً
أمنٌ ، وطوراً خيفَةٌ وحِذَارُ

وتخالفَتْ فيكَ الرُواةُ فَسَرَّني
وتلَوَّنَتْ بحديثِكَ الأخبارُ

ولقد ظنَنْتُ بها وراءَ لثامها
خيراً ، فكشَّفَ قبْحَهَا الإسفارُ

(١) في الديوان : قبلَ اليقينِ
(٢) طمس في الأصل ، والزيادة من الديوان
(٣) في الديوان : فيه دام
(٤) طمس في الأصل ، والزيادة في الديوان
(٥) ديوانه : ١/٤٢٤ ، والأبيات من قصيدة يرثي بها الصاحب أبا القاسم ابن عبد الرحيم ومطلعها :

منْ حاكمٌ وخصومي الأقدارُ كثُرَ العدُوُّ وقلّتِ الأنصارُ

ما كنتَ أولَ كوكبٍ نَزَلَ الـــدُّنَا
وسَمَـــا إلى نُظَـرائـــهِ فَتَعَـــالى (١)

لا رُزْءَ أعظَــــمُ من مصابك إنَّـــهُ
وَصَلَ الـدموعَ وقَطَّعَ الأوصَالا

ألا أقالَتْكَ الليـــــالي عَثْـــرةً
يا مَنْ إذا عَثَرَ الزَّمـــــانُ أقَالا

لِمَنِ الصَّوارِمُ عُرِّيتْ أمطاؤُهَا
حَوْلَ الخِيَامِ تنــازِعُ الأطوَالا (٢)

بُدِّلْنَ من لُبْسِ الشَّكِيمِ مقاوِداً
مربوطَـــــةً ومن السُّرُوجِ جِـلالا

فُجِعَتْ بمُنْصَلِتٍ يُعَرِّضُ للقنـا
أعناقَهَـــا ، ويُحَصِّنُ الأكفـــالا

★ ★ ★

وهذا من قَوْلِ أبي الفرج البَبَّغَاء (٣)

---

(١) انتقل المصنف انتقالاً مفاجئاً من أبيات مهيار الى هذه الأبيات اللامية السابقة التي هي للشريف الرضي كما في ديوانه : ٢/٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

(٢) في الديوان : لمن الضوامر ..... الأمطالا

(٣) ورد البيت في اليتيمة : ٢٨٣/١ ، مع بيتين آخرين ، وقد سبق تخريجه

يلقى الطّعـــان بصدرٍ منــه ليس له

ظهرٌ وهَادِي جوادٍ ما له كَفَـــلُ

* * *

إنْ طوّحَ الفَعَّـــالَ دَهْرٌ ظالــمٌ

فلقَــدْ أقــامَ وخلّــدَ الأفعـــالا (١)

طلبوا التُّراثَ فلم يَرَوا من بعــده

إلا عُــلى وفضائِلاً وجَــلالا [٢١٥]

هيهــات فاتَهـــمُ تراثُ مُخاطِرٍ

حفِظَ الثّنَــاءَ وضَيَّعَ الأَمْوالا

قد كان أعرَفَ بالزمـــانِ وصرفهِ

من أنْ يُثَمِّرَ أو يُجَمِّـــعَ مالا

وأَرَى الكمال جَنَى عليـهِ لأنّهُ

غَرضُ النوائبِ من أُعـــير كمالا

صَلّى الإلــهُ عليك من مُتَوَسِّدٍ

بعــــد المِهَــادِ جَنَادِلاً ورمالا

طرَحَ الرِّجـــالُ لك العمائمَ حَسْرَةً

لمَّا رأوكَ تَسِيرُ ، أو إجــــلالا

---

(١) الأبيات من القصيدة السابقة للشريف .

يريـد : حسرةً وإجـلالا ، وأو ها هنا بمعنى الواو ؛ قال الله ـ تعالى ـ : « ولا تُطِـعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً » (١) ،
وقال الشاعر (٢) :

أتَى الخلافَةَ أو كانَتْ له قَـدَراً
كما أتى رَبَّهُ موسى عـلى قَدَرِ

وقال آخر :

وقد زَعَمَتْ ليـلى بأنّي أُحِبُّها
لنفسي تُقَاها أو عليهـا فجورُها

وقال مهيار (٣) :

كنتَ خبيئاً ترقُبُ الأيـامُ في
ظهـورهِ (٤) الميقـاتَ أو تراصِـدُ

---

(١) الانسان : ٢٤

(٢) البيت لجرير ، انظر ديوانه : ١/٤١٦ ، وروايته هناك :
نال الخلافة إذ كانت له قدراً
وهو من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز ، مطلعها :
لَجَّتْ أُمـامةُ في لومي ومـا عَلِمَتْ
عَـرْضَ السماوة روحـاتي ولا بُكَـري

(٣) ديوانه : ١/٢٩٤ ، وهو من قصيدة كتب بها في النيروزة الى أبي الحسن جابر يهنئه وينتصِرُه على قوم كان يستضرُّ بمعاملتهم في معيشته له ، وأولها :
جَمَّ لها الوادي وعَزَّ الذائد وطابَ ما حَدَّث عنها الرائدُ

(٤) في الديوان : إظهاره

ولا يصحُّ الوزنُ بالواو ؛ لأنَّ الكفَّ لا يجوز في الرجز ٠

قالوا ــ وقد فُجِئوا بنعشِكَ سائراً ــ

من مَيَّلَ الجَبَلَ العَظيم فمالا (١)

وهو يُكثر من هذا المَعْنى كقولِه (٢) :

أتنظُـر كيف تَسْفَعُ بالنَّواصي

ليالينـا وتعثـر بالجبـالِ

وقولـه (٣) :

جَبَلٌ هَوَى لو خَرَّ في البَحْرِ اغتدى

من وقعِهِ مُتَتَابِعَ الإزْبادِ

ما كُنتُ أحسبُ(٤)قَبْلَ حَطِّك في الثَّرَى

أنَّ الثرى يعلو على الأطوادِ

وقولـهِ (٥) :

إنْ كانَ ذاك الطَّوْدُ خَرَّ فبعدما استَعْلَى طويلاً[٢١٦]

---

(١) البيت من قصيدة الشريف الرضي السابقة ٠

(٢) لم نجده في ديوان الشريف الرضي

(٣) ديوان الشريف : ١/٣٨١ ، من قصيدة يرثي بها أبا إسحاق إبراهيم ابن هلال الصابىء ومطلعها :

أعلمتَ من حَمَلوا على الأعوادِ

أرأيتَ كيف خبا ضياءُ النادي

(٤) في الديوان : أعلم ٠

(٥) ديوانه : ٢/١٩٤ ، وهو مطلع قصيدة له يذكر فيها أيام الخليفة الطائع لله لما خلع ويرثيها ٠

وقوله دعاءً لمريض (١) :

لا زَعْزَعَتْكَ الخُطوبُ يا جَبَلُ •

وقولـــه (٢) :

أيُّ طَـــودٍ لك من أيِّ جبـــالِ
لَقِحَتْ أرضٌ بهِ بعـــد حِيَـالِ

ما رَأَى حَيًّا (٣) نزارٍ قَبْـــلَهُ
جبـــلاً سارَ عـــلى أيدي الرِّجـال

ومن مليح مافي هذه القطعة :

عجبـــاً أصبحـــتَ للضَّيـــم وما
نَشَـــر الطَّعنُ أنابيـــب العَـــوالي

لا أرى الدَّمْـــعَ كَفَـــاءً للجوى
ليس أنَّ الدَّمْـــعَ من بعـــدك غالي

وبرغمي أنْ كسَوْنـــاك الثَّـــرى
وفرشْنَـــاك زرابيَّ الرِّمـــال

---

(١) ديوانه : ٢/١٣١ ، وهو صدر مطلع قصيدة قالها في الملك قوام الدين ، وقد ورد الخبر بشكاة عرضت له ، ثم نهض منها واستقل ، والبيت بتمامه :

لا زعزعتك الخطوب يا جَبَلُ وبالعدا حلَّ لا بك العِلَلُ

(٢) ديوانه : ٢/١٩٧ ، وهما مطلع قصيدة يرثي فيها الخليفة الطائع لله •

(٣) في الديوان : حيُّ نزار

وهَجَرْتَاكَ علَى ضنٍّ الهَوَى
رُبَّ هجرانٍ على غيرِ تَقَالِ

كلُّ مأسورٍ يُرَجَّى فَكُّهُ
غيرَ من أصْبَحَ في قيدٍ (1) الليالي

لا تَقُلْ تلك قبورٌ إنَّما
هي أَصْدافٌ على غُرٍّ (2) لآلي

وقوله أيضاً (3) :

أرواحُنَا دَيْنٌ وما أنفاسُنَا
إلا قضاءٌ والزمانُ غَرِيمُهَا

لم يشفَعِ الدهرُ الخَؤُونُ لمُهْجَةٍ
في العُمرِ إلا عاد وهو خَصِيمُها

يا دَهْرُ كم أسْهَرْتَ (4) لي من ليلة
قد كُنْتُ قبْلُ ، أنامُهَا وأُنِيمُهَا

---

(1) في الديوان : في قيد

(2) في الديوان : على غير .

(3) ديوانه : ٢/٤٠٦ ـ ٤٠٨ من قصيدة يُعَزّي فيها الوزير أبا منصور محمد بن الحسن بن صالح عن والدته ، ومطلعها :

هي ما علمتَ فهل تُرَدُّ همومُهَا
نوبٌ أراقِمُ لا يُبَلُّ سليمُهَا

(4) في الديوان :

كم أسهرتني . . . . قد كنت فيك . . . .

إنْ كان رُزْؤُكَ ذا جسيماً فالـــذي

يُنْمَى إليك من الأمورِ جَسِيمُهَـا

فَتَعَزَّ (١) ، إنَّ من العَزَاءِ شجاعــةً

وأجَــلُّ (٢) ما عَزَّى نفُوساً خِيمُهَا

وقولـــه أيضاً (٣) :

إنَّ المنـايا مُعــدَّاتٌ (٤) لأنفُسِنَا

وإنْ أُمِـــدَّتْ بأعــوامٍ وأعــوامِ

نسعَى بأقدامِنَا عنهـــا فَتُدرِكُنَا

سَبْقَ الجيـــادِ وما تسْعَى بأقدامِ

مالي بِطَيِّ الليـالي غــيرَ مُكْتَرِثٍ

وما ورائِيَ منهـــا كانَ قُــدَّامي ؟! [٢١٧]

إنَّ الحياة وإنْ عَزَّتْ (٥) مخائِلُهـا

ظِلٌّ ، وإنَّ المُنَى أضغاثُ أحــلامِ

(١ـ٢) في الديوان : وتعزَّ ، وأعزُّ . .

(٣) ديوانه : ٢/٤١٣ ، والأبيات من قصيدة يرثي بها الملك أبا الفوارس شرف الدولة ابن عضد الدولة ومطلعها :

هــــل كـــان يومك إلا بعــــد أيامِ

سَبَقْتَ فيهـــا بإنعـــامٍ وإرغـــامِ

(٤) في الديوان : مُغرَّات

(٥) في الديوان : غرَّت

نامي البقاءِ إلى الذاوي تُراجِعُهُ
كَلا ، وما يرجعُ الذاوي إلى النامي

وقولــه (١) :

نغالِبُ ثم تغلبنا الليالي
وكم يبقى الرميُّ على النِّبَالِ

ونطمَعُ أنْ يَمَلَّ من التقاضي
غريمٌ ليسَ يَضْجَرُ بالمِطَالِ

يحطُّ السيلُ ذِروَةَ كلِّ طَوْدٍ
ويُهْوِنُ (٢) بالجنادِلِ والرِّمالِ

هي الأيامُ جائرةُ القَضايا
وملحِقَةُ الأواخِرِ بالأوالي

ولأبي الفرج الببغاء :

خَلَفَ المدائحَ بعدَكَ التأبينُ
عن أيِّ حادثةٍ يُعزَّى الدينُ

ما كان في الدنيا كيومِكَ مَشْهَدٌ
بَهَرَ العقولَ ، ولا أراهُ يكونُ

---

(١) ديوانه : ٢/٢١٢ ، والأبيات مطلع قصيدة يرثي بها تقية بنت سيف الدولة علي بن حمدان بن عبد الله بن حمدان ...

(٢) في الديوان : رُهوناً

لم يُبْقِ مَحْذُوراً فكـلُّ مصيبةٍ
جَلَلٌ لديه ، وكـلُّ خطبٍ دونُ

قَـرَّتْ عُيونُ المشركـين وطالمـا
قَـرَّتْ بـه للمسلمـين عيـونُ

ولابن مُعَلَّى الأندلسي (١) :

أمعتنِقَ الصَّعيد وكـانَ يَغْـدُو
عليـهِ وهو معتقِـلُ الصِّعـاد

أرى لُبْسَ الحِـدَادِ عليك مِمَّـا
يَشُقُّ عـلى المُهَنَّدةِ الحِـدادِ

ومن كلام الوزير أبي القاسم بنِ المغربيِّ :

ولقد سمعتُ نبأً من هذا الحادثِ الرائع ، وذَرْواً من هذا الخبرِ المكروهِ الطّلائـعِ ، فكنتُ كالظّبي أفزَعَهُ القَنَّاصُ ، وكالهارب لاحَتْ له الأشخاصُ ، فدافَعْتُ بتصديقهِ ، وتصامَمْتُ عن تحقيقِهِ ، فلمّا صَرَّحَ [٢١٨] مَخْضُ الاستخبار عن محضِ الحِذار ، فَقَدْتُ الحِسَّ فلا أدّعي ألماً ، وذقْتُ سُكونَ الموتِ فما أشتكي سَقَماً ، وغرِقْتُ في أمواجِ الوساوسِ ، وضيِّعْتُ

(١) هو الشاعر أبو إسحاق ابراهيم بن مُعَلّى الأندلسي أحـد شعراء الذخيرة وترجمته فيها : ٣/٨٤٠ ، والبيتان هناك من قصيدة رثاء طويلة أولها :

فلا تَغْتَرِرْك بهجة مستحيلٍ إذا ما الجمر عاد الى الرماد

بين أجبالِ الهواجس ، فلقَدْ كنتُ يومئذٍ ــ وكُلُّ يومٍ يومئذٍ ــ عجباً لِمُعْتَبِرٍ ، ومثلاً لِمُفْتَكِرٍ .

فأمَّا قوله : دافَعْتُ بتصديقه ، وتصامَمْتُ عن تحقيقه ؛ فهو من قول أبي الطَّيِّب (١) :

طوَى الجزيــرةَ حتى جاءني خَبَرٌ
فزِعْتُ فيه بآمــالي إلى الكــذب

وقد أخَذَهُ ابن سَعيد الحلبي (٢) ، فقال ، وأحسَنَ :

أتاني وعَرْضُ البيــد بيني وبينَــهُ
حــديثٌ لأسرارِ الدُّموعِ مُذِيــعُ

تصامَمْتُ عن راوِيــهِ حتى آرَبْتُهُ
وإني عــلى ما غالني لسميـــعُ

ولمَّا سمِعَ ابن مكْنسة إذاعةَ سِرِّ الدموع قال :

دعوها تَفِضْ بَعْدَ دَمْعٍ نَجِيعــا
نَهَاهَا النُّهى فأبَتْ أنْ تُطِيعــا

---

(١) ديوانه : ١/٨٧ ، من قصيدة يرثي بها اخت سيف الدولة ــ وقد توفيت بميافارقين ــ ومطلعها :

يا أخــتَ خــيرِ أخٍ يا بنــت خــيرِ أبٍ
كنــاية بهمــا عــن أشــرف النسب

(٢) هو ابن سنان الخفاجي

وسِرٌّ تَبَدَّدَ في عَبْرَةٍ
وكنتُ جمعْتُ عليه الضُّلوعَا

ومن قطعة ابن سعيد :

فَلَهْفي على الآمالِ فيك فإنَّها
ثوابتُ لم يُقْدَرْ لهُنَّ شروعُ

وعَزَّ على ساري الدُّجَى أن يجوبَهُ
وما لك من بين النجوم طلوعُ

ألومُ عليك الوَجْدَ وهو مُبَرِّحٌ
وأعتِبُ فيك الدَّمْعَ وهو نَجِيعُ

وأعلمُ أنِّي ما منحتُكَ طائلاً
وهَلْ هي إلا زفرةٌ ودموعُ

وقول الوزير : فلقد كنتُ يومئذٍ ـ وكلٌّ يومٍ يومئذٍ ـ [٢١٩] فالأصْلُ فيه قولُ الأضْبَطِ بن قُرَيع ـ وكان سَيِّدَ بني سَعْدٍ ، وكانوا يؤذونَهُ ، فلما انتقلَ عنهم رأى غيرهم يَفْعَلُ فِعْلَهُم ، فقال ـ : بكلِّ وادٍ بنو سَعْدٍ (١) . فذهبَتْ مثلاً .

وأخَذَ هذا المَعْنى مُتَمِّم بن نويرة ، فقال يرثي أخاهُ مالكاً (٢) :

---

(١) انظر الخبر والمثل في البخلاء : ١٨٩

(٢) من أبيات الحماسة : ٧٩٧ ، وقبلهما بيت ثالث ورواية الأبيات :

وقالوا : أتبكي كــــلَّ قبرٍ رأيتَهُ
لقبرٍ ثَوَى بـــين اللِّوى فالـدكادكِ

فقلتُ لهــــم : إنَّ الأسى تبعث الأسى
دعــوني ؛ فهــذا كلُّهُ قبرُ مالكِ

وقال الحجّاج في خُطبةٍ له :

يا أيها الرجلُ ـ وكلكم ذلك الرجل ـ ...

ولأبي تمام (١) في هذا المعنى :

فلا تَحْسِبَنْ (٢) هنداً لها الغدرُ وَحْدَها
سجيــةَ نفسٍ كـــلُّ غانيـــةٍ هِنْــدُ

لقــد لا مني عنــد القبور عــلى البكا
رفيقي لتــذرافِ الدمـــوع السـوافك

فقــال : أتبكــي كــل قبــر رأيتَــهُ ؟
لقبــرٍ ثوى بين اللّــوى فالـدوانك

فقلتُ له : إنَّ الشّجــا يبعث الشجــا
فدعني فهــــذا كلّـــه قبرُ مالك

وردت الأبيات في الوفيات : ٦/١٧

ديوانه : ٢/٨١ ، وهو من قصيدة يمدح بهـا محمد بن الهيثم بن شُبَانة ، مطلعها :

تَجَرَّع أسى قــد أقفَرَ الجَرَعُ الفَرْدُ
ودَعْ حِسْيَ عَيْنٍ يحتَلِبْ ماءها الوجْدُ

(٢) في الديوان : تَحْسَبَنْ

وللبحتري (١) :

بَلَوْتُهُمُ واحِداً واحِداً فكلُّهُمُ ذلك الواحِدُ

ومن أحسن ما خُوطب به المُعَزَّى قولُ أحمدَ بنِ سليمانَ (٢) :

جاءكَ هذا الصَّبْرُ (٣) مستجدياً
أَجْرَكَ في الصَّبْرِ فلا تُجْدِهِ

سَلِّمْ إلى اللهِ فكلُّ الذي
ساءكَ أو سَرَّكَ من عندِهِ

إنَّ الذي الوحشةُ في دارِهِ
تؤنِسُهُ الرَّحْمَةُ في لَحْدِهِ

ولمهيار (٤) :

كلُّ الصَّبَاحُ بموتِهِ عن ليلةٍ
نَفَضَتْ على وجهِ الصَّباحِ ظلامَها

---

(١) لم نجده في ديوانه

(٢) أبو العلاء المعري . والأبيات في ديوانه (سقط الزند) ٣/١٠٢٦ - ١٠٢٧

(٣) قال في الحاشية : (أظنه الرزء) وفي الديوان : الحزن .

(٤) ديوانه : ٣/٣٦٧ . وهما من قصيدة يرثي بهـا الشريف الرضي . مطلعها :

من جَنْبِ غاربَ هاشمٍ وسنامِها ولَوَى لُؤَيّاً فاستزلَّ مقامَها

فلئن مَضَى بِعُلاهُ (١) دَهْرٌ صانَها

فلقــد أتَى بِرَداهُ يــومٌ ضامَها

وتَصَرَّفَ في معنى البيت الأول ، فقال (٢) :

صَبَغَتْ وفــاتُكَ فيه أبيضَ فجرِه

يا لَلعيُونِ من الصَّبَــاحِ الأسْودِ [٢٢٠]

ثم قـــال (٣) :

ولئن غَمِــزْتَ من الزمــان بلـيِّنٍ

عن عَجْمِ مِثلكَ أو عَضِضتَ بأدردِ

فالسيفُ يأخذُ حُكمَــهُ من مِغْفَرٍ

وطُلىً ، ويأخُذُ منــه سِنُّ المِبْرَدِ

وأخَذَ هذا المعنى الخفاجي فقال :

لِتَطُــلْ ليالي الدَّهْرِ بعــدَك إنه

سِيَّانَ بــينَ صباحِــهِ وظلامِــهِ

---

(١) في الديوان : بعلاك .

(٢) ديوان مهيار : ٢٥١/١ ، وهو من قصيدة في رثاء الشريف الرضي مطلعهـــا :

أقريشُ ، لا لفــمٍ أراكِ ولا يدِ

فتواكلي ، غاض النَدى وخلا النَّدِي

(٣) من القصيدة السابقة

سَوَّدْتَهُ في ناظِرَيَّ كأنَّما
خَلَعَتْ لياليهِ على أيامهِ

وقال :

أشكو فراقَكَ ثم أعلمُ عندَهُ
أنَّ السَّبيلَ إلى لحاقِكَ مَهْيَعُ
وألومُ طُولَ اللَّيْلِ أرقبُ فَجْرَهُ
أو ما ظلامُ الليلِ بعدكَ أسفعُ

وقال :

قد سألنا أطلالكُمْ فأجابت
ومن الصَّمْتِ واعظٌ ونذيرُ
يا سوادَ الهُمومِ صرتَ على الأَيَّ ...
... ـامِ لمَّا ضاقتْ عليك الصُّدُورُ

ولمهيار مما لا يجوز أنْ يتمثَّل بثانيه إلا شاعر (1) :

أبكيك لا ما تَسْتَحِقُّ وجهدُ ما
تسَعُ الصبابةُ أنْ تَسيلَ محاجري

(1) ديوانه : 1/347 ، والبيتان من قصيدة يعزي فيها الشريفين الرَّضي والمرتَضَى عن خالهما أبي الحسين بن الناصر العلوي ، وكان توفي فجأة ، ومطلعها :

خدَعَ الزمان مودةٌ من ثائر ومنى الحياة وتيرة من غادر

وأشـــارك النّوّاح فيــك بأنّني

أبكيك (١) ، والتأبين نوح الشاعر

وهذا المعنى أيضاً مما تصرّف فيه فقال (٢) :

خـان بكـــاء العـــين أجفانَه

فناح ، والنوح بكـــاء الفـــم

وقـــال (٣) :

إن أنفدت (٤) عيني عليك دموعها

فليبكينّك بالقـــوافي مقـــولي

وما أحسن قوله في هذه القصيدة :

ما كنت أحسب ـ والزمان مقاتلي

يرمي ويخطىء ـ أنّ يومك مقتلي

وقـــال (٥) [٢٢١]

---

(١) في الديوان : أرثيك

(٢) ديوانه : ٣١٣/٤ ، وقد سبق تخريج هذا البيت

(٣) ديوانه : ١٠٨/٣ ، وهو من قصيدة يرثي بها الشيخ المفيد أبا عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الفقيه ومطلعها :

ما بعد يومك سلوة لمعلّل ... منّي ولا ظفرت بسمع معذّل

(٤) رواية الديوان : أو أنفدت ...

(٥) ديوانه : ٢٦٤/٢ ، قال في الديوان في مناسبة هذه القصيدة : (وأنشد قصيدة من مراثي أهل البيت من مرذول الشعر .. وسئل أن يعمل أبياتاً في وزنها ، على قافيتها فقال هذه في الوقت) ومطلعها :

مشين لنا بين ميل وهيف ... فقل في قناة وقل في نزيف

أمَـــرَّ بفيَّ عليــكَ الــزُّلالُ

وآلم جلـــدِيَ وَقْعُ الشفوفْ (١)

أتحمِـــلُ فقــدَكَ ذاكَ العظيـمَ

جوارِحُ جِسْمِيَ هــذا الضعيفْ ؟!

وهذا يُنشَدُ مطلقاً ومقيداً ؛ فإذا أطلِقَ كان من الأول من المتقارب ، وإذا قيِّدَ كان من الثاني منه .

وقـــال (٢) :

نعـم ! هـــذه يا دهرُ أمّ المَصَائِب

فــلا تُوعِدَنّي بعـــدها بالنوائبِ

هتكتَ بهـــا ستر المُجامِـــل بيننا

ولم تلتَفِتْ فيها (٣) لِبُقْيَا المُرَاقِبِ

سَدَدْتَ طريق الفَضْلِ من كلِّ وِجْهَةٍ

ومِلتَ عـلى العليـــاء من كُــلِّ جانبِ

أمِنْ بعده يا دهرُ (٤) أحظى براجِـمٍ

من العَيْش أو آسَى على إثر ذاهبِ ؟

---

(١) في الحاشية (معاً) ويقصد إطلاق الروي وتقييده .

(٢) ديوانه : ١/٥٥ ـ ٥٩ ، وهذه الأبيات من قصيدة يرثي بها أبا الحسين أحمد بن عبد الله ، والبيت الأول هنا هو مطلع القصيدة في الديوان .

(٣) رواية الديوان : فينا .

(٤) في الديوان : أبعد ابن عبد الله ....

تُنَافِثُ عن جَمْـــرِ الغضا نادِباتُهُ

كـأنَّ فؤادي في حَــــلوقِ النوادبِ

بكَتْ أدمُعـاً بيضاً ودمَّتْ جباهُهَا

فتحسَبُهـــا تبكي دمـــاً بالحواجبِ

متى (١) دنّس الحُزنَ السُّلُوُّ غسلتُهُ

فعـــاد جديداً بالـــدموعِ السواكبِ

وهذا تصرُّفٌ في معنى قولِ ابن المعتز (٢) :

إذا دَنَّسَ الليـــلُ أثوابَهَـــا

غَدَتْ في ثيـابِ صَبَاحٍ جديـــد

وقـــال (٣) :

ذهَبَ الـــذي كانت تجاملني له الدُّ

نيـــا وتسقُطُ دونيَ الأخطـــارُ

عجباً (٤) ، يكونُ الجوُّ بعـدَكَ ساكناً

واليـــومُ أبيضُ ما عليـه غبـــارُ

---

(١) في الديوان : إذا ...

(٢) لم نجده في أي طبعات ديوانه .

(٣) ديوان مهيار : ١/٤١٩ ، والأبيات من قصيدة يرثي بها الصاحب أبا القاسم بن عبد الرحيم ، ومطلعها :

من حاكم وخصوميَ الأقدار كثُرَ العدوُّ وقلَّتِ الأنصار

(٤) رواية الديوان : أو أن يكون الجو ...

وكأنَّ كفَّكَ لم تَبِنْ في ظهرِهَا
قُبَلُ الملوكِ وتَشْهَدُ الآثارُ

ويخِفُّ بين بنانِها إنْ حُمِّلَتْ
ضَبْطُ الحُسَام ويثقُلُ الدينارُ

وقال(١) :

بَكَرَ النَّعِيُّ فسَكَّ فيه مسامِعِي
وأعاد صُبْحِي جنحَ ليلٍ أَليْلِ [٢٣٣]

الغايةُ في هذا المَعنى قولُ أبي تمام(٢) :

أَصَمَّ بك النَّاعي وإنْ كانَ أسْمَعَا

رَحَلَ الحمامُ بها غنيمةَ فائزٍ
ما ثار قَطُّ بمثلها عن مَنْزِلِ

كانَتْ يَدَ الدين الحنيفِ وسيفَهُ
فلأبكِيَنَّ على الأشَلِّ الأعزلِ(٣)

---

(١) ديوانه : ١٠٧/٣ ، من قصيدته في رثاء الشيخ أبي عبد الله الفقيه ، وقد سبق تخريجها قبل قليل

(٢) ديوانه : ٩٩/٤ وهو صدر بيت من مطلع قصيدة يرثي بها أبا نصر محمد بن حميد والبيت بتمامه :

أصمَّ بك الناعي وإن كان أسمعا   وأصبح مَغْنى الجود بعدك بلقَعا

(٣) البيتان من قصيدة مهيار ، سالفة الذكر ، والتي يرثي بها الشيخ المفيد أبا عبد الله بن محمد بن النعمان الفقيه ، وانظرها في ديوانه : ١٠٣/٣ .

ولابن حَيُّوس (١) :

وليس يَعْلُو قِرَى الغبراء من أحدٍ
ولا يكـونُ لأضيافِ المنـون قِرَى

حَوَادثٌ لـم تُمَيِّزْ في تَصَرُّفِهَا
من ضَيَّعَ الحَزْمَ ممن أكثَرَ الحذرا

قَضَى وما إن قَضَى من لَذَّةٍ وطراً (٢)
وكم قَضَتْ منه آمـالُ الورى وطرا

ومن كلام حسن بن عبد الصَّمد المعروف بابن أبي الشخباء :

غيرُ بِدعٍ من الزمان أن تنتكِثَ حِبالُه ، وتَصْرَدَ (٣) نِبالُه ، وتَفْهَقَ (٤) بالغَدْرِ فِجاجُه ، ويُجَدِّحَ (٥) بالسُّمِّ أُجَاجُه ، وتراشَ في قَصْدِ الكرام سِهامُه ، ويثارَ في قَبْضِ

(١) ديوانه : ١/٢٨٤ ، والأبيات من قصيدة يمدح بها أمير الجيوش الظاهر لاعزاز دين الله علي بن الحاكم الفاطمي العُبيدي ، ويهنئه بجلوس ولده المستنصر بالله سعد بن الظاهر ، ومطلعها :

لو أنَّ شامخَ قدرٍ دافـعٌ قـدراً
لم يُخْتَرَمْ من الاعزاز الهُـدَى ظهرا

(٢) في الديوان :

حتى قضى ما قضى من لذة وطرا . . .

(٣) صرد السهم : نفذ حدُّه ، وصرده الرامي وأصرده : أنفذه

(٤) فهق الاناء فهْقاً وفَهَقاً : امتلأ ، والفَيْهق : الواسع .

(٥) جَدَّحَ الشيء تجديحاً : لطَّخَهُ .

النفوس عجاجتُه ، ولـذلك عرَفَتِ النفوسُ مواقعَ نُكرِه ، وأنِستْ بغرائب غدْرِه ومكْرِه ، واطمأنّتِ الضلوعُ وقد أصمَتْ صوائبُه ، وهجَعَت العيونُ وقد استيقظتْ نوائبُه ، ولمّا طرَقَ الحادثُ بمن لا أُسمّيهِ تفادياً من تحقيق الخبَرِ بمصرعه ، وصَوْناً له عن مورد الحِمام ومَشْرَعه ؛ رأيتُ المحامدَ ذاتَ نور خامد ، والمآثرَ ذاتَ عِقدٍ متناثر ، والقمَرَ وقد سَئِمَ هالتَه ، والصُّبْحَ وقد خلَعَ الليلُ عليهِ غِلالتَه . [٢٢٣] وشاهدتُ الفَضْلَ وقد اسوَدَّتْ سَحنتُه ، واشتدّتْ على الزمان إحْنَتُه ؛ إذ طرق بما يتجاوَزُ القدرَ ويُوحِشُ الأضالع من صُحبةِ الصَّدرِ . هذا ــ واللهِ ــ هو المصاب الذي تستعذِبُ فيه الحلومُ هَفَواتِها ، وتفارِقُ له القلوبُ سويداواتِها ، وتستخِفُّ النفوسُ فيه حَمْلَ الأوزار ، وتأنَفُ العيونُ من لقائهِ بغير الدموع الغِزار ، حتى تجعلَ ذلك دابَها ، وتخضِبَ بالتّجيع أهدابَها . إلاّ أنه نَزَل بمن لا يُصبِحُ الجزَعُ مالِكَه ، ولا تخطِبُ الخطوبُ تهالُكَه ؛ فلذلك سَاغَ للعبيد أنْ يُخلّوا الخِدَمَ من الإرشاد إلى مواقف التسليم ، والحضِّ على الصَّبْرِ على الحادثِ الأليم ، ويقتَصِروا على الرغبة إلى اللهِ في أن يَهَبَ له عُقْبى الدار ، ويُغْفِلَ عنه جوامحَ الأقدار ، ويُسعِدَ بني الدنيا بسعادةِ جَدِّه ، ويصونَ عن دَرَجةِ الكسوفِ شُموسَ مَجْدِه :

إذا صَفَحَتْ عنك الليالي وأعرَبَتْ
بحفظِكَ فينا هانَ كلُّ مُضيَّعِ

ولابن سنان :

وكيفَ يفوزُ الغيثُ فيكَ بمنّةٍ
إذا كنتُ لا أَرْضى سحائب أَدْمُعي

وليسَ بكاءُ العَيْنِ إلا خيانةً
ولا اللوْم إلا أنها بَقِيَتْ معي

وأين وفائي ! لا مَدَى الدَّمعِ بالغٌ
رِضايَ ولا جُهْدُ الصبابة مُقْنِعي

تصامَمْتُ عن ناعِيك حتى أربتُهُ
ودافَعْتُ فيك القولَ من كلِّ مَدْفَعِ

ولمّا أبَى إلا يقيناً حديثُهُ
فزِعْتُ إلى جَفْنٍ من الدَّمعِ مُتْرَعِ[٢٢٤]

فأيُّ حُسَامٍ حالتِ الأرضُ دونَهُ
وكانَ متَى يُضْرَبْ به الخَطْبُ يَقْطَعِ

وهذا الحَدَثُ فالملوكُ يقفُ عندَهُ ، ثم يُعْطِشُ قلَمَهُ بعدَهُ ، لما يلزَمُ في باب المُصَاب إذا رَمَتْهُ الليالي وراءَ ظهرها ، وأَبْعَدَتِ الأيامُ عَهْدَهُ بِمَرِّها ، من الاكتفاءِ من القول بيسيره ، والاستغناءِ عن كثيرِه بقليلِهِ ، كراهيةً لتجديد الحُزْنِ وتَطْرِيَتِهِ ، وإشْفَاقاً من تشييدِ ما يجِبُ الحِرْصُ على تَعْفِيَتِهِ ولا سيّما هذا الفادحُ الذي نَبَّهَ خامِلَ الثَّرَى .

ومَنَــع الجفونَ من مصافَحَةِ الكَرَى ، وأحزَنَ مليكَ الأرضِ وسلطانَ الوَرَى :

وتَرَ الرَّدَى من لو تنــاوَلَ سيفَهُ

يوماً لنـــــالَ من الــــرَّدَى ما شاء

وهذا الخَطْبُ وإنْ رَمَى العقولَ بالخَبَل ، وعَمَّ بالغَمِّ أهْــلَ السَّهــلِ والجَبَل ، ولم يَسْلَمْ أحَدٌ فيه من رُزْءٍ ، ولا خَلا من الأَخْذِ منه بأوفرِ جزْءٍ ؛ فالذي يُسَهِّلُ صَعْبَهُ ، ويُنَفِّسُ كَرْبَهُ ، ويُسيغُ صابَهُ ، ويُخَفِّفُ أوصابَهُ ، أنَّ مالِكَنا ــ خَلَّــدَ الله دولتَــهُ ــ مكفوفٌ بالحماية ، مشمولٌ بالوقاية ، محفوظٌ بعناية الله وكفايته ، مَخْصوصٌ بإطالةِ العُمرِ وإطابَتِـهِ ، جارٍ على عادتهِ في تدبير مملكتهِ ، وكِلاءَةِ رعيَّتِـهِ ، وإعزازِ دينِ اللهِ ــ تعالى ــ ونُصْرتهِ . واللهُ ــ تعالى ــ يجعــلُ مُنتقِصَ المُدَدِ زيادةً في مُدَّتِـهِ ، ولا يُخْلي البسيطةَ من رُواءِ سُلطانهِ وبهجتِـهِ . بِفَضْلِـهِ وطَوْلِهِ ، وحَوْلِهِ ، وقُدْرَتهِ [٢٢٥] .

قال الشيخ أبو القاسم المُصَنِّفُ :

كنتُ أنفذْتُ نسخةَ هذه الرسالة إلى بعض الرؤساء الكُبَراء ممَّنْ كان يُؤثِرُ الوقوفَ على ما أعمَلُهُ ، فبلغني أنَّ كاتِبَهُ قال لمّا رأى ترجَمَةَ هذه الرسالةِ قبلَ الوقوفِ عليها :

هـــــلا قــال : الغَلوَة في السَّلْوة وأنْكَرَ التَّــدَانِّي ؛ فكَتَبْتُ إليه :

بَلَغ عَبْدَ الحَضْرةِ ما انتُقِدَ عليه في ترجَمَةٍ ما خَدَمَ به.
وما استُبعِدَ من التدلِّي العائدِ بدُنوِّ النائي وتَقَرُّبه ؛ وقد كان يجب أن يُبقيَ علـى من عَمِلَ عَجِلاً ؛ وترجَمَ مرتجِلاً ؛ ولم تكنْ له مُهْلَةٌ لتنقيحِ ألفاظهِ وتهذيبها ، وإبرازها في معارِضَ تستحسنُها النَّقَدَةُ وتهذي بها ؛ وإنَّ بعضَ من انتَقَدَ عليه قال : هَلا كانت الترجَمَةُ : الغَلوَةَ في السلوة ؟

وعبدُهَا يقول :

أما الغَلوَةُ فهي : المرماةُ ، والمِغْلاةُ : السَّهْمُ ؛ فالغَلوَةَ : غايتُه . وهـذا ضِدُّ مرادهِ ، وذلك أنَّ التَّدَلّي إنما هُوَ التَّوَصُّلُ ؛ تدلَّيْتُ على الشيء إذا توصَّلْتُ إليه . ومنه أدلى فلانٌ بحُجَّتِه إذا توصَّلَ بما أتَى به إلى بغيتِه ، ومن ذلك قوله تعالى : « ثم دنا فتدلَّى » (١) وهذه الآيةُ من باب قوله سبحانه : « ما إنَّ مفاتِحَهُ لتَنُوءُ بالعُصْبَةِ أولي القُوَّة » (٢) . وهو من المقلوب ، أي : تَنُوءُ بهـا العُصْبَةُ أولو القُوَّة و : ثم تَدَلَّى فَدَنَا .

وقد قال الشاعر :

لا تَقْلُوهَا وادْلُوَاهَا دَلْوا
إنَّ مع اليوم أخاه غَدْ [وَا] (٣)

---

(١) النجم : ٨

(٢) القصص : ٧٦

(٣) مطموسة في الأصل ، وقد أكملناها من لسان العرب : فالبيت هناك (دلا)

وتَقَلَّوْاها : تَبعداها ، وادلَوْاها : قَرَّباها ، والدَّلْو من هذا ؛ لأنها تُقَرِّبُ الماءَ بَعْدَ بُعْدِه .

فقولُ عَبْدِها : التَّدَلِّي على التسلِّي إنما معناهُ : التَوَصُّلُ إلى السَّلْوةِ بأسبابها من التأسِّي ، وطَلَبِ الثَّواب ، وغير ذلك .
وقولُ من قال : الغَلوَةُ في السَّلْوةِ ، إنما هوَ الوُصولُ إلى غايتها ، والفَرْقُ بين من قَصَدَ التَّوَصُّل ، وبَيْنَ من بَلَغ الغاية لا يَخْفَى عن أحدٍ ، فقد بانَ تَضَادُّ الترجمتين ، وتنافي الغَرَضَيْن ، وما ضَرَّ من انتقد لو صَبَر [٢٢٦] إلى أنْ يقِفَ على الرسالة ، ثم يقول ما يختار ، ولا يَعْجَلُ بأنْ يَضَع منِّي ما صَدَرَ عَنِّي ، فالله المستعانُ وصَبْرٌ جميلٌ .

قال الشيخ أبو القاسم : كانت وفاةُ الأَجَلِّ المُظَفَّرِ ـ رضي الله عنه ـ يوم الخميس تاسع جُمادَى الأولى من سنةِ أربعَ عَشْرة وخمس مائة ، وكانت ولادَتُهُ في سنة تسعٍ وسبعين وأربع مائة (١) .

الحمد لله رب العالمين ، وصلَّى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آلهِ الطاهرين ، وسلَّم تسليماً ، حَسْبُنا الله ونعم الوكيل .



(١) بعد هذا طمس بمقدار خمسة سطور .



المراجـــع

ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا،لأحمد بن علي المقريزي ـ دار الفكر العربي ١٩٤٨ م .

ـ أخبار مصر ، ليوسف بن جلب المعروف بابن ميسر ـ مصر ١٩١٩ م.

ـ الأعلام ، لخير الدين الزركلي ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٩ م .

ـ الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ـ طبعة دار الكتب .

ـ الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ـ طبعة دار الثقافة .

ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة ، لعلي بن يوسف القفطي ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة ١٣٧٤ هـ/١٩٥٥ م .

ـ الأوائل ، لأبي هلال العسكري ـ تحقيق محمد المصري والدكتور وليد قصاب ـ دمشق ـ ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ م .

ـ البخلاء ، للجاحظ ـ تحقيق طه الحاجري ـ القاهرة .

ـ بدائع البدائه ، لعلي بن ظافر الأزدي ـ ١٢٧٨ م .

ـ البديع لابن المعتز نشره كراتشكوفسكي ـ طبعة لندن ١٩٣٥ م .

ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأحمد بن يحيى الضبي ـ طبعة مصورة عن طبعة مجريط سنة ١٨٨٤ م .

ـ بغية الوعاة ، لعبـد الرحمن السيوطي ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة ١٩٦٥ م .

ـ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ـ مطبعة السعادة ١٣٤٩ هـ/١٩٣١ م .

ـ التعازي والمراثي ، لأبي العباس المبرد ـ تحقيق الدكتور محمد الديباجي ـ من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧٦ م .
ـ التنبيه على حدوث التصحيف ، لحمزة الأصفهاني ـ تحقيق الدكتور محمد أسعد طلس ، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ١٩٦٨ م .
ـ خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام) للعماد الأصبهاني الكاتب ـ تحقيق الدكتور شكري فيصل ١ ـ ٤ ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .
ـ خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العراق) ـ للعماد الأصبهاني الكاتب ـ تحقيق محمد بهجت الأثري ـ بغداد .
ـ خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر) ـ للعماد الأصبهاني الكاتب ـ نشره أحمد أمين ، وشوقي ضيف ، وإحسان عباس ـ القاهرة ١٩٥١ .
ـ خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء المغرب) .
ـ دمية القصر وعصرة أهل العصر ، للباخرزي ـ طبعة دمشق ـ تحقيق محمد التونجي ١٣٩١ هـ/١٩٧١ م .
ـ ديوان (شعر) الأحوص بن محمد الأنصاري، جمع وتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ـ النجف ١٣٨٨ هـ/١٩٦٩ م .
ـ ديوان الأعشى. تحقيق الدكتور م. محمد حسين . المطبعة النموذجية.
ـ ديوان البحتري ، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي ـ القاهرة دار المعارف .
ـ ديوان أبي تمام ، بشرح الخطيب التبريزي ـ تحقيق محمد عبده عزام ـ القاهرة دار المعارف .
ـ ديوان جرير ، شرح محمد اسماعيل عبد الله الصاوي ـ القاهرة ١٣٥٣ هـ .

ــ ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، شرح عبد الرحمن البرقوقي ــ مطبعة مصطفى محمد ١٣٤٧ هـ ــ ١٩٢٩ م .
ــ ديوان حسان بن ثابت ــ حققه الدكتور وليد عرفات ــ لندن ١٩٧١ م .
ــ ديوان ابن حيوس ــ تحقيق خليل مردم بك ــ المجمع العلمي العربي بدمشق ــ ١٣٧١ هـ/١٩٥١ م .
ــ ديوان ابن دريد ــ جمعه محمد بدر الدين العلوي ــ مصر ــ ١٩٤٦ م .
ــ ديوان دعبل ، صنعة محمد يوسف نجم ــ بيروت .
ــ ديوان ابن رشيق ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن ياغي ــ بيروت .
ــ ديوان ابن الرومي ، مع شرح الشيخ محمد شريف سليم ــ القاهرة ١٩١٧ م .
ــ ديوان ابن الرومي : اختيار كامل كيلاني ــ مصر ــ مطبعة التوفيق الأدبية .
ــ ديوان ابن الرومي ، تحقيق الدكتور حسين نصار ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ ١٩٧٦ م .
ــ ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرح ثعلب ــ القاهرة ١٩٦٤ م .
ــ ديوان ابن زيدون ، تحقيق علي عبد العظيم ــ القاهرة ١٩٥٧ م .
ــ ديوان السري الرفاء، نشره حسام الدين القدسي ــ القاهرة ١٣٥٥ هـ .
ــ ديوان الشريف الرضي ــ المطبعة الأدبية ١٣٠٧ هـ .
ــ ديوان الشريف المرتضى ــ حققه رشيد الصفار المحامي ــ القاهرة ١٩٥٨ م .
ــ ديوان الصاحب بن عباد ــ تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ــ بيروت ١٩٧٤ م .

ـ ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم ـ دار بيروت ١٩٥٨ م .
ـ ديوان أبي العتاهية ـ (أبو العتاهية ، أشعاره وأخباره) ـ عني بتحقيقه الدكتور شكري فيصل ـ دمشق ١٩٦٥ م .
ـ ديوان علي بن الجهم ـ تحقيق خليل مردم بك ـ من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٤٩ .
ـ ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه الدكتور إحسان عباس ـ دار الثقافة بيروت ١٩٧١ م .
ـ ديوان كشاجم ، تحقيق خيرية محمد محفوظ ، بغداد ١٩٧٠ م .
ـ ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وتقديم الدكتور داود سلوم ـ بغداد ١٩٦٩ م .
ـ ديوان أبي الطيب المتنبي ، بشرح البرقوقي ـ مطبعة السعادة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .
ـ ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح العكبري ـ طبعة بولاق ١٢٧٨ هـ .
ـ ديوان مسلم بن الوليد (شرح ديوان صريع الغواني) حققه الدكتور سامي الدهان ـ القاهرة .
ـ ديوان ابن المعتز (عبد الله) ، (شعر عبد الله بن المعتز) صنعة أبي بكر الصولي ـ استامبول ١٩٥٠ م .
ـ ديوان ابن المعتز ، طبعة القاهرة ١٣٠٧ هـ .
ـ ديوان المعتمد بن عباد ، القاهرة ١٩٥١ م .
ـ ديوان مهيار الديلمي ، دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٢٥ .
ـ ديوان أبي نواس، جمعية المستشرقين الألمانية ـ تحقيق ايفالد فاغنر .
ـ ديوان أبي نواس ، جمعه حمزة بن الحسن الأصبهاني ـ تحقيق محمود واصف ـ مصر ١٨٩٨ م .

ـ ديوان الوأواء الدمشقي ـ تحقيق الدكتور سامي الدهان ـ مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٥٠ م .
ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ـ القاهرة ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ م .
ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ـ نشره حسام الدين القدسي سنة ١٣٥٠ هـ .
ـ شرح الحماسة للتبريزي تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ١٣٥٨ هـ .
ـ شرح الحماسة للمرزوقي ، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون ـ القاهرة ١٩٥١ م .
ـ شرح مقامات الحريري للشريشي ـ طبعة بولاق ١٣٠٠ هـ .
ـ شروح سقط الزند ، لأبي العلاء المعري ـ لجنة إحياء آثار أبي العلاء المعري ١٩٤٥ م .
ـ شعر دعبل بن علي الخزاعي ، صنعة الدكتور عبد الكريم الأشتر ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٤ م .
ـ شعر عروة بن أذينة ، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ـ بغداد .
ـ شعر ابن اللبانة ، تحقيق محمد مجيد السعيد ـ البصرة ١٩٧٧ م .
ـ الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ـ القاهرة .
ـ الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ـ طبعة القاهرة ١٩٠٧ م .
ـ طبقات الشعراء ، لابن المعتز ـ تحقيق عبد الستار فراج ـ القاهرة ، دار المعارف .
ـ الطرائف الأدبية ، لعبد العزيز الميمني الراجكوتي مصر ١٩٣٧ م .
ـ العقد الفريد ، لابن عبد ربه الأندلسي ـ تحقيق محمد سعيد العريان ـ مطبعة الاستقامة ١٩٤٠ م .
ـ العمدة ، لابن رشيق القيرواني ـ طبعة القاهرة ١٩٠٧ م .

ـ عيون الأخبار، لابن قتيبة ـ دار الكتب المصرية ١٣٤٣هـ/١٩٢٥ م.
ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، لابن أبي أصيبعة ـ المطبعة الوهبية ١٨٨٢ هـ .
ـ فهرس المخطوطات المصورة في معهد المخطوطات العربية لفؤاد السيد طبع في القاهرة ١٩٥٤ .
ـ فوات الوفيات ، لابن شاكر الكتبي ـ طبعة محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ١٩٥١ .
ـ فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس.
ـ القاموس المحيط ، للفيروزابادي ـ طبعة القاهرة ١٣٤٤ هـ .
ـ الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ـ طبعة دار صادر ـ بيروت ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧ م .
ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ـ تركيا ١٩٤١ م .
ـ لسان العرب ، لابن منظور ـ طبعة بولاق ١٣٠٨ هـ .
ـ المحمدون من الشعراء ، للقفطي ـ تحقيق محمد معامري ـ الرياض ١٩٧٠ م .
ـ المحمدون من الشعراء ، للقفطي ـ تحقيق الأستاذ رياض مراد ـ من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٥ م .
ـ المطرب من أشعار المغرب ، لابن دحية الكلبي ـ تحقيق إبراهيم الابياري ورفيقيه ـ الأميرية بالقاهرة ١٩٥٤ م .
ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، للمراكشي ـ تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ـ مطبعة الاستقامة١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.
ـ معجم الأدباء أو إرشاد الأديب ، لياقوت الحموي ـ طبع بمطبعة دار المأمون ، القاهرة ١٩٣٨ م .
ـ معجم البلدان ، لياقوت الحموي ـ طبعة صادر ـ بيروت .

ـ معجم البلدان ، لياقوت الحموي ـ طبعة ليبزغ ١٨٧٣ م .
ـ معجم الشعراء ، للمرزباني ـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ـ مطبعة البابي الحلبي ١٣٧٩ هـ/١٩٦٠ م .
ـ معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ـ دمشق ١٩٥٧ ـ ١٩٦١ م .
ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لمحمد فؤاد عبد الباقي ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٤٥ م .
ـ المغرب في حلى المغرب ، لابن سعيد ـ تحقيق شوقي ضيف ـ طبعة دار المعارف ١٩٥٥ م .
ـ المغرب في حلى المغرب ، قسم مصر ـ طبعة ليدن ١٨٩٩ م .
ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للذهبي ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ مطبعة البابي الحلبي ١٣٨٢ هـ/١٩٦٣ م .
ـ نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، للمقري ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ١٩٦٨ م .
ـ هدية العارفين ، لإسماعيل باشا البغدادي ـ استانبول ١٩٥١ م .
ـ الوافي بالوفيات ، للصفدي ـ طبعة المستشرقين الألمان .
ـ الورقة ، لابن جراح ـ دار المعارف ١٩٥٣ م .
ـ الوزراء والكتاب ، للجشهياري ـ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ١٣٥٧ هـ/١٩٣٨ م .
ـ وفيات الأعيان ، لابن خلكان ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس بيروت ١٩٦٧ .
ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة السعادة ١٣٧٥ هـ/١٩٥٦ م .





الفهـــارس

فهرس الآيات الكريمة
منسوقة على السور

رقم الآية	الآية الكريمة	رقم الصفحة
	١ ـ سورة البقرة :	
١٨٥	﴿ شَهرُ رمضانَ الذي أُنزلَ فيه القرآنُ هدًى للناسِ وبيناتٍ مِنَ الهُدى والفُرقان ﴾	٢٣٥
	٣ ـ سورة آل عمران :	
١٥٩	﴿ فاعفُ عنهم واستغفرْ لهم ﴾	٣
١٧٣	﴿ وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾	١٧٣
	٥ ـ سورة المائدة	
١٣	﴿ فاعفُ عَنْهم واصفحْ إن الله يُحب المُحسنين ﴾	١٧
٣٢	﴿ ومَنْ أحياها فكأنّما أحيا الناسَ جميعاً ﴾	٦
	٦ ـ سورة الأنعام :	
١٢٠	﴿ وذَرُوا ظاهرَ الإثمِ وباطنَه ﴾	١٢٢
	٧ ـ سورة الأعراف :	
٢٣	﴿ ربَّنَا ظلمْنا أنفسَنا وإن لم تغفرْ لنا وترحمْنا لنكونَنَّ من الخاسرين ﴾	٢٩

رقم الآية	الآية الكريمة	رقم الصفحة
	١٠ ـ سورة يونس:	
١٠	(وآخرُ دعواهُم أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين)	٣٠
	١٣ ـ سورة الرعد :	
٦	(وإنَّ رَبَّكَ لذو مغفرةٍ للناسِ على ظُلمهم	١٨
	١٤ ـ سورة إبراهيم :	
٧	(وإذْ تأذَّنَ ربُّكُم لَئِنْ شكرتُمْ لأزيدنَّكُمْ ولَئِنْ كفرتُمْ إنَّ عذابي لشديد)	
	١٦ ـ سورة النحل :	
١١١	(وتُوفى كلُّ نفسٍ ما عَمِلت)	١٩٢
	٢١ ـ سورة الأنبياء :	
٢٢	(لو كانَ فيهما آلهةٌ إلاّ الله لفَسدَتا)	٢٨٧
٣٣	(كلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحون)	٨١
٨٣ـ٨٤	(وأيوبَ إذ نَادى ربّه أنّي مَسَّني الضرُّ وأنتَ أرحمُ الراحمين فاستجبْنا لهُ فكشفْنا ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ ...)	٢٨
	٢٢ ـ سورة الحج :	
٢	(وترى الناسَ سُكارى وما هُمْ بِسُكارى)	٢٨٨

رقم الآية	الآية الكريمة	رقم الصفحة
	٢٣ ـ سورة المؤمنون :	
٣٦	(هَيْهاتَ هَيْهاتَ لما تُوعَدُون)	١٤٤
	٢٤ ـ سورة النور :	
٢٢	(وليعفُوا وليصفحُوا ألا تُحبُّونَ أنْ يغفِرَ اللهُ لكُم)	١٧
	٢٨ ـ سورة القصص :	
٧٦	(ما إنَّ مفاتِحه لتنوءُ بالعُصبةِ أولي القُوة)	٣٢٤
	٣٢ ـ سورة الأحزاب :	
٢١	(لقد كانَ لكمْ في رسولِ اللهِ أسوةٌ حسنةٌ لِمَنْ كانَ يرجُو اللهَ واليومَ الآخر)	٢٨٧
٤٤	(تحيتُهم يومَ يلْقَونَه سلامٌ وأعدَّ لهُمْ أجراً كريماً)	١٢٢
	٣٨ ـ سورة ص :	
٣٩	(هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب)	١٧
	٣٩ ـ سورة الزمر :	
٥٣	(قُل يا عبادي الذينَ أسرفُوا على أنْفُسهم لا تقنطُوا مِنْ رحمةِ اللهِ إنَّ اللهَ يغفرُ الذنوب جميعاً)	١٠١

رقم الآية	الآية الكريمة	رقم الصفحة
	٤٢ ـ سورة الشورى :	
٢٣	(قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)	٣٣
٢٥	(وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون)	٢٥
٤٠	(فمن عفا وأصلح فأجره على الله)	١٧
	٤٣ ـ سورة الزخرف :	
٣٢	(نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ، ورحمة ربك خير مما يجمعون)	٣٣
٣٩	(ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون)	٢٩٢
	٤٩ ـ سورة الحجرات :	
٨	(فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم)	١٠١
	٥٠ ـ سورة ق :	
٣٧	(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)	١٢١

رقم الآية	الآية الكريمة	رقم الصفحة
	٥٣ ــ سورة النجم :	
٨	(ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى)	٣٢٤
	٦٠ ــ سورة الممتحنة :	
٤	(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ)	٢٩٢
٦	(لَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)	٢٩٢

★ ★ ★


www.dorat-ghawas.com

فهرس الأحاديث

الصفحة

١٨ ـ إذا كان يوم القيامة يُنادي منادٍ : ألا فليقُم مَنْ كان أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا .

١١٠ ـ القوا الكفار بوجوه مكفهرة .

٢٨٠ ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن السفر إذا كان القمر في برج العقرب .

٢٩٢ ـ تأسوا في مصائبكم بي .

١٧٢ ـ لا تجاوزوا عدنان ، كذب النسابون .

١٨ ـ لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم .



فهــرس الشــعر

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
حرف الهمزة				
يا عودُ	الماءُ	٢	محمد المعروف بابن شرف	١٣٠
قال الطبيب	الصفراءُ	٢	ابن المغربي	١٧٨
جاء	سواءُ	١	سلم الخاسر	١٥٣
وتر	ما شاءَ	١	ـــ	٣٢٣
ما لقينا	شعراءَ	١	نصيب	٢٥٨
علّم	السخاءَ	١	ورد بن سعد العمي	٢٥٩
يا خيرَ	اللواءِ	٤	ابن زيدون	٤٨
قدر	الأكفاءِ	٢	ابن رشيق	١٣٢
وطئت	والأرجاءِ	٣	عمر المطوعي	١٤٢
نعمْ	الراءِ	١	الرستمي	١٩٥
لما غدوتَ	إطراءِ	٢	ابن الصيرفي	١٩٧
لاتعلمنَّ	والضراءِ	٢	محمد بن الحسين البغدادي	٢٦٣ـ٢٦٤
وصنعوا	بيضاءِ	٢	محمد بن سنان الخفاجي	٤١
حرفُ البـاء				
طحا بك	مشيبُ	٦	علقمة	٢٤
وصالكمُ	حرْبُ	١	العباس بن الأحنف	٤٦

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
وبعدَ بيتٍ	ولا عربُ	٢	ابن حيوس	٤٧
سل الركبَ	كعبُ	٢	مهيار	٥٨
جعلتَ	ويسلبُ	١	حسن بن عبد الصمد (ابن أبي الشخباء)	٦٣
فلم أرَ	المتلهبُ	١	حسن بن عبد الصمد (ابن أبي الشخباء)	٦٦
بعثت بها	تتلهبُ	٢	محمد بن عيسى	٧١
خلقنا	حواجبُ	١	ابن نباتة	٨٥
براحته	الركبُ	١	محمد بن عيسى	٨٧
يهوى	يتقلبُ	٢	محمد بن عيسى	٨٩
سألتُ	العذبُ	٥	محمد بن عيسى	٩٣
ولقد نعستُ	تذوبُ	٣	محمد بن أبي سعيد المعروف بابن شرف	١٣٥
وتملكُ	كلابُ	٢	المتنبي	١٤٢
سُلِبُوا	لم يسلبُوا	١	البحتري	٦٤
ما نقموا	غضبُوا	١	عبيد الله بن قيس الرقيات	١٤٥ــ١٤٦
وأنهم	العربُ	١	عبيد الله بن قيس الرقيات	١٤٦
قول	يغتربُ	١	ابن حيوس	١٦١
ألقى	والشيبُ	٢	علي الإيادي	١٨١
وكم	لا يخيّبُ	١	مهيار	٢١٥
عزي	أتنسبُ	١	مهيار	٢١٦
قوافٍ	تشربُ	١	ابن حيوس	٢٢٩
أشبّبُ	أنسبُ	٣	الصاحب بن عباد	٢٥٠
إذا البعض	تغلبُ	١	ابن حيوس	٢٥٠

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
فإلا أكن	لخطيبُ	١	—	٢٥٧
قالوا	مغلوبا	٢	علي بن أحمد بن أبي وهب	٧٩
نعم	بالنوائبِ	٧	مهيار	٣١٧
ومعزٍّ	والأصحابِ	٣	ابن الرومي	٢٩١
وجاد	مقربِ	١	ابن حيوس	٢١٢
إنها في السحاب	الشرابِ	١	ابن نباتة	٤٢
رأيته	الصائبِ	٢	الصنوبري	٥١
أبدى	الذهبِ	١	محمد بن عباد	٥١
أَصدقُ	الركبِ	٢	محمد بن عمار الأندلسي	٥٨
بلغتْ	تغلبِ	١	—	٨١
يمدونَ	قواضبِ	٢	أبو تمام	١٠٨
ومغترب	الحبِّ	٢	علية المهدية	١٣٩
كم تستحم	المذهبِ	٢	ابن المغربي	٢٨٠
وجاءكم	حربِ	١	الحريري	٢٧٨
إني امرؤ	والتعبِ	٧	الحريري	٢٧٦
نفسي	شنبِ	٢	الحريري	٢٧٠
سأكتمُ	السواكبِ	١	—	٢٢٠
أحاجيك	وصاحبِ	١	محمد بن جعفر القزاز	٢٢٠
لا يبلغ	السلاهيبِ	٢	ابن الصيرفي	١٩٩
لما غدوت	والخطبِ	٢	ابن الصيرفي	٢٠١
ولهمْ	الضاربِ	٢	مهيار	١٧٥
وإن تكن	العنبِ	١	المتنبي	١٧٣
بكرٌ	النشوَبِ	٢	أبو تمام	١٥٤
في ظلِّ	لم يهبِ	١	ابن حيوس	١٥٧

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
للجودِ	البابِ	١	أبو تمام	١٦١
من بعدِ	الأشبِ	١	أبو تمام	١٦٢
وسيدُ	تحابِ	٢	مهيار	١٧٢
تحسبُ	العنَبْ	١	ــــ	١٥٤
وفوارةٍ	المحتلبْ	٣	مجبر الصقلي	١١٧

حرفُ التّاء

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
مَلَكْتُ الورى	هنيداتُ	٢	ابن اللبانة محمد بن عيسى	٣٩
ما إنْ	وراحاتُ	٢	ــــ	٢٩٤
لقد	هيهاتِ	١	ابن المعتز	١٤٤
لما غدوت	الآتي	٢	ابن الصيرفي	٢٠١
أكرم	صفرتُهْ	٦	الحريري	٢٧١

حرفُ الثّاء

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
رثى	ما رثى	٣	على الزاهي	١٧٨
لما غدوت	مبثوثا	٢	ابن الصيرفي	٢٠١

حرف الجيم

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
خليل النفس	ماجا	٣	محمد بن أبي سعيد	١٣٠
لما غدوت	الراجي	٢	ابن الصيرفي	٢٠٢

حرف الحاء

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
فلا دولة	كشحُ	٢	محمد بن عثمان	٨٣
وقالَ	يُمدحُ	٢	دعبل	١٢٥

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
لئن حسُنَت	المدائحُ	١	ـــــ	٢٩٧
لقد عرَضَ	تلاحى	٢	أبو نصر المنازي	١٦٤
وقد أضاءت	وأوضاحا	٢	السري الرفاء	٥٠
وجلَوا	أوضاحا	٢	محمد بن البين الأندلسي	٦١
فتى	ومنائحا	٢	مهيار	١١٣
مولاي	قريحا	٢	محمد بن عباد	١٤١
ملكتك	وأرواحا	٢	الناشيء	١٦٣
وإني	شحاحا	٢	ابن هرمة	٢٦٠ — ٢٦١
يا أهْل	السفحِ	٢	مطيع بن إياس	٢٩٧
وخضيبةٍ	راحِ	٢	ابن مكنسة	٦٩
لما غدوت	منحِ	٢	ابن الصيرفي	٢٠٢
بات	الوشاحْ	٢	البحتري	٢٦٩

حرف الخاء

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
لما غدوت	التواريخُ	٢	ابن الصيرفي	٢٠٢

حرف الدال

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
أفنى الثراء	خلودُ	١	مهيار	٥
وأنَّ دماً	حامدُ	١	المتنبي	٧٣
إذا دهاك	البعادُ	٢	بكر النيلي	٧٩
مليكٌ	الأسودُ	٢	حسان بن المصيصي	٨٤
مليكٌ	متعبدُ	٢	مصعب الصقلي	٩٦
بمدحِ	ندٌ	١	ابن حيوس	١١٣
تتوقع	ويذودُ	١	ابن حيوس	١٥٨

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
فإن يك	الوردُ	١	المتنبي	١٧٤
إذا طال	زيادُ	٢	ـــ	٢٠٩
رأيت	أحدْ	٢	عمر بن مسلم	٢٥٢
كنت خبيئاً	تراصدُ	١	مهيار	٣٠٣
فلا تحسبنْ	هندُ	١	أبو تمام	٣١٢
بلوتهمُ	الواحدُ	١	البحتري	٣١٣
تودَّدتُ	مردَّدَا	٢	ابن الرومي	١٦٥
وعبدك	تتغمَّدا	١	ابن القني	١٩
لئن	يدا	٢	علي بن الجهم	٢٦
وقوافٍ	البلادا	٢	ـــ	٧١
غزالُ	فهدا	٢	مسعود بن محسن	٨٥
وقوافٍ	البلادا	١	ابن حيوس	١٠٦
ومقتولٍ	رُشدا	٢	ابن المعتز	١٣٣
مالاح	أرْبَدا	٢	ابن مكنسة	١٣٤
فلكَ	فريدا	٢	ابن حيوس	١٣٧
لكل امرىءٍ	العدا	١	المتنبي	١٤٣
ووالله	ولا ودُّ	١	محمد بن عبد الملك الزيات	١٠
مليكٌ	التلادِ	٢	مسعود بن محسن	٨٤
تخللت	الفردِ	٥	محمد بن عيسى	٨٧
أرحْ	الجهادِ	٢	عبد الحميد البرجي	٩٥
كأس	أسودِ	٢	عبد المحسن الصوري	١٣٥
آتى	بالوعدِ	١	ـــ	١٣٨
صبغَتْ	الأسودِ	٣	مهيار	٣١٤
سبقتْ	الأعادِ	١	أبو تمام	٦٠

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
إني لمتنْ	وجلادِ	٢	محمد بن عمار الأندلسي	٥٩
جنيتَ	الملدِ	٥	محمد بن عمار الأندلسي	٥٦
هيهات	الانفرادِ	٢	—	٧
فإن تعفُ	القلائدِ		—	١٢
تحت البراقع	خد ندِ	٢	ابن جاخ	٧٨
أمولاي	يستعدي	٢	أبو إسحاق الصابئ	٢٨
إن أسرق	المجدِ	٤	ابن الرومي	٣٨
لاح	القدُّ	٣	المعتمد بن عباد	٥٢
أمعتنق	الصعادِ	٢	إبراهيم بن مُعَلّى	٣٠٩
وأسبَلَتْ	بالبردِ	١	الوأواء	٢٧٠
وا رحمتا	كسادي	١	الشريف الرضي	٢٥٩
كأنَّ	رقادِ	١	المتنبي	٢٢٧
لما غدوت	وتعديدِ	٢	ابن الصيرفي	٢٠٢
لا يبلغ	والقودِ	٢	ابن الصيرفي	١٩٩
وطول مقام	تتجددِ	٢	أبو تمام	١٦٠
ومن بني	سعدِ	٢	مهيار	١٧٣
أبا جعفرٍ	الحدادِ	٣	جعفر الرقي	١٧٦
ملكتَ	مستعبدِ	٣	محمد النحاس	١٧٠
جبلٌ	الإزبادِ	٢	الشريف الرضي	٣٠٤
إذا دنّسَ	جديدِ	١	ابن المعتز	٣١٨
الراح	جمدْ	٢	الخليع الشامي	٥٠
من ينس	مساعدَهْ	٢	الصنوبري	٥٢
الملك	بعدَهْ	٢	—	١٢٣
أكثر	أحدْ	١	—	١٢٤

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
قام	سجدْ	١	—	١٢٤
يزجرُ	بولدْ	١	—	١٢٤
كأنما	مسدْ	١	—	١٢٤
ونسي	خلدْ	١	—	١٢٤
خاضَ	رمدْ	١	السلامي	١٥٥
أعز	أمدُهْ	١	عمرو بن مسعدة	٢٥٧

حرف الذال

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
لما غدوت	وإنفاذا	٢	ابن الصيرفي	٢٠٣

حرف الراء

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
ولم أرَ	نارُ	١	—	٢٧٧
إذا أخذَ	بدرُ	١	ابن سنان الخفاجي	٢٦٤
كفل الثناء	منشورُ	١	المتنبي	٤
ردت صنائعه	منشورُ	١	التيمي	٥
طوته المنايا	الدهرُ	١	موسى بن عمران البصري	٥
سيدع	ويعتذرُ	٢	محمد بن عباد	٤٣
كأنك	والحجَرُ	١	ابن مكنسة	٤٤
ملكٌ	سُوَرُ	٨	ابن سنان الخفاجي	٤٤
ترى الدهر	ثغرُ	٣	ابن زيدون	٤٥
ثمانية	شُفْرُ	٢	ابن حيوس	٤٧
ومن كان	الأجرُ	١	—	٢٩٣
تهنيك	الدهرُ	١	أبو المناقب عبد الباقي	٢٥١
فإن تك	وأنسرُ	١	—	٩٢

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
ثغورُ	ثغرُ	١	ابن حيوس	١٦٣
وفيتَ	وسيَّروا	٢	مهيار	١٧٤
يا ملكاً	سائرُ	٢	محمود بن الموفق	١٩٦
فكدت	فأطيرُ	١	نصيب	٢١٣
صبينا	وأرجلُ	١	ابن المعتز	٢١٤
ألا ربَّ	وإنذارُ	٢	محمد بن أبي سعيد	٢٢٣
والناس	وزفيرُ	١	——	٢٩٥
تمرُّ	وتوقرُ	٢	ابن أبي الشخباء	٥٨
لما التقى	بنارُ	٣	محمد بن علي الكموني	٦٢
إذا طلبَ	الزجرُ	٢	ابن حيوس	٨١
مَلَكْتُ	القدرُ	٢	محمد بن عيسى	٨٨
إذا حوَّمتْ	ونسورُ	٢	ابن نباتة	٩٢
أما الدعاةُ	النارِ	٣	العبدي	١٥
لا ترثين	النارِ	٢	الأحوص	١٥
اغتفر	أجري	٣	سعيد بن حميد	٢٦
فأتتْهُ	ويسارِ	٢	ابن سنان الخفاجي	٥٦
ولم يَرَ	قادرِ	١	البحتري	٨٠
صَبَرْنا	الصبرُ	٣	——	٢٩٨
كم قد	وحذارُ	٣	مهيار	٣٠٠
قد سألنا	ونذيرُ	٢	الخفاجي	٣١٥
ذهب	الأخطارُ	٤	مهيار	٣١٨
وليس	قرى	٣	ابن حيوس	٣٢٠
أراهنَّ	نهارا	١	——	٨١
لا تشبعُ	زُمَرا	٢	مروان الأصغر	٩١

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
ليت	فترا	١	الميكالي	١٠٩
آل غنيٍّ	والسامرا	٢	ابن سنان الخفاجي	١١١
وما خصصت	والبشرا	٤	عبد الله بن العابد	١٨٢
لما غدوتَ	منصورا	٢	ابن الصيرفي	٢٠٣
فسقوا	متأخِّرا	١	ــــ	٢١١
خلفتَ	أبْصرا	١	المتنبي	٢٢٨
وحطّنا	بادرا	١	صدقة بن مزيد	٢٥٦
ولو أنّ	وزورا	٢	كاتب بكر	٢٦
مليكٌ	يصدُرا	٣	محمد بن عمار الأندلسي	٥٦
إن تسد	عامرِ	١	الأعشى	١١١
وقد كان	ومخاطرِ	٢	ــــ	١٢٥
فيا بنَ	البصيرِ	١	المتنبي	١٥٣
وكأنّ	أحسَرِ	١	ــــ	١٥٥
أهلاً	وفجّارِ	١	ابن خفاجة	١٥٦
فلم يزل	الحَجرِ	١	كشاجم	١٦٩
فقالَ	السعيرِ	٢	الصابي	١٧٨
ويجعلُ	للشعَرِ	٢	ــــ	١٩٣
لا يبلغُ	والكورِ	٢	ابن الصيرفي	١٩٩
وكيف	وَرِي	٢	ابن الصيرفي	١٩٦
لا يبلغ	والكور	٢	ابن الصيرفي	١٩٩
أتى الخلافة	قدرِ	١	جرير	٣٠٣
أبكيك	محاجري	٢	مهيار	٣١٥
لعزكَ	العفَرْ	٣	أبو الحسن الفكيك	٩٦
قد بينَتْ	ماهِرْ	٢	هشام الوقشي	١٧٩

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
قلتُ	الشَّعَرْ	٣	ابن مكنسة	٢٨٠
وفيتَ	كفرْ	٤	محمد بن عمار الأندلسي	٥٧
كأنَّ السماءَ	أُكرْ	١	علي الصقلي	٦٥
وبلدةٍ	زورْ	١	أبو نواس	٢٥٤
كل جون	نارُهْ	١	البحتري	٧٠

حرف الزاي

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
لما غدوت	عجزا	٢	ابن الصيرفي	٢٠٣
وبنى	فازَهْ	٢	ابن الحواري	٢١٠

حرف السين

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
تجهم	الشمسُ	٢	محمد بن عيسى	٧١
والجوُّ	يعبسُ	٢	محمد بن أحمد الأصبهاني	١٤٥
لما غدوت	الياسُ	٢	ابن الصيرفي	٢٠٤
لم أرَ	عسعسا	٢	ابن مكنسة	١٣٤
أسْ	أسا	٣	—	٨٢
هيهات	أسى	١	ابن دريد	٢٨٩
ولولا	نفسي	٢	الخنساء	٢٨٩
وعنديَ	نفسِ	٢	—	٢٦٥
خيرٌ	للعباسِ	١	إبراهيم بن موسى	٢٥٧
ترى	الكأسِ	١	حسن البسامي	٢٢١
أصبح الملك	العباسِ	٨	شبل بن عبد الله	١٣
تقوَّس	دوَّسِ	٢	بعض شعراء الأندلس	١٦٦

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
أرى	من أمسِ	٢	ابن مكنسة	١٨٠
سقى الله	فعارسْ	٢	محمد بن أبي سعيد	١٢٩

حرف الشين

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
لما غدوت	ولا حاشا	٢	ابن الصيرفي	٢٠٤

حرف الصاد

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
لما غدوت	مرتَخَصُ	٢	ابن الصيرفي	٢٠٤

حرف الضاد

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
وفويقَ	عَرْمَضُ	٢	محمد بن عثمان الحداد	٧٦
لما غدوت	غرضا	٢	ابن الصيرفي	٢٠٤
وألزمته	بمغضِ	٢	—	١٦٧
حلي	ماضِ	١	أبو الشيص	٢١١

حرف الطاء

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
لما غدوت	فقطْ	٢	ابن الصيرفي	٢٠٥

حرف الظاء

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
لله	غلاظُ	٢	ابن نيقيا البغدادي	١٤٠
لما غدوت	محظوظا	٢	ابن الصيرفي	٢٠٥
كم ضيعتْ	يحفظا	٢	أمية بن أبي الصلت	٢٥٦

حرف العين

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
أتاني	مذيعُ	٢	ابن سنان الخفاجي	٣١٠

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
أعيذكَ	واسعُ	٢	مهيار	٢٧
أأطرحُ	وأنتجعُ	١	المتنبي	٦٠
عفَّرت	تتشيعُ	٢	ابن أبي الشخباء	٦٣
قُدتَ	تَتَبَّعُ	٢	ابن حيوس	٦٥
وضحتْ	مَهيعُ	٢	محمد بن عيسى(ابن اللبانة)	٨٦
فأشدُّ	الأقطعُ	١	محمد بن عيسى	٨٧
فإنَّك	واسعُ	١	النابغة	٨٩
يطمعُ	تقعُ	١	المتنبي	٩٣
عباسُ	ربيعُ	١	أبو نواس	١١٠
ليهنِكَ	والتواضعُ	٢	علي الإيادي	١٨١
أشكو	مهيعُ	٢	الخفاجي	٣١٥
فلهفي	شروعُ	٤	ابن سنان الخفاجي	٣١١
تُعطي	تسمعُ	١	الحسن بن عبد الصمد	٢٢٩
وكلّ أسى	التصنعُ	١	——	٢٩٥
لما غدوت	وأتباعا	٢	ابن الصيرفي	٢٠٥
وتسنعُ	ليمنعا	١	ابن حيوس	١٥٨
ولست	مواقِعَا	١	——	٩١
فَعَلَتْ	مباعَا	١	ابن حيوس	١٠٣
جفاني	دمعا	٢	محمد بن أبي سعيد	١٢٨
أصمَّ	بلقعا	١	أبو تمام	٣١٩
دعوها	أن تطيعا	٢	ابن مكنسة	٣١٠
لما غدوتَ	وأتباعا	٢	ابن الصيرفي	٢٠٥
محا	أجمعا	١	الكميت الفقعسي	٢٥٩
بنفسي	أن يُودّعَا	٣	——	٢٩٤

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
إن خان	سعى	٢	—	٢٩٦
لعفوت	بشافعِ	٣	إبراهيم بن المهدي	٢٢
يا بائعاً	أبعِ	٢	ابن زيدون	٤٨
عتادُهمُ	وخوامعِ	١	—	٩٢
فإن كان	المتتابعِ	١	—	١٣٦
تبيتُ	المرائعِ	١	ابن حيوس	١٥٨
وأمست	الأجرعِ	٢	ابن سنان الخفاجي	١٦٨
لقد جئت	المجمعِ	٢	أحمد بن سلمة	١٦٨
لا يبلغ	الداعي	٢	ابن الصيرفي	١٩٩
لم يستحقَّ	بسودَّعِ	١	—	٢٩٥
عزني	بسمعي	١	الشريف الرضي	٢٢٨
إذا صفحتْ	مضيعِ	١	—	٣٢١
وكيف يفوز	أدمعي	٦	ابن سنان الخفاجي	٣٢٢
أسمعت	اليراعه	١	ابن رشيق	٢٢٨

حرف الغين

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
وذات	لا تبلغُ	٢	محمود بن الموفق	١٩٦
لما غدوت	ولا بلغا	٢	ابن الصيرفي	٢٠٦

حرف الفاء

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
يا بن	يفوا	٣	أبو سعيد محمد الرستمي	٢٢
وكأنما	يطوفُ	١	السلامي	٨٠
لعمري	لن تألّفا	٣،٢	ابن حيوس	٤٦،٢١
يمنعُ	السيوفِ	٢	—	١٥٧

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
لو كانَ	الصدفِ	١	المتنبي	١٧٤
أَمتَّرَ	الشنوفِ	٢	مهيار	٣١٧
يستوجب	اقترفْ	١	الشهرزوري	٢٧
كذا يجيب	عرَفَهْ	١	مجبر بن محمد الصقلي	٢٦٠

حرف القاف

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
من شك	خلاّقُ	٢	ــــ	٣٦
غادرتَها	الأشواقُ	٢	ابن سنان الخفاجي	٥٦
وهل تخفى	زُرْقُ	١	مهيار	٦٠
وهل يفات	لا تطرقُ	١	السري الرفاء	٦٦
ومديرٍ	والرحيقُ	١	مهيار	١١٢
إذا ملكتْ	آبقُ	١	الحسن التنيسي	١٣٤
من النفرِ	ضيقا	٢	مهيار	١٧٥
مواهب	متسلقا	١	ــــ	٢١٣
ولقد هممت	نلتقي	١	ــــ	٢٩٠
وقفتُ	مفارقِ	١	ــــ	٢٩٩
لما غدوت	مخلوقِ	٢	ابن الصيرفي	٢٠٦
فبِّلْ	الأرزاقِ	١	ابن الرومي	١٦٢
ما الذهب	الناطقِ	١	إبراهيم بن شعب	٥٣
قال	لاقِ	١	ــــ	٨٢
إذا سكنتم	الأرقِ	٢	عبد الله بن سعيد	١١٢
لا يبلغ	والتوقِ	٢	ابن الصيرفي	٢٠٠
تباً له	مذاقِ	١١	الحريري	٢٧١

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
ما شجها	الخُلُقْ	٢	ابن رشيق	١٣١
هو البحر	والغَرَقْ	١	ـــ	٨٦

حرف الكاف

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
نهاكِ	أهلكِ	١	مجبر الصقلي	١٠٩
لما غدوتَ	ملكا	٢	ابن الصيرفي	٢٠٦
وقالوا	فالدِ كادكِ	٢	متمم بن نويرة	٣١٢
حار طرفٌ	ملَكْ	١	عبد الله السمطي	١٢٢
بل تعاليت	والفلك	١	المؤلف	١٢٣
يا غريراً	بصلاتِكْ	٣	ـــ	١٦٨

حرف اللام

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
على مكثريهم	والبذلُ	١	زهير بن أبي سلمى	١٤٩
شفيعي	سبيلُ	١	ـــ	٢٩
هذي مناقب	الأولُ	٢	ـــ	٣٤
مَخُوفٌ	الخيولُ	٢	ابن حيوس	٥٩
يجودُ	متصلُ	٥	ابن أبي الشخباء	٦٨
أيام	خبلُ	٢	ابن مكنسة	٦٩
يا عادلاً	لا تعدلُ	٢	ابن أبي الشخباء	٧٣
تبقَى	قتلوا	١	ابن نباتة	٧٣
يلقى	كفلُ	١	الببغاء	٧٥
وقد تَلَثَّمَ	لِمَمُ	٣	محمد بن عثمان الحداد	٧٦
لا زعزعتك	العللُ	١	الشريف الرضي	٣٠٥
عيني	مُرْسَلُ	٢	ابن الرومي	١٦٤

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
ضننْت	بخلوا	١	حسن بن عبد الصمد	١٦٧
ولما رأيت	واصلُ	١	——	١٩٤
ولي سنةٌ	العذلُ	١	ابن القمي	٢٣٠
إذا أنتَ	مقالُ	١	هشام بن عبد الملك	٢٥٧
وما راحةٌ	يتحملُ	٣	ابن الرومي	٢٩٠
يلقى	كَفلُ	١	الببغاء	٣٠٢
إن كانَ	طويلا	١	الشريف الرضي	٣٠٤
قالوا	فمالا	١	الشريف الرضي	٣٠٤
ما كان	معجّلا	٢	مروان المعروف بالشمقمق	٢٢٤
من كان	مهزولا	١	أبو تمام	٢٥٣
خبرٌ	البلبالا	٢	الشريف الرضي	٣٠٠
ما كنت	فتعالى	٦	الشريف الرضي	٣٠٢
إن طوّحَ	الأفعالا	٧	الشريف الرضي	٣٠٢
ما اجتزْنَ	أقفالا	١	مهيار	١٦١
كأنّ	الأناملا	٢	مصعب بن أبي الفرات	٨٩
غاروا	أفلا	١	مجبر الصقلي	١١٠
أيقنتُ	معتقلا	٢	المتنبي	١٥١
وكأني	الجبالا	١	——	١٥٢
تضحى	أقفالا	١	ابن حيوس	١٥٩
وكم آبق	تحمّلا	٢	مهيار	٢٣
وزَنّا	سائلا	١	ابن المعتز	٥٢
ملِكٌ	جدولا	١	محمد بن عيسى الأعشى النحوي	٦١
ضربوا	الأمثالا	١	محمد السلامي	٦٩
فجعتْ	الأكفالا	١	الشريف الرضي	٧٤

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
بكر	أليلِ	١	مهيار	٣١٩
ما أوردوها	الأكفالِ	٢	——	٧٤
ويستطيل	طائلِ	٢	مهيار	٧٤
قصَّرَ	خصالِ	٢	ابن حيوس	٤٧
تنافَسَ	المقلِ	٢	ابن السراج	٦٧
قد قلت	هطالِ	٢	ابن أبي الشخباء	٦٨
ملك	بخَلِ	٣	محمد بن خلصة الشذوني	٧٢
رحل	منزلِ	٢	مهيار	٣١٩
إن أنفدتْ	مقْولي	٢	مهيار	٣١٦
غنّى	الفضلِ	٢	محمد بن عمار	١٧٠
فإن تفق	الغزالِ	١	المتنبي	١٧٣
سارت	الرسلِ	٢	مهيار	١٧٥
عابوهُ	الجمالِ	٢	——	١٧٦
لا يبلغ	والابلِ	٢	الشريف الرضي وابن نباتة	١٩٨
لما غدوت	والعملِ	٢	ابن الصيرفي	٢٠٧
لقد أصبحتُ	وأوجالِ	٥	الحريري	٢٧٥
أتنظر	بالجبالِ	١	الشريف الرضي	٣٠٤
أيّ طودٍ	حيالِ	٨	الشريف الرضي	٣٠٥
نغالبُ	النبالِ	٤	الشريف الرضي	٣٠٨
جاورْ	الأسلِ	٢	محمد القيرواني	٨٨
كأنّ	الحواصلِ	٢	ابن أبي الشخباء	٩٢
الملحقين	المرملِ	١	حسان بن أبي ثابت	١٤٩
تتنفسُ	الآصالِ	٢	أحمد بن الشقاق	١٥٥
وبهم	الزلزالِ	١	ابن حيوس	١٦٣

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
تتزلزل	الزلزالِ	١	ابن حيوس	١٦٣
سبقتَ	بسطالِ	١	حسن بن عبد الصمد	١٦٧
ما قال	البخلِ	١	الجرجاني	١٦٧
وعصرُكَ	الحمل	٢	جعفر بن محمد	٩٥
كلّما	اشتعل	١	ابن مكنسة	٧٠
كم جوًى	طلل	٢	——	٧٠
ألم ترنا	قابلُه	١	——	١٠٥
أحسنتَ	كاملُه	٣	ابن رشيق	١٣٩

حرف الميم

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
وما أنا	الرغامُ	١	المتنبي	١٧٤
يا ربّ	أعظمُ	٤	أبو فراس	١٨
لا يدعي	تنْتظمُ	٤	محمد بن سنان الخفاجي	٤١
تظلّمَ	المظالمُ	٢	ابن أبي الشخباء	٧٢
حوراء	مسمومُ	٣	مسعود بن محسن	٨٦
يجري	لا يسأمُ	٥	محمد بن عيسى(ابن اللبانة)	٩٠
مليكٌ	رواغمُ	٦	محمود بن القاضي الموفق	١٠٦
صحائف	المآتمُ	٢	محمود بن القاضي الموفق	١٠٧
إذا شئتما	محرّمُ	٢	مسلم بن الوليد	١٣٣
وطلبتُ	متظلمُ	٤	محمد بن أبي سعيد	١٣٦
رمته	سلالمُ	١	ابن نباتة	١٤٠
عادَلَهُ	تنسجمُ	١	عبيد الله بن قيس الرقيات	١٤٥
وإذا امتطى	يهدمُ	٢	ابن حيوس	١٤٧
كلٌ الورى	عنهمُ	٣	——	١٨٢

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
أخيمةٌ	حلُمُ	٨	حسن الأنصاري	٢١٦
خير أعضائنا	الأقدامُ	١	المتنبي	٢٢٩
إذا هو	متظلما	٢	ابن أبي الشخباء	٧٢
أدلَّ	اللهاما	٢	ــــ	٧٧
وبدا الزمان	بهيما	١	ابن حيوس	١٠٣
ومخرَّقٍ	سقيما	١	ليلى الأخيلية	١٤٨
أرى	تقوَّما	٢	ابن حيوس	١٦٦
لما غدوت	مقسوما	٢	ابن الصيرفي	٢٠٧
إن المنايا	وأعوامِ	٥	الشريف الرضي	٣٠٧
خان	الفمِ	١	مهيار	٣١٦
وإنك إذ	العمائمِ	٢	الفرزدق	٢٦٠ــ٢٦١
لا يبلغ	والكومِ	٢	ابن الصيرفي	١٩٨
هذا تبدد	الغمِّ	٢	ــــ	٢٢٣
خان	الفمِ	١	مهيار	٢٢٨
لا غروَ	الأممِ	٢	ــــ	٢٤٩
وإذا الإباءُ	احلُمِ	٣	مهيار	٨
ملوكٌ	المعالمِ	١٠	محمد بن عمار الأندلسي	٥٣
إن البسيطة	لم تهرمِ	٨	محمود بن القاضي الموفق	١١٦
ظنّوا	وإخميمِ	٢	ــــ	١٢٣
خلقٌ	نسيمِ	٥	محمد بن أبي سعيد	١٢٨
صنمُ	وتكرمِ	٣	جعفر بن شرف	١٧٩
نفى	العدمْ	٥	محمد بن عبادة	٩٤
إن تلقك	بغضهمْ	٢	محمد بن أبي سعيد	١٢٩
كأنَّ	حرامْ	٢	مهيار	١٥٢

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
يصرفُ	خادمُه°	١	حسن بن عبد الصمد	٢١٦
سيدة الروم	العتمه°	٢	محمد بن قاسم القاضي	٢٧٩

حرف النّون

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
خلفَ	الدينُ	٤	الببغاء	٣٠٨
عزمْت°	أشطانُ	٢	محمد بن حيدرة الحسيني	٢١٧
له عينٌ	العيونُ	١	علي الديلمي	٢٢٢
لك العرضُ	المصونُ	٢	ـــــ	٢٧٨
أنّى	طعينُ	٢	محمدبنعثمان الحداد القيسي	٦٢
لكَ اليوم	قرونُ	٢	ابن حيوس	٦٤
هو جَنةٌ	والدينُ	٥	محمد بن عثمان الحداد	٧٥
يرى	كهانُ	٢	ابن مطرف المنجم	٩٥،١٤٧
صحا القلبُ	قطينُ	٢	مهيار	١٤٨
تشكي	مِر°فانُ	١	ابن الرومي	١٦٥
وكم أبٍ	عدنانُ	١	ابن الرومي	١٧١
وعجْ بالحمى	العينُ	٢	ابن الحداد	١٧٧
إني لأشكر	فحيّانا	٧	محمود بن الموفق	٢٨٢
جلّشنَ	الطينا	١	البحتري	٢٦٨
أقسمتُ	منى	٩	الحريري	٢٧٣
نارٌ	وطوفانا	٢	الصاحب بن عباد	٢٧٨
لا زلت	البنَا	٨	الحسن بن عبد الصمد	٤٩
ملْكٌ	عابدِ نا	٢	حسان بن المصيصي	٨٣
أخفتَ	الخائفينا	١	ابن حيوس	١٦٣
هجرتنا	وَسْنَى	١	البحتري	٢٦٢

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
وإن جرت	الذي نعني	١	أبو نواس	٣٧
صيغَ	كالأرسانِ	٢	محمد بن عمار الأندلسي	٥٧
كَمْ مِنْ	حدثانِ	١	ابن المحترق	٦٦
ما أبصرَ	مكانِ	١	ابن نباتة السعدي	٦٦
والشمرُ	الأشطانِ	٢	محمد بن عثمان الحداد	٧٦
ألقِ	واطعنِ	٢	مهيار	٧٧
سمتَ	الشنآنِ	٥	محمد بن عثمان	٨٢
وما ذممت	يخصني	١	مهيار	٩٤
أيها المنكحُ	يلتقيانِ	٢	عمر بن أبي ربيعة	١١٤
همت	سيفينِ	٥	ابن شرف	١٦٩
مقابلٌ	وديوانِ	٣	الخوارزمي	١٧٠
كم ذكرٍ	باثنتينِ	٢	——	١٧٧
لما غدوت	والعلنِ	٢	ابن الصيرفي	٢٠٧
إن الثمانين	ترجمانِ	١	عوف بن محلم	٢١٤
شاهين	عمرانِ	٢	——	٢٢٦
وجحفلٍ	بالأذانِ	١	المتنبي	٢٢٦
أنا الذي	شجنْ	٢	——	١٠٩
باركَ	الختنْ	٢	أبو الينبغي	١٥٤

حرف الهاء

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
يكسوهُ	وسالبهُ	١	السري الرفاء	٦٤
وما خيلاءُ	توائبهُ	٣	محمد بن عثمان الحداد	٧٨
فلا مجد	مجدهُ	١	المتنبي	٨٠
إن غاضَ	مكارمهُ	٢	——	٨٤

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
فسقى	كاساتهُ	٢	مجبر الصقلي	١١٣
ومنزلٍ	ورئيسهُ	٣	عبد المحسن الصوري	١٥٦
شِعْرٌ	رواتُهُ	٤	مجبر بن محمد	١٨٠
قد جاء	ويشوقُهُ	٢	ــــ	٢٦٦
واوحشتا	أنسُهُ	٢	ــــ	٢٦٦
وقد زعمت	فجورها	١	ــــ	٣٠٣
قوراء	وتحتويها	٥	ــــ	٢٦٥
وقد كان	وهي	٢	محمود بن القاضي	٢٨١
لي مهجة	فتناهي	٦	محمود بن القاضي	٢٨١
أرواحنا	غريسُها	٥	الشريف الرضي	٣٠٧
قد كنت	صنيعُها	٣	الصابي	١٧١
لنا إبلٌ	وسماؤها	٣	ابن حيوس	١٥٩
يا من تزينَتْ	ثوبَها	٢	ابن زيدون	٥٠
وإنّا	ركاياها	٢	مسعود بن محسن	٨٥
والطيرُ	فيقربها	١	عبيد الله بن قيس	٩١
وفوارةٍ	ثارها	٢	علي بن الجهم	١١٨
أتالي	غروبها	٢	عبد المحسن الصوري	١٣١
تزأر	أغضتها	٤	ابن رشيق	١٣٢
تنبأ	لتألها	١	عبد الجليل المرستي	١٤٣
وكم	وثابها	٢	ابن المعتز	١٤٤
كلح	خلامها	٢	مهيار	٣١٣

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
منعتْ	وأقلتّها	٢	عروة بن أذينة	١٤٨
ولم تكُ	إلاّ لها	١	أبو العتاهية	١٨٨
أعارني	وسوّدَها	٤	الحريري	٢٧٣
السمهرية	عن غابهِ	٢	المعري	٣١٣
لما غدوتَ	واهِ	٢	ابن الصيرفي	٢٠٨
لست	معتاضهِ	٢	علي الديلمي	٢٢١
رأيتُ	أوصابهِ	٣	ــــ	٢٩١
وسَعتْ	عثراتهِ		ابن الحواري	٧
لتطّلْ	وظلامهِ	٢	الخفاجي	٣١٤
فشربتها	جنتيهِ	١	ابن رشيق	٢٢٧
وشممتُ	مقلتيهِ	١	ابن حديدة	٢٢٧
قد كلتُ	بخسهِ	٢	الحريري	٢٧٥
حلتّتْ	التشبيهِ	٢	محمد الغزالي	٢٧٩
جاءك	فلا تجدِهِ	٣	المعري	٣١٣
شتان	اشتباهْ	٢	ابن شرف القيرواني	٢٧٧
لام العواذلُ	وقينهْ	٢	محمود بن الموفق	٢٨٠
يا عجباً	مياهْ	١	ــــ	٢٩٨

حرف الواو

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
لا تَقْتلوها	غدَوا	١	ــــ	٣٢٤
لما غدوت	وروَوْا	٢	ابن الصيرفي	٢٠٨
في مثل	عَدْوَى	٢	ــــ	٢١١

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة

حــــرف اليـــاء

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
لا يغرنْكَ	دَوِيّا	٢	سديف بن ميمون	١٢
إلى ملكٍ	حاليا	٢	مصعب الصقلي	٩٧
لما غدوتَ	حيّا	٢	ابن الصيرفي	٢٠٨
ويحتقر	فانيا	١	المتنبي	٢١٣
عبدُكَ	ضافيه	٢	أبو القاسم المغربي	٨٠
والنجم	صدّيه	١	ــــــ	٢٦٤

★ ★ ★



فهرس الأعلام

حرف الهمزة

الآمدي = الحسن بن بشر

إبراهيم بن سنان (الصابئ) ١٠/٢٧

إبراهيم بن شعب ٣/٥٢

إبراهيم بن العباس الصولي ١/٢٥٨

إبراهيم بن أبي الفتح ١٠/١٥٦

إبراهيم بن محمد الافليلي ٢/١٤٣

إبراهيم بن معلى الأندلسي ٥/٣٠٩

إبراهيم بن المهدي ٨/٩ — ١٦ ، ٢/١٠ ، ١١/١١ ، ١/٢٢

إبراهيم بن هرمة ٨/٢٦٠ ، ٣/٢٦١

أحمد بن بويه بن فناخسرو ١/٢٠

أحمد بن جعفر (المعتمد) ٢/٩

أحمد بن الحسين (المتنبي) ١٦/٤ ، ٥/٥ ، ٣/٤٣ ، ١٤/٦٠ ، ١١/٧٣ ، ١٠/٨٠ ، ١/٩٣ ، ٩/١٤٠ — ١٤ ، ٢/١٤٣ — ٩ ، ١٥/١٥٠ ، ١٠/١٥٣ ، ٥/١٧٣ — ١٠ ، ٢/١٧٤ — ٤ ، ١١/٢١٢ ، ١٣/٢٢٦ ، ١/٢٢٧ — ١٢ ، ٧/٢٩ ، ٤/٣١٠

أحمد بن سلمة ١٦٨/٧
أحمد بن الشقاق ١٥٥/٧
أحمد بن طلحة (المعتضد) ٩/٣
أحمد بن عبد الله (المعري) ١٦٠/٨؛ ٣١٣/٣
أحمد بن محمد الصنوبري ٥١/٧، ٥٢/٦
أحمد بن يوسف المنازي ١٦٤/١
الأحوص = عبد الله بن محمد
ارسطاليس ٢٢٤/٦
اسماعيل بن محمد (ابن مكنسة) ٤٤/٧، ٦٩/٦، ٧٠/١، ١٨٠/٣،
١٣٤/٢ - ٧؛ ٢٧٩/١٤، ٣١٠/١٢
الأصمعي = عبد الملك بن قريب
الأعشى النحوي ٦١/١
الافليلي = إبراهيم بن محمد
الأفوه الأودي ٩٠/١٥
أمية بن عبد العزيز المعروف بأبي الصلت ١٥٦/١

حرف الباء

الببغاء = عبد الواحد بن نصر المخزومي
البحتري = الوليد بن عبيد
بشار بن برد ١٩٣/٧
بكر بن عبد العزيز النيلي ٧٩/١
بوران بنت الحسن ١٥٣/١٣

حرف التاء

تماضر بنت عمرو (الخنساء) ١٢/٢٨٩ ، ٢٩٠/٨ ــ ١٢
أبو تمام = حبيب بن أوس
الثريا بنت علي بن عبد الله ٥/١١٤

حرف الجيم

ابن جاخ ٩/٧٨
جرير ١١/٢٥٤ ، ٣/٣٠٣
الجعدي ١/٩
جعفر بن شرف ٣/١٧٩
جعفر بن محمد ١١/٩٥
ابن جني = عثمان بن جني
جوهر ٤/٢٠

حرف الحاء

حاتم الطائي ٧/١٤٢
الحارث بن أبي شمر الغساني ٢٣/١٠ ، ١/٢٥
الحاكم بأمر الله = منصور بن نزار
حبيب بن أوس (أبو تمام) ٦٠/٨ ، ١/٩١ ، ١/١٠٨ ــ ١١ ، ٧/١٤٢ ، ١٦١/٢ ــ ٦ ــ ١٠ ، ٦/١٦٢ ، ٦/٢٥٣ ، ٣/٢٥٤ ، ٧/٣١٢ ، ٩/٣١٩

الحجاج بن يوسف الثقفي ٢٢٢/١٠ ؛ ٣١٢/٥
ابن حديدة ٢٢٧/٤
ابن حزم ١٥/١١ ، ١٦/٤
حسان بن المصيصي ٨٣/١٢ ، ٨٤/٣
الحسن بن أبي ثابت ١٤٩/١٥
الحسن بن سهل ١٥٣/١٣ ، ٢٢٥/١
الحسن بن عبد الصمد (ابن أبي الشخباء) ٤٩/٣ ؛ ٥٩/٤ ؛ ٦٣/٥ ؛ ٦٦ / ١٦ ، ٦٨ / ١٣ ، ٧٢ / ٧ — ١٢ ، ٧٣ / ٣ ، ٩٢ / ٦ ؛ ١٦٧/٩ — ١٢ ؛ ٢١٦/٤ ، ٢٢٩/٩ ؛ ٣٢٠/ ٥
الحسن بن رشيق ١٣٠/١٥ ؛ ١٣١/١٤ ؛ ١٣٢/١٢ ، ١٣٩/١ ، ٢٢٧/٤ ، ٢٢٨/٩
الحسن بن زيد الأنصاري ٢١٦/١٠
الحسن بن علي بن وكيع التنيسي ١٣٤/١٢
أبو الحسن الفكيك ٩٦/٣
الحسن بن محمد البسامي ٢٢١/٥
الحسن بن هانىء ١٨/٩ ، ٣٧/١٦ ؛ ٩٠/١٧ ، ١١٠/٤ — ١٥ ؛ ١٢٤/٦ ، ٢٥٤/١٢
الحسن بن يسار البصري ٢٨٩/٥
الحسين بن أحمد (ابن خالويه) ٢٥١/١٣
الحسين بن الضحاك ١٢٤/٧
أبو حفص الشهرزوري ٢٧/١
حمزة بن حسين الأصبهاني ٢٥/٤

ابن الحواري ١٣/٢١٠
ابن حيوس = محمد بن سلطان

حرف الخاء

خالد بن يزيد ١٣/٢٢٣ ، ٧/٢٢٤
ابن خالويه = الحسين بن أحمد
ابن خفاجة = ابراهيم بن أبي الفتح
الخليع الشامي ٥/٥٠
الخنساء = تماضر بنت عمرو
الخوارزمي أبو بكر = محمد بن العباس

حرف الدال

ابن دريد = محمد بن الحسن
دعبل بن علي الخزاعي ٩/١٢٥

حرف الراء

رجاء بن حيوة ٥/٢٩٩
الرستمي = محمد بن محمد
ابن رشيق = الحسن بن رشيق القيرواني
ابن الرومي = علي بن العباس
رؤبة بن عبد الله العجاج ١١/٢٥٤

حرف الزاي

زهير بن أبي سلمى ٨/١٤٩
زياد بن معاوية (النابغة) ٨/٨٩، ١٧/٩٠
ابن زيدون = أحمد بن عبد الله ٩/٤٥، ٤٨، ٣، ١/٥٠

حرف السين

سالم بن مسافع ٣/٢٥٩
سديف بن ميمون ٨/١٢
ابن سورين ١/٢١٨ ــ ١٣
السري بن أحمد الرفاء ١٠/٥٠، ١/٦٤ ــ ٣، ٦/٦٧
سعيد بن حميد ٥/٢٦
السلامي = محمد بن عبد الله بن محمد المخزومي
سلم الخاسر ٤/١٥٣
سليمان بن عبد الملك ٤/٢٩٩
سليمان بن هشام ٩/١٢
سهل بن هارون ١٣/٢٢٤
سهيل بن عبد الله بن عوف ٦/١١٤

حرف الشين

شأس بن عبدة ١٣/٢٣، ١/٢٥
شاهنشاه (الملك الأفضل) : في كثير من صفحات الكتاب ذكر لــه
شبل بن عبد الله ١/١٣، ١٠/١٤

ابن أبي الشخباء = الحسن بن عبد الصمد
الشريف البياضي = مسعود بن عبد العزيز
الشريف الرضي = محمد بن الحسين
الشريف المرتضى = علي بن الحسين
الشمقمق = مروان بن محمد
أبو الشيص = محمد بن علي

حرف الصّاد

الصاحب بن عباد ٢٤٩/١٨، ٢٧٧/١٢، ٢٧٨/٣
صاعد بن مفرج ٢٤٨/١٢
صدقة بن مزيد ٢٥٦/٨
أبو الصلت = أمية بن عبد العزيز
الصنوبري = أحمد بن محمد
الصولي = إبراهيم بن العباس

حرف الطّاء

ابن الطائي المقرئ ١٨٠/٣
طاهر بن الحسين ٢٢٢/١٩

حرف العين

عمر بن مسلم ٢٥٢/١١
عمرو بن مسعدة ١١٩/٣ ــ ٦
عوف بن محلم ٢١٤/٣

عيسى بن مريم عليه السلام ٢٢٥/٩
العزيز بالله الفاطمي ٢٠/٢
علقمة بن عبدة ٢٣/١٣
علي بن أحمد بن أبي وهب ٧٩/٦
علي بن إسحاق الزاهي ١٧٨/٢
علية المهدية ١٣٩/٩
علي بن الجهم ٢٥/٨، ١١٨/٥
علي بن الحسين (الشريف المرتضى) ٢٦٢/٥ — ١٠
علي بن حمدان (سيف الدولة) ١٤٣/٢ — ٥، ٢٥١/١٣
علي بن خلف ٢٥٣/١
علي بن أبي طالب ٣/١٢، ١٠١/١٥، ١٢٠/١٣، ٢٨٧/١٨، ٢٤١/١٦
علي بن العباس (ابن الرومي) ٣٨/١، ١٦٢/٢، ١٦٤/١١، ١٦٥/٥ — ١٠، ١٧١/١٣، ١٧٢/٤، ٢٩٠/١٣، ٢٩١/٣
علي بن عبد الله (الناشىء) ١٦٢/٧
علي بن عيسى الربعي ٢٥٣/٩
علي بن محمد الإيادي ١٨١/٣
علي بن منصور الديلمي ٢٢١/٥
عمر بن أبي ربيعة ١١٣/١٤
عمر بن عبد العزيز ٨/١٥، ٢٩٩/٥
عمر بن علي المطوعي ١٤١/١٤
عائذ بن محصن ١٤/١٢
العباس بن الأحنف ٤٦/٣، ١٢٤/٦
أبو العباس السفاح = عبد الله بن علي
عباس بن مرداس ١٠/١٣

عبد الباقي أبو المناقب الشاعر ٢٥١/٥
عبد الجليل بن وهبون المرستي ١٤٣/١٦
عبد الحميد بن عبد الحميد البرجي ٩٥/٦
عبد العزيز بن عمر (ابن نباتة السعدي) ٤٢/١٢ ، ٦٦/٤ ، ٧٣/٨ ،
٨٥/٨ ، ٩٢/١ ، ١٤٠/٢ ، ١٩٨/٤ — ٧
عبد الله بن أحمد الخازن ١٩/١٢
عبد الله بن أحمد الميكالي ١٠٩/٥ ، ١٤١/١٤
عبد الله بن أيوب التيمي ٤/١٨
عبد الله بن التوأم ٢٢٤/١١
عبد الله بن سعيد ١١٢/١٤
عبد الله بن العابد ١٨١/١٣
عبد الله بن علي (أبو العباس السفاح) ٢٩/١٢ ، ١٣/١ ، ١٤/٩ — ١٣ ،
١٥/٨
عبد الله بن محمد البغدادي (ابن نيقيا) ١٤٠/٨
عبد الله بن محمد الأحوص ١٥/١١
عبد الله بن محمد بن سعيد الخفاجي (ابن سنان) ٤٠/١٤ ، ٤١/٩ — ١٣ ،
٥٦/٤ ، ١١١/٦ ، ١٦٨/٣ ، ٢٦٤/٥ ، ٣١٠/٧ ، ٣١١/٣ ،
٣١٤/١١ ، ٣١٥/٣ — ٨ ، ٣٢٢/١
عبد الله بن المعتز ٥٢/١١ ، ١٣٣/٨ ، ١٤٤/١ — ٧ ، ٢١٨/٢ ، ٣١٨/٧
عبد الله بن هارون (المأمون) ٩/٢٠ ، ١٠/٢ ، ١١/٦ ، ٢٢٣/١٤ ،
٢٢٤/٥ ، ٢٤١/٤
عبد المحسن الصوري ١٣١/٥ — ١٠ ، ١٣٥/٤ ، ١٥٦/١

عبد الملك الزيات ٩/٢٢
عبد الملك بن قريب (الأصمعي) ٥/١٤٥ ، ١٤٦/٢ ــ ١٣
عبد الملك بن مروان ٢٢٢/١١
عبد الواحد بن نصر المخزومي (الببغاء) ١٣/٧٤، ١٤/٣٠١، ١٢/٣٠٨،
العبدي = عائذ بن محصن
عبيد الله بن قيس الرقيات ١/٩١ ، ٩/١٤٥
عثمان بن جني ٦/٦٥ ، ١٢/٢٥٤
عثمان بن حيان المري ٤/١٦
عروة بن أذينة ٥/١٤٨

حرف الغين

الغمر بن يزيد بن عبد الملك ١٤/١٤ ، ٧/١٥ ــ ٩

حرف الفاء

أبو الفتح بن المقدر ١٧/٢٠
الفتكين الشرابي ١/٢٠
الفرزدق ٥/٢٥ ، ١١/٢٥٤ ، ٧/٢٦٠ ــ ٩ ، ٣/٢٦١
الفضل بن يحيى ٨/٢٥٨
فنا خسرو بن ركن الدولة ١٦/٢٠ ، ١٨/٢٤٩

حرف القاف

القاسم بن علي الحريري البصري ٣/٨٢، ٥/٢٦٩، ٥/٢٧٠، ١٠/٢٧٣،
١١/٢٧٥ ، ٥/٢٧٦ ، ٨/٢٧٨

أبو القاسم المغربي ٣/٨٠ ، ١٠/٣٠٩
ابن القمي ٩/١٩ ، ١/٢٣٠

حرف الكاف

كاتب بكر ١٠/٢٦
كسرى أنوشروان ١٥/٨ ، ١٥/٢٠٩
الكميت بن زيد ١٤/١٥٩ ، ٦/١٦٠

حرف اللام

ابن اللبانة = محمد بن عيسى
ليلى الأخيلية ١١/١٤٨

حرف الميم

المأمون =عبد الله بن هارون
المتنبي = أحمد بن الحسين
متمم بن نويرة ١٦/٣١١
مجبر بن محمد الصقلي ٨/١٠٩ ــ ١٠ ، ٥/١١٣ ، ٤/١٨٠ ، ١٠/٢٥٩
ابن المحترق ١/٦٦
محمد بن أحمد الأصبهاني ١/١٤٥
محمد بن أحمد (الوأواء) ٢/٢٧٠
محمد بن أحمد ••• بن عثمان (الحداد القيسي) ٣/٦٢، ٣/٧٥ ــ ١٥،
٥/٧٦ ــ ١٣ ، ١/٧٨ ــ ٥ ، ١١/٨٢ ، ٧/٨٣ ، ٤/١٧٧

محمد بن البين الأندلسي ٦١/٤
محمد بن جعفر القزاز ٢١٩/١٩
محمد بن الحسن (ابن دريد) ٢٨٩/١٠
محمد بن الحسن النحاس الحلبي ١٧٠/١
محمد بن الحسين البغدادي ٢٦٣/٦
محمد بن الحسين (الشريف الرضي) ٧٤/١٠، ١٩٨/٥ ـ ٢٨٨،٧/١١، ٢٩٩/١٨، ٣٠١/١، ٣٠٢/٤، ٣٠٤/٢ ـ ١٢، ٣٠٥/١ـ١٤، ٣٠٦/١ ـ ١٣، ٣٠٧/٥، ٣٠٨/٣، ٣١٨/١٠، ٣١٩/٥
محمد بن حيدرة ٢١٧/١١
محمد بن الخضر المعري ٢٦٦/٩
محمد بن خلصة الشذواني الأندلسي ٧١/٥
محمد بن أبي سعيد بن شرف القيرواني ٨٨/٨، ١٢٦/٨، ١٢٧/٢٣، ١٢٩/٥ ـ ٩، ١٣٠/١ ـ ٦، ١٣٥/٩، ١٣٦/٤، ١٦٩/٢، ٢٢٣/٧، ٢٦٧/١، ٢٧٧/١
محمد بن سلطان (ابن حيوس) ٢١/٩، ٤٦/٦، ٦٤/٧، ٦٥/٨، ٨١/١، ١٠٣/٤ ـ ١١، ١٠٦/١، ١١٣/، ١٣٦/١٧، ١٤٧/١١، ١٥١/٢، ١٥٨/٣ ـ ٩، ١٥٩/٢ ـ ٩، ١٦١/١ ـ ٨، ١٦٢/١٣، ١٦٣/٣ ـ ٩، ١٦٥/١٣، ٢١٢/١١، ٢٢٣/٧، ٢٢٩/١٢، ٢٥٠/١١، ٣٢٠/١
محمد بن عباد (المعتمد) ٤٣/٩، ٥٠/٢، ٥١/١٢، ٥٢/٢
محمد بن عبادة ٩٤/٤
محمد بن العباس (الخوارزمي) ١٩/١٤، ١٧٠/١٣

محمد بن عبد الله السلامي ٦٩/١ ، ٨٠/٧
محمد بن عبد الله بن محمد ١٥٥/١
محمد بن عبد الله (المهدي الخليفة) ٩/٢ ، ١٩٣/٨
محمد بن عبد الملك الزيات ١٠/١ ، ١١/١١
محمد بن عبدوس الجهشياري ١١٩/٢
محمد بن علي (أبو الشيص) ٢١١/١٧
محمد بن علي الكموني ٦٢/٩
محمد بن عمار ٥٣/٣ ، ٥٤/١٦ ، ٥٥/٧ ، ٥٧/٣ ـ ٨ ، ٥٨/٣ ، ٥٩/١٤ ، ١٧٠/٨
محمد بن عيسى (ابن اللبانة) ٣٩/٨ ، ٧٠/١١ ، ٨٦/٨ ، ٨٧/١ ـ ٨ ، ٨٨/١٣ ، ٨٩/٣ ، ٩٠/٣ ، ٩٣/٤
محمد بن قاسم القاضي ٢٧٩/١
محمد بن محمد (أبو سعيد الرستمي) ٢٢/٨ ، ١٩٥/٣ .
محمد بن محمد الغزالي ٢٧٩/٩
محمود بن القاضي الموفق ٤٤/٤ ، ١٠٦/١٠ ، ١١٦/١٢ ، ١١٧/١٠ ، ١٩٥/١٨ ، ٢٨٠/١٤ ، ٢٨١/٨ ، ٢٨٢/١١
مروان بن أبي الجنوب ٩١/١
مروان بن محمد المعروف بالشمقمق ٢٢٣/١٥ ، ٢٢٤/٧
مسعود بن عبد العزيز (الشريف البياضي) ٢٥٩/٦
مسعود بن محسن ٨٤/٨ ، ٨٥/٣ ـ ١١ ، ٨٦/١
مسلم بن قريش ٢٥٢/٧
مسلم بن الوليد ٩٠/٧ ، ١٢٤/٧ ، ١٣٣/١
مصعب بن محمد بن أبي الفرات ٨٩/١١ ، ٩٦/١٠ ، ٩٧/١

ابن مطرف المنجم ٩٥/١ ، ١٤٧/٦
مطيع بن إياس ٢٩٧/٩
ابن المعتز = عبد الله بن المعتز
المعتضد = أحمد بن طلحة
المعتمد = أحمد بن جعفر (الخليفة)
ابن مكنسة = اسماعيل بن محمد
المنذر بن ماء السماء ٢٣/١٠
منصور بن نزار ٢١٨/٢
المهدي الخليفة = محمد بن عبد الله

مهيار الديلمي ٥/٥ ، ٨/٣ ، ٢٣/٣ ، ٥٧/٥ ، ٥٨/١١ ، ٦٠/٣ ، ٧٣/١٤ ، ٩٤/١ ، ١١١/١٢ ، ١٤٧/١٦ ، ١٦١/٣ ، ١٧٢/١١ — ١٧ ، ١٧٤/٨ ، ١٧٥/١ — ١١ ، ٢١٥/١ — ١١ ، ٢٢٨/٥ ، ٣٠٠/٥ ، ٣٠٣/٩ ، ٣١٣/١٠ ، ٣١٤/٣ ، ٣١٥/١٣ ، ٣١٦/٣ — ١٢ ، ٣١٧/١ — ١٥

موسى بن عمران البصري ٥/٢
الميكالي = عبيد الله بن أحمد

حرف النون

النابغة الذبياني = زياد بن معاوية
الناشىء = علي بن عبد الله
ابن نباتة السعدي = عبد العزيز بن عمر
نصيب ٢١٣/١٠
أبو نواس = الحسن بن هانىء
ابن نيقيا = عبد الله بن محمد البغدادي

حرف الهاء

هرمس ١٤٥/٦
هشام بن أحمد الوقشي ١٧٩/١١
هشام الأحول ١٤٥/٨
هشام بن عبد الملك ٢٥٧/١٤
الوأواء = محمد بن أحمد
واصل بن عطاء ١٩٣/٤
والبة بن الحباب ٦٧/٣
ورد بن سعد العمي ٢٥٨/١٢
الوليد بن عبيد (البحتري) ٦٤/٦ ؛ ٧٠/٨ ، ٧٩/١١ ، ٢٦٢/٦ — ١٣ ؛ ٢٦٨/٩ ، ٢٦٩/٥ ؛ ٢٧٠/٥ ؛ ٣١٣/١
الوليد بن عبد الملك ١٥/١٢ ، ١٦/٣
ابن أبي وهب = علي بن أحمد

حرف الياء

يحيى بن معلى ١٢٤/٧ — ١١
يوشع بن نون ١٢٠/١٥





الخطأ والصواب

الصفحة والسطر	الصواب	الخطأ
١٠	ولا ودُّ	ولا ودٌّ
٦٨	قدُ	قدْ
٨٠/ ٥	ضافيةٌ	ضافيه
٨٠/ ٦	جاريةٌ	جاريه
١١٦/ ١٢	محمود القاضي الموفق	محمود بن القاضي الموفق
١٥٧/ ١	لذةٍ	لذةٌ
٢٠٢/ ١٢	التواريخَ	التواريخُ
٢١٧/ ١٣	أشطان	أشطانُ
٢٢٢/ ١٦	بابٍ	بابٌ
٢٢٨/ ١٠	اليراعةْ	اليراعه
٢٦٤/ ٩	صديّةْ	صديّهْ
٢٧١/ ١	صفرتهُ	صفرتهْ

الفهرس العام

البحوث	الصفحة
المقدمـــة	آ ـ م
التعريف بالمؤلف ابن الصيرفي ـ ولادته ـ وفاته ـ مؤلفاته	آ
نسخة الأفضليات	ح
رسالة العفو	١ ـ ٣٠
فصل مما جاء في العفو	١٧
فصل في الشفاعة والاستعطاف	٢٣
رسالة رد المظالم	٣١ ـ ٩٧
رسالة لمح الملح	٩٩ ـ ١٨٤
من المحاسن العصرية في المملكة المصرية	١٠٥
في الاشارة الى مدائح مولانا وفضائله وما ازدانت به الأرض من قصوره ومنازله	١١٤
في القوافي التي يتحدى بها ، فتتعذر على ملتمسيها وطلابها	١٤٠
في القوافي المتمكنة التي يصلح أن تتلو هذا الباب	١٤٧

البحوث	الصفحة
مما يتجاذبه ضدان	١٤٨
مما جمع المدحَ بالشيء وضدّه ، وهو من ضروب التوجيه	١٥٧
من الأشعار الدالّة على النظر في العلوم الشرعيات	١٦٨
أبيات الأنساب	١٧١
الاخباريات	١٧٦
النحويات	١٧٧
الطبيات	١٧٨
الهندسيات	١٧٩
الفلسفيات	١٨٠
رسالة مناتح القرائح	١٨٥ـ٢٣٠
في الشكر الذين يصون النعم من الانتقال ويلزم تقديمه أمام كل مقال	١٨٩
من المعاني التي استنبطها الملوك وابتدعها واستخرجها فكره واخترعها	١٩٢
فصل في ذكر خيمة الفرج	٢٠٩
فصل في نادر ما جاء في بابه وأقوى دليل على إبداع قائله وإغرابه	٢١٩

البحوث	الصفحة
فصول تشتمل على ضروب أبدعَ البلغاءُ فيها وأحسنوا وتنوعوا في أصنافها وتفننوا في خدع البيان ، وتمويه الفصاحة	٢٢١
في تناوب الأعضاء	٢٢٦
رسالة مناجاة شهر رمضان	**٢٣١ــ٢٣٧**
ابتداء المناجاة	٢٣٤
رسالة عقائل الفضائل	**٢٣٩ــ٢٨٢**
فصل اتفق في أسجاعه اللفظ والخط دون المعنى	٢٤٣
فصل مما كتب به عند مقامه بالفرما لتقرير أمر الجهاد وتدبيره والعمل بما يؤدي الى هلاك العدو وتدميره	٢٤٥
من فضائل الملوك التي ذكرت إيماءً لكثرتها واتساع فنونها	٢٤٧
مما أهمله المتقدمون وتركوه، فتيقظ له أدباء الوقت واستدركوه	٢٦٠
من النقــــد	٢٦٣
في محاسن أهل الوقت	٢٦٩
رسالة التدلّي على التسلّي	**٢٨٥ــ٣٢٥**

البحوث	الصفحة
المراجـــــع	٣٢٧
فهرس الآيات	٣٣٥
فهرس الأحاديث	٣٤١
فهرس الأشعار	٣٤٣
فهرس الأعلام	٣٦٧
الخطأ والصواب	٣٨٥
الفهرس العام	٣٨٧



